أساليب الدفن وعاداته
خلال العصر الحجري الحديث في بلاد الشام

تعد دراسة عادات الدفن من الدراسات الهامة في مرحلة عصور ما قبل التاريخ لما تحتويه المدافن من لُقى تمدنا بمعلومات يمكن من خلالها معرفة الكثير عن حياة الإنسان القديم ومعتقداته الدينية.

وعلى الرغم من أهميتها، فقد اكتفى معظم المنقِّبين بذكر المدافن ضمن التقرير العام للحفرية، باستثناء القليل من الباحثين الذين قاموا بإجراء دراسات متخصصة حول عادات الدفن تركَّزت معظمها في دراسة مواقع معينة، أو دراسات شاملة لبعض المناطق الجغرافية في بلاد الشام(١).

ولا بد لنا قبل الدخول في تفاصيل أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث (Neolithic) في بلاد الشام من إعطاء لمحة موجزة عن ميزات هذا العصر.

مع نهاية المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم (Epipalaeolithic) ودخول الإنسان إلى مرحلة العصر الحجري الحديث، حصل تغيير جذري في الحياة الاقتصادية بسبب اكتشافه الزراعة والتدجين، مما نتج عنه تحول الإنسان من اقتصاد الاستهلاك إلى اقتصاد الإنتاج، أي أن الإنسان ولأول مرة في حياته أصبح منتجاً لقوته وليس مجرد مستهلكاً له فقط. وساهم هذا التحول في منح الإنسان استقراراً نفسياً ومعيشياً أدى إلى استقراره في مستوطنات دائمة بجانب مزروعاته، والالتفات والاهتمام أكثر بالنواحي الفكرية والحياتية بهدف الاستفادة منها في تطوير مختلف المجالات.

ويقسم العصر الحجري الحديث إلى مرحلتين أساسيتين هما "العصر الحجري الحديث قبل الفخاري" و "العصر الحجري الحديث الفخاري". وتقسم كلا المرحلتين إلى

مرحلتين فرعيتين هما "العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (أ)،(ب)" و "العصر الحجري الحديث الفخاري (أ)" ويعاصره الفترة اليرموكية، و "العصر الحجري الحديث الفخاري (ب)".

العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (أ) "خارطة رقم ١":

بلغ عدد المواقع المحتوية على مدافن (١٢) موقعاً (جدول رقم ١)، وتشير المدافن المكتشفة في تلك المواقع على استمرار إنسان هذا العصر في استخدام بعض أساليب وعادات الدفن المتَّبعة في المرحلة السابقة، كالدفن تحت الأرضيات السكنية ضمن المنطقة السكنية، وترك بعض المرفقات الجنائزية مع الجثث، ولكن بطقوس ومفاهيم دينية أكثر وضوحاً.

يعد موقع "أريحا" من أهمّ المواقع التي زودّتنا بأكبر عدد من المدافن في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "أ" في بلاد الشام. فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن حوالي "٢٧٦" هيكلاً بشرياً، مدفونة داخل حفر تحت الأرضيات السكنية وداخل المنطقة السكنية. وتشير الدراسات الأنثروبولوجية التي أجريت على الهياكل بأن من نصفها يعود لأطفال ويافعين. ويلاحظ أن أكثر من نصف المدافن كانت مدافن ثانوية، حيث ضمَّت أجزاءً فقط من الهياكل البشرية(٢).

وتتميز عادات الدفن في "أريحا" بدفن الهياكل بوضعية الثني غالباً باستثناء بعض الحالات التي تمثَّلت بوضعية الانقباض الشديد (القرفصاء) تحت أرضيات المساكن(٣). ودفنت الهياكل في الغالب داخل حفرة بسيطة التكوين، خالية من المظاهر المعمارية، تحت الأرضية السكنية، باستثناء حالة واحدة ظهرت فيها مظاهر معمارية، تمثَّلت بطوب طيني صغير يحيط بمدفن ضم هيكلاً لامرأة تبلغ من العمر ٣٠ عاماً، وقد لُفّت بحصير ظهرت أثاره على الهيكل، وعلى الطوب. وتمثَّلت المرفقات الجنائزية بعظمة

طويلة وجدت فوق الجمجمة(٤). كما تميَّزت أساليب الدفن في "أريحا" بوضع الجماجم المفصولة عن الجسد في مدافن خاصة بها، داخل حُفَر تحت الأرضيات. ومن الجدير بالذكر أن أسلوب نزع الجهجمة عن الجسد كان متعباً في الفترات السابقة بشكل أقل وضوحاً.

وعثرت "كنيون" في "أريحا" على ثلاثة مخازن للجماجم، ضمَّ المخزن الأول تسعة جماجم مفصولة، رتِّبت كل ثلاثة منها في وصف، وكان الوجه يتّجه نحو الغرب (٥). المخزن الثاني كان يضم ثمانية جماجم، ثلاثة منها لبالغين والباقي ليافعين وأطفال، صُفّوا على شكل دائرة (٦). وعدت محتويات المخزن الثالث كقربان تأسيس للمسكن، حيث ضمَّ خمسة جماجم لأطفال إضافةً لهيكل طفل بوضعية الانقباض، تحت حوض مدهون على أساس حجري، وقد عدَّ المسكن كمذبح نسبة إلى طريقة بنائه (٧).

كذلك عُثر على مدفن يضم هيكلاً لطفل تحت مجموعة من الحجارة تدعم حفرة العامود الداعم لسقف أحد المساكن. وقد عُدَّ هذا الهيكل كذلك كقربان تأسيس للمسكن(٨).

عثر في موقع "جلجال ١" الواقع على بعد (٢٠) كم شمال أريحا، على ثلاثة هياكل بشرية في مدفنين، فقد وُجد مدفن في المنطقة الواقعة بين المسكنين ذات الأرقام (٨) و(١٠) يضم هيكلين كاملين يعودان لأطفال، بينما وجد الهيكل البشري الثالث ناقص بسبب نزع الجمجمة عن الجسد، ممدد فوق مدفن الأطفال، ويُحتمل أن هذا الهيكل يعود لامرأة بالغة. ويشير تقرير الحفرية إلى وضع جزء من قدح بشكل عمودي على مدفن الهيكل البالغ، كما عُثر على جزء لقدح آخر موضوع على مدفن الأطفال (٩).

ولم تكشف التنقيبات الأثرية في السوية العائدة للمرحلة (أ) من العصر الحجري الحديث قبل الفخاري في موقع (وادي الفلاح) الواقع على بعد "١٠" كم جنوب مدينة "حيفا"، سوى عن هيكل بشري واحد مدفوناً داخل حفرة قليلة العمق تحت الأرضية.

كان الهيكل منزوع الرأس باستثناء الفك السفلي، موضوعاً على جانبه الأيمن، وبوضعية شبه القرفصاء. ويلاحظ الغياب الكامل للمرفقات الجنائزية المرافقة للهيكل(١٠).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "وادي بكر" الواقع على بعد "١٢" كم شمال "أريحا"، عن عدد من المدافن احتوت على مجموعة من بقايا بشرية بلغت حوالي "٢٨" هيكلاً، تمثّلت خمسة منها بالجمجمة فقط، وجدوا بحالة سيئة في غالبيتهم. دفنت الجثث داخل حفر قليلة العمق، وسجي فيها الهيكل على الجانب الأيسر غالباً، على الجانب الأيمن، بوضعية القرفصاء أو الثني الشديد، وبدون توجيه محدد للجثة (١١). وتميَّزت المدافن بوجود هيكل بشري واحد في أغلبها، باستثناء مدفن احتوى على هيكلين بالغين، نزعت الجمجمة عنهما واستعيض عنها بالفك السفلي فقط(١٢)، ومدفن آخر احتوى على جمجمة طفل مع بقايا لشخص بالغ (١٣).

وتعود غالبية الهياكل الكاملة المكتشفة إلى أطفال باستثناء حالة واحدة تعود لشخص بالغ (١٤).

ودُفنت الجماجم المنزوعة في مدافن منفصلة عن الهياكل غالباً، إذ عُثِرَ على جمجمة واحدة، وفي مدفن آخر على ثلاث جماجم (١٥). ويلاحظ الغياب الكامل للمرفقات الجنائزية في المدافن.

على بعد "٣" كم من اللطرون، عُثِرَ على خمسة مدافن فردية ضمت خمسة هياكل بشرية أربعة منها لبالغين، والخامس يعود لطفل رضيع. سُجّي اثنان من هياكل البالغين بوضعية شبه القرفصاء، واثنان بوضعية الثني الشديد (١٦). تميّزت مدافن "هاتولا" بوجودها تحت أرضيات السكن، وداخل حدود المنطقة السكنية، فقد عثر على أحد الهياكل في مدفن خارج المسكن الدائري وكان بوضعية سيئة جداً. بينما عثر على الهيكل الثاني في المنطقة (G) والتي تميّزت بكثافة الأدوات الصوّانية وعظام

الحيوانات في غياب أية بقايا معمارية، كما وجد في المدفن رأسين من السهام الخيامية بجانب الهيكل البشري (١٧). كما عثر على خرزة دائرية مثقوبة من الحجر الكلسي بجانب خد أحد الهياكل (١٨).

ويعد موقع "عراق الدب" الواقع على بعد حوالي "٧" كم جنوب-غرب عجلون، من أفضل الأمثلة على عائدات الدفن في الأردن خلال هذه الفترة، إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن مدفنين تحت الأرضيات الطينية للمساكن المشيدة من الحجارة غير المشذَبة داخل التجويف الصخري. واحتوى المدفن الأول على بقايا هيكل عظمي بشري لشاب يافع ممدد على ظهره ويداه ممدودتان على الجانبين. ويلاحظ أن المدفن موجَّه عمودياً باتجاه فتحة التجويف الصخري، مع توجيه الرأس جنوب-شرق. واحتوى المدفن الثاني على هيكل عظمي بشري لبالغ مسجّى على ظهره، بوضعية الثني الشديد. وتتميز مدافن "عراق الدب" بعدم احتوائها على أية مرفقات جنائزية (١٩).

وكشفت التنقيبات الأثرية في "وادي فينان ١٦" النقاب عن ثلاثة مدافن احتوت على ثلاثة هياكل، أحدهم نزعت الجمجمة عن الجسد ودُفنت في مدفن آخر (٢٠).

كما عثر في موقع "صبرا (١)" في البتراء، في جنوب الأردن، على بقايا بشرية مبعثرة. وتكوَّنت هذه البقايا من أجزاء فكين لرجل وامرأة بالغين، يظهر عليهما آثار حرق (٢١).

وعثر في السوية "أ" بموقع "تل أسود"، الواقع على بعد "٣٠" كم تقريباً إلى الشرق من "دمشق، على هيكل بشري كامل لرجل بالغ، ضمن حفرة في الأرض البكر، إضافة إلى وجود بعض العظام البشرية التي تشير إلى وجود هيكل عظمي لرضيع بالقرب من الذراع الأيمن للهيكل الأول. سجي الهيكل الأول على جانبه الأيمن، وبوضعية الانكماش، والرأس متجهاً شمال-شرق، واليدان موضوعتان على الوجه، والركبتان على ارتفاع الكوع الأيمن، بينما وجد الكوع الأيسر قليلاً إلى الأسفل. وتمثّلت

المرفقات الجنائزية المرافقة للهيكل بسكين صواني طوله "١١" سم، يشـــبه المنـــاجل الصوانية المستخدمة في تلك الفترة، مع الإشارة إلى عدم وجود اللمعان النـــاتج عـــن الاستعمال، عثر عليه بالقرب من الفك السفلي للهيكل. وتمثّلت المرفقـــات الجنائزيـــة المرافقة لهيكل الطفل بعدد من الأصداف. كما عثر في وسط الحفرة، وفوق العظـــام على "١١" قطعة من المغرة الحمراء (٢٢).

وعثر في السوية الثالثة "أ" بموقع "المريبط" على مدفنين، احتوى المدفن الأول الـــذي وجد داخل المسكن الدائري رقم "٢٢"، وتحت موقد مليّس بالغضار ومليء بالرمـــاد، على جمجمة نسوية وتصحبها عظام الأطراف بدون نهاياتـــها. وتمثّلـــت المرفقـــات الجنائزية المرافقة للبقايا البشرية بشظية صوانية فقط (٢٣). بينما عثر علـــى المدفـــن الثاني في الممر المؤدي إلى المسكن الدائري "٢٢" ويحتوي علـــى عظـــام القفـــص الصدري مع لوح الكتفين والحوض وعظام النهايات (٢٤)، ويعتقد بان هذه العظام هـــي تكملة للهيكل المدفون في المدفن الأول. وعثر في المدفن الثاني على مرفقات جنائزية تمثّلت بقضيب من الحجر المصقول على شكل تمثال بشري (٢٥).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "تل الشيخ حسن" على مدفنين أحدهما مدفناً أوليـــاً جماعياً يحتوي على هيكل لشاب بالغ وآخر لطفل، أما المدفن الثاني فكان عبارةً عـــن مخزن احتوى على ثلاث جماجم فقط (٢٦).

وعثر في موسم التنقيبات لعام ١٩٩٨ في موقع "جرف الأحمر" على هيكـــل بشـــري ممدد باتجاه شمال-جنوب، وقدماه مهشمتان على أرضية الغرفة المركزيـــة، مغطـــى بطبقة كثيفة من الرماد الناتج عن حريق في المسكن الدائري المقسَّم إلى ست غـــرف مستطيلة بواسطة جدران مستقيمة.

وعُثر في مكان قريب من المسكن على جمجمة منفردة، ولكن لا يوجد مـــا يثبـــت أن الجمجمة ذات علاقة بالهيكل (٢٧). وفي موسم سابق ظهرت ثلاث جماجم بشرية فـــي

حفرة موقد مقعَّر مملوء بالحصى. وحملت الجماجم آثار احتراق في أسفلها، مما يدل على أن الموقد كان مشتعلاً لحظة إيداعها، وقد سدّ الموقد ببلاطة حجرية (٢٨). كما وجد في مسكن دائري دون مستوى الأرض على جمجمتين داخل مدفن بالقرب من حفرة العامود الداعم للسقف (٢٩).

ونستطيع من خلال ما سبق ذكره تلخيص ميزات عادات الدفن وأساليبه في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "أ" بأن معظم المدافن المكتشفة قد عثر عليها ضمن المناطق السكنية وتحت الأرضيات، مما يشير إلى وجود استمرارية في أسلوب الدفن المتَّبع في الفترات السابقة. كما تميَّزت المدافن بكونها فردية للبالغين وتمديد الهياكل على الظهر أو على الجانبين، وغالباً على الجانب الأيسر، وبوضعية الثني أو القرفصاء. ومورست عادة نزع الجمجمة عن الجسد في مدافن البالغين، مع الاكتفاء بترك الفك السفلي مع الهيكل العظمي فقط. وبعد ظهور هذه العادة أسلوباً جديداً في أساليب الدفن المتَّبعة في هذه الفترة، إذ أنها لم تكن متَّبعة في الفترات السابقة. كما مورست عادة دفن الجماجم في مخازن خاصة بها داخل حفرة منفصلة بأعداد منفردة، غالباً كما هي الحال في مواقع "أريحا" و "وادي بكر" و "جرف الأحمر". واتَّبعت نفس الأساليب في مدافن الأطفال باستثناء عادة نزع الجمجمة عن الهياكل. ويلاحظ في هذه الفترة قلة المرفقات الجنائزية المكتشفة في المدافن عامة باستثناء القليل منها تمثّلت بأدوات صوانية وتمثال حجري، وأصداف، وقطع من المغرة الحمراء. كما لوحظ في مدافن البالغين عادة وضع حجارة كبيرة على أجساد الهياكل. كما لوحظ وجود دلائل على ارتباط عادات الدفن مع المواقد، وذلك من خلال وجود آثار حرق على الجماجم، والعظام، ووجودها بالقرب من المواقد، كما هو الحال في مدافن "جرف الأحمر" و "الشيخ حسن" و "وادي الفلاح" و "صبرا(١)" . والجدير بالذكر أن هذه العادة لوحظ وجودها على بقايا عظمية في الفترات السابقة، حيث عُثر على جماجم عليها آثار حرق كما هي الحال في "وادي الحمة (٢٧)" (٣٠)، و"خربة العاشق" (عين جيف

١)[٣١]، أو عادة الدفن بجانب المواقد في "الخرانة ٤"[٣٢]، أو "وادي الفلاح"[٣٣]، أو "شقبة" [٣٤]. ويمكننا افتراض أن عادة حرق العظام ربما كانت أحد أساليب الدفن المتَّبعة في سورية في الفترة الكبارية والنطوفية، مما يوضح أسباب قلة الهياكل العظمية وندرتها في المرحلة اللاحقة للعصر الحجري القديم فيها. ومن الأمور اللافتة للنظر قيام السكان بلف موتاهم بالحصير أو القصب، كما هو الحال في "إريحا"، مما يشير إلى اهتمام السكان بالحفاظ على موتاهم.

العصر الحجري الحديث قبل الفخاري (ب):

تشير التنقيبات الأثرية في بلاد الشام إلى ازدياد في عدد المواقع المحتوية على مدافن ضمنت بقايا عظمية بشرية، إضافة إلى ازدياد في عدد الهياكل العظمية البشرية المكتشفة (جدول رقم ٢)، مع استمرار أساليب الدفن نفسها مع تبلور وتجذر بعضها بشكل اكثر تنظيماً.

ويعد موقع "أريحا" مع أقدم مواقع بلاد الشام وأكثرها تزويداً بالمعلومات حول عادات الدفن وأساليبها في هذه المرحلة. فقد كشفت التنقيبات الأثرية عدد من مدافن، ضمَّت بقايا لحوالي (٢١٢) شخصاً، أكثر من نصفهم لأطفال ويافعين، تحت الأرضيات في المناطق السكنية، أو في المناطق المهجورة. وتميَّزت غالبية المدافن المكتشفة بكونها مدافن جماعية، ضمَّت هياكل مبعثرة [٣٥]. وسجيت الهياكل الفردية غالباً بوضعية الانقباض الشديد [٣٦]، باستثناء حالة تعود لشاب بالغ دفن بوضعية التمدد [٣٧]. وفسرت المنقبة العثور على بقايا طفلين، سجيا بوضعية القرفصاء، مدفونين تحت أرضية أحد المساكن بأنهما قرابين تأسيس للمسكن [٣٨]. وتشير الجماجم المفصولة عن الجسد المكتشفة في مدافن "أريحا" إلى تبلور وتجذّر هذه المرحلة، إذ أصبحت تعبر بوضوح عن ظاهرة ومعتقد ديني عند سكان هذه المرحلة، سواء من خلال إعادة تشكيل الجمجمة بالجص، أو من خلال تنوعها، أو توزيعها المكاني، أو أعدادها. فقد كشفت التنقيبات عن عدد من المخازن المحتوية على جماجم منفصلة عن الجسد مدفونة في

حفر تحت أرضيات المساكن. وتميَّزت المخازن بتنوع محتوياتها، فمنها ما احتوى على جماجم منفردة (٣٩)، ومنها ما احتوى على عدد من الجماجم (٤٠)، كما احتوى عدد من المخازن على جماجم مجصصة أو مدهونة (٤١). وعثر على جمجمتين تظهر عليهما آثار لبقايا دهان عليها (٤٢).

كشفت التنقيبات الأثرية لجان بيرو (L.Perrot)، و "جنيف دولفوس ومونيك لوشوفالية" (G.Dollfus and M.Lechevallier) في موقع "أبو غوش"، على بعد "١٥" كم جنوب-غرب القدس، عن بقايا لحوالي "٣٠" هيكلاً عظمياً، غالبيتها لبالغين. سجيت الهياكل على جانبها الأيسر وبوضعية الثني غالباً، وكانت غالبيتها منزوعة الرأس للبالغين. ويلاحظ أن الجمجمة تمثّلت في معظم الهياكل غير المكتملة بالفك السفلي فقط، كما هو الحال في الهياكل التي وجدت تحت الأرضيات الجصيّة للبيوت في وضعية القرفصاء (٤٣). وعثر في أحد المدافن على بقايا لأربعة أطفال حديثي الولادة أو أجنة تمثّلت بقايا أحدهم بهيكل كامل بينما تمثّلت بقايا الآخرين بالجمجمة فقط. كما كشف النقاب داخل حفرة قليلة العمق، تحت الأرضية المبلّطة لمدخل أحد الغرف، على مدفنين جماعيين، ومستودع يحتوي على جمجمتين مطليتين بالجص، كما عثر تحت الأرضية الجصية للغرفة على مدفن آخر (٤٤). ومن أساليب الدفن اللافتة للنظر في "أبو غوش" أسلوب وضع الحجارة على الهياكل، حيث عثر في أحد المدافن على هيكل بشري لشخص بالغ وضع فوقه حجر كبير. كما عثر على هيكلين يعودان لطفلين بوضعية انكماش، ووضع أحد الهيكلين في حفرة محاطة بالحجارة (٤٥). وتمثّلت المرفقات الجنائزية في مدافن أبو غوش بالأدوات الحجرية، حيث عثر في مدفن الجماجم المجصصة على حوالي "٢٠" قطعة جميلة مبعثرة من الصوّان، تتألف من فؤوس كبيرة وصغيرة مصقولة، ورؤوس رماح، ومناجل، ونصال طويلة غير مشذّبة، كما عثر في المدفن المكتشف في مدخل الغرفة على مجموعة من أدوات الطحن كالمدقات والأجران (٤٦).

وزودنا موقع "بيسامون" بأربعة مدافن وجدت داخل حفر احتوت على هياكل عظمية منزوعة الجماجم، كما عثر على مخزن في حفرة قليلة العمق، تحت أرضية مجصصة ومعبَّدة بالحجارة، كما عثر على مخزن في حفرة قليلة العمق، تحت أرضية مجصصة ومعبَّدة بالحجارة لمدخل أحد الغرف، يحتوي على جمجمتين، أعيد تشكيلهما بطلائهما بطبقة من الجص، لشخصين بالغين أحدهما لفتاة (٤٧).

وعثر في موقع "تل الشيخ علي"، الواقع بالقرب من بحيرة طبرية، على مدفنين ضما بقايا لستة هياكل بشرية فوق وتحت الأرضيات ضمن المنطقة السكنية. وتمثَّلت البقايا البشرية بهيكل بشري لرجل بالغ، وباثنين لإناث بالغات واثنين لأطفال والسادس تمثل فقط ببعض العظام البشرية التي تحمل آثار حريق. وسُجّيت الهياكل بوضعية القرفصاء (٤٨). وتمثَّلت المرفقات الجنائزية بعظام حيواني، يحمل بعضها آثار حريق، وأصداف (٤٩).

وأظهرت البقايا البشرية المكتشفة في المنطقة "ج" بموقع "خربة الخالدية"، الواقع على بعد "٩" كم غرب مدينة الناصرة في الجليل الأسفل، عن وجود نمطين للدفن في الموقع. فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا لسبعة هياكل بشرية، غالبيتها بوضعية سيئة، مدفونة تحت الأرضيات الجصية، أو في المباني المهجورة في مناطق سكنية مختلفة من الموقع. سُجّيت الهياكل بوضعية الثني في حالتين بينما وجدت الهياكل بوضعية سيئة (٥٠). وتتميز المرفقات الجنائزية في مدافن "خربة الخالدية" بتنوعها، حيث تمثَّلت بقطع صوانية موضوعة بين الأصابع (٥١). في أحد المدافن، وبحجر مقلاع ناعم في مدفن ثانوي آخر، احتوى على جمجمتين وبضعة قطع عظمية طويلة(٥٢).

وعثر في السوية السادسة في موقع "المنحطة" في غور الأردن فوق أرضية أحد الأكواخ على أجزاء من جمجمتين بشريتين مع قرنين لماعزيات (٥٣).

وتتميز أساليب الدفن المكتشفة في موقع "عتليت" الذي يبعد حوالي "٤٠٠-٥٠٠"م عن الساحل الحالي، وفي قاع البحر على عمق يتراوح بين "١٦-١٢متراً" تحت سطح الماء، وبالقرب من موقع "وادي الفلاح" بوجود أسلوب مختلف وجديد. فقد كشفت التنقيبات الأثرية النقاب عن أربعة مدافن احتوت على بقايا لخمسة هياكل لخمسة هياكل بشرية تعود لرجلين، وامرأة، وطفل، والأخير لشخص لم يتم تحديد جنسه. تتميز غالبية مدافن "عتليت" بكون غالبيتها فرديّة باستثناء مدفن واحد جماعي. تشير الدلائل إلى أن أسلوب دفن الجثة المتبع في مدافن "عتليت" كان بوضعية القرفصاء كما هو الحال في المدفن الفردي الذي عثر عليه بالقرب من موقد للنيران، واحتوى على هيكل بشري يعود لمرأة أو في المدفن الجماعي الذي ضمَّ في ثناياه هيكلين يعود الأول لرجل بالغ سُجّي بوضعية القرفصاء والهيكل الثاني لطفل يتراوح عمره بين (٣-٤) سنوات، عثر عليه بالقرب من الهيكل الأول. وتمَّت عملية الدفن بوضع الهيكلين الكاملين، متقابلين لبعضهما البعض. وتتميّز بقية الهياكل أيضاً بعدم نزع الجمجمة عنها كما هي العادة المتّبعة في تلك الفترة، كما يلفت النظر عملية تعرض الهياكل لعملية حرق مقصودة سواء في المدفن الفردي، أو المدفن الجماعي(٥٤). كما كشفت تنقيبات أثرية جرت عام ١٩٩٣-١٩٩٤ عن عددٍ آخر من الهياكل البشرية، إضافة إلى بعض المباني التي يمكن أن تكون ذات وظيفة دينية(٥٥).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "كفار هاهوريش" عن عدد من المدافن تحت الأرضيات الجصيّة، احتوت على بقايا عظمية بشرية، تمثّلت بهياكل بشرية وجمجمة منفصلة، واثني عشر فك سفلي. وتتكون غالبية مدافن "كفار هاهوريش" من مدافن ثانوية باستثناء مدفن واحد احتوى على بقايا بشرية متفرّقة. واحتوى أحد المدافن على بقايا لهيكلين بشريين منزوعي الرأس، إضافة لبقايا هيكل حيواني لغزال. كما عثر في مدفن آخر على بقايا هيكلٍ لماشية مُغطى جزء منه بالحجارة، كمرفقات جنائزية لهيكل بشري مدفون في هذا المدفن. كما عثر في أحد المدافن، التي طليت جوانبه بالجص،

على جمجمة بشرية مفصولة تعرضت لإعادة تشكيل من خلال طلائها بالجص، ودهنها بالألوان مع هيكل لغزال منزوع الرأس. كما عثر في مدفن على "٢٥٠" عظمة تعود لحيوان الأرخص* (Aurochs). وتتميز البقايا البشرية المكتشفة في المدافن بكونها مُمفصلة. كما عثر على "١٢" فك سفلي بشري. وتتميز المرفقات الجنائزية المرافقة للهياكل البشرية ببقايا حيوانية كاملة في بعض الأحيان، أو عظام حيوانية متفرقة (٥٦).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "مصطبة وادي الفلاح" عن عدد من المدافن احتوت على بقايا عظمية بشرية تمثّلت بثلاثة هياكل لبالغين وآخر لطفل تحت أرضيات أحد الغرف. سجيت الهياكل المكتشفة بوضعية الثني أو القرفصاء، وعلى جانبها الأيمن للبالغين وعلى الجانب الأيسر للطفل. وعثر على هيكل أحد البالغين وهيكل الطفل بدون جمجمة مع بقاء الفك السفلي في مكانه.

وتميزت المرفقات الجنائزية المكتشفة في المدافن بتنوعها في أحد المدافن على خرز مصنوع من الصدف، وحصى مصقولة، إضافة إلى سكين صواني مشذّب ذي مقبض عظمي. كما عثر في مدفن آخر على حلي مصنوع من الخرز، وحصى مصقولة، وملْوَق**. وعثر في مدفن موجود في الطرف الآخر من الغرفة على أجزاء من هيكل عظمي بشري يلتف على معصمه أسوارة مصنوعة من الأسنان. من الأمور اللافتة للانتباه تغطية أحد الهياكل المنزوعة الرأس بالحجارة (٥٧).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "هور الجليل"، الواقع في الجليل الأعلى، على بعد "١٤" كم غرب ساحل البحر الأبيض المتوسط، عن عدد من المدافن، داخل حفرة قليلة العمق تحت الأرضيات السكنية، احتوت على بقايا لسبعة هياكل بشرية تعود لثلاثة نساء ورجل وطفلين. وتميّزت غالبية المدافن المكتشفة بكونها فردية، باستثناء مدفن

* الأرخص: ثور برّي أوروبي شبه منقرض.

** ملْوَق: قطعة عظمية على شكل ملعقة خاصة.

جماعي واحد احتوى على بقايا لهيكل بشري لامرأة بالغة وآخر لطفل. سجيّت الهياكل المكتشفة عموماً بوضعية القرفصاء أو شبه القرفصاء (٥٨).

وعلى الرغم من عدم العثور على مدافن واضحة المعالم في موقع "بيت زيت ١" على بعد "٢,٥" كم من موقع "هور الجليل"، والواقع على بعد "١٥"كم من ساحل البحر الأبيض المتوسط في الجليل الأعلى، إلا أن تقارير المنقب تشير إلى وجود بعض العظام البشرية المتفرقة في الموقع (٥٩).

وكشفت التنقيبات الأثرية التي جرت ابتداءً من عام "١٩٨٢" وحتى عام "١٩٩٨" في موقع "عين غزال" الواقع على أوتوستراد عمان-الزرقاء، على بعد "١٢" كم شمال شرق عمان، عن عدد كبير من المدافن احتوت على بقايا بشرية لأكثر من مائة شخص. وتميَّزت المدافن المكتشفة في الموقع بكونها فردية في الغالب، أو ثنائية، تحتوي على رفات لشخص بالغ مع طفل. وتتميز مدافن "عين غزال بتنوع أساليب الدفن فيها، فقد عثر على مدافن تحت الأرضيات السكنية، احتوت على هياكل منزوعة الجماجم، سُجيت بوضعية القرفصاء، أو شبه القرفصاء، ومدافن في الساحات احتوت على هياكل منزوعة الجماجم، بوضعية القرفصاء، ومدافن خارج المسكن على هياكل كاملة، وأخيراً مدافن احتوت على هياكل أطفال قُدِّموا كأضاحي (٦٠).

كما عثر في موقع "عين غزال" على عدد من مستودعات ضمَّت عدداً من الجماجم المفصولة عن الجسد. فقد كشف في أحد الحفر عن (٤) جماجم موضوعة بشكل احتفالي، اثنان من هذه الجماجم تحمل آثار جص في تجويف العين، وجمجمة ثالثة تحمل آثار غليظة من القار تمتد أفقياً عبر الجزء الأسفل للجص الموجود على الجانب الأيمن لتجويف العين (٦١). وعثر كذلك على ثلاث جماجم في مستودع آخر، في حفرة قليلة العمق، تحت الأرضية بجانب الجدار الجنوبي-الشرقي لأحد الغرف (٦٢). وعلى جمجمة مجصصة داخل حفرة تحت الأرضية المجصصة لإحدى الغرف (٦٣).

كما عثر على ثلاث جماجم في موقع "عين غزال" اثنتين منهما تحملان بقايا آثار

للجص على العيون وواحدة تحمل آثار دهان باللون الأحمر (٦٤). كما عثر فوق أرضية أحد المساكن على قطع كبيرة من جمجمة بشرية فاقدة للوجه، وتبين عن تعرضها لعملية قشط بواسطة أداة حجرية بعد تعرضها بالكامل لدهان القحفة بالمغرة الحمراء (٦٥). كما عثر على قطع لثلاث جماجم مجصَّصة، وصفت سابقاً بأنها تمثال على رأس بشري (٦٦). ويتميز أسلوب دفن الجماجم المفصولة في "عين غزال"، بأنها دفنت بشكل جماعي، وداخل حفر قليلة العمق، باستثناء جمجمة واحدة، وجدت على أرضية أحد المساكن. وتتميز المدافن أيضاً بوجودها تحت الأرضيات المجصصة، وإلى الجنوب الشرقي من الموقد المغروزة في الأرضيات.

كما عثر المنقبون في السوية التي أطلقوا عليها مصطلح "العصر الحجري الحديث قبل الفخاري ج، على عدد من المدافن احتوت على ثلاث وثلاثين هيكلاً عظمياً بشرياً. وتميَّزت أساليب وعادات الدفن لهذه المرحلة باختفاء عادة فصل الجمجمة عن الجسد وبالمدافن الجماعية، بدلاً من المدافن الفردية التي ميَّزت المرحلة السابقة (٦٧). وتمثَّلت المرفقات الجنائزية المكتشفة في المدافن ببقايا عظام لخنازير اشتملت على جمجمة، وفك سفلي وعظام متفرقة للخنزير (٦٨).

وكشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت أعوام "١٩٨٩" و"١٩٩١" في موقع "وادي شعيب" في وسط الأردن، عن اثني عشر مدفناً احتوت على بقايا لواحد وعشرين شخصاً، إضافة إلى بقايا متفرقة لإثنى عشر شخصاً (٦٩). وتميَّزت المدافن على بقايا لثلاثة هياكل على الأقل تعود لطفل وشاب ويافع وشاب بالغ، بينما ضمَّ مدفن آخر بقايا هيكلين أحدهما لشاب بالغ والآخر لطفل. وتشير التقارير إلى أن وضعية القرفصاء هو الأسلوب المتَّبع في تسجية الهياكل الكاملة، كما يلفت الانتباه خلو المدافن من أية مرفقات جنائزية (٧٠). ولوحظ استخدام أسلوب الدفن المتمثّل بالاكتفاء بترك الفك السفلي فقط مع البقايا البشرية، كما هو الحال في المدافن ذوات الأرقام "٢"و"٨" إذ عثر على الفك السفلي فقط مع بقايا الهيكل البشري العائد لشاب بالغ. وهذا الأسلوب

كان قد راحوا يستخدمونه في بداية المرحلة "أ" من العصر الحجري الحديث قبل الفخاري [٧١]. وتميَّزت المرفقات الجنائزية بخرز حصوي، وتمثال لامرأة مصنوع من الجص [٧٢].

وعثر في موقع "البيضاء" في جنوب الأردن على حوالي "٤٥" هيكلاً بشرياً تحت أرضيات المساكن، وفي المساكن المهجورة والساحات. كانت غالبية الهياكل تخص أطفال وصبيان، وجدت هياكلهم كاملة، بينما وُجِدَت هياكل البالغين منزوعة الجمجمة، باستثناء الفك العلوي أو بعض الأسنان. وتميَّزت غالبية المدافن بكونها فردية، باستثناء مدفنين، احتوى أحدهما على ثلاثة هياكل لأطفال، والمدفن الآخر على طفلين. سجيت الهياكل على الظهر غالباً، بوضعية القرفصاء، باستثناء حالة واحدة سُجّي الهيكل فيها على جانبه الأيسر بكل عناية، بوضعية الثني ووضعت يداه على ركبتيه. ومما يلفت النظر، قلة المرفقات الجنائزية المرافقة للهياكل، إذ لم يعثر سوى على أربعة حبات خرز، وجدت بجانب الرأس وقرب الفم أو الأنف مرافقة لأربعة هياكل. كما أنه لم يعثر سوى على جمجمة منزوعة واحدة في أحد المدافن الفردية، دون أن تحمل آثاراً لتعرضها لعملية إعادة تشكيل [٧٣].

وكشفت التنقيبات الأثرية التي أجراها "حمزة محاسنة" في الفترة الواقعة بين "١٩٩٤"و"١٩٩٩" في موقع "إصفية"، الواقع على الموجب بجنوب الأردن، عن عدد من المدافن ضمن المنطقة السكنية في حفر تحت الأرضيات الجصية أو في القنوات الموجودة تحت الأرضيات. واحتوت هذه المدافن على بقايا لحوالي ثلاثين شخصاً، تمثَّلت بقايا اثني عشر منهم بالجمجمة فقط [٧٤]. وتتميز المدافن المكتشفة بكون غالبيتها فردية باستثناء مدفن واحد جماعي احتوى على بقايا لهيكلين بالغين. ويلاحظ استخدام أسلوب الدفن الأولي في المدافن الفردية غالباً، بينما استخدم السكان أسلوب الدفن الثانوي في المدفن الجماعي ومخازن الجماجم. مُدِّدت غالبية الهياكل على جانبها الأيمن باستثناء هيكل واحد على جانبه الأيسر، وبوضعية القرفصاء أو الثني [٧٥].

وتمثّلت المرفقات الجنائزية المكتشفة في المدافن بأدوات الزينة المصنوعة من الصدف أو العظام، أو الحجارة، إضافة إلى أدوات حجرية. وقد وجِدَت أدوات الزينة مع الهياكل دون تفريق في الجنس أو العمر، كما أنها وجدت على مختلف أنحاء الجسم(٧٦). وعثر على ست جماجم منزوعة في أربعة مخازن منفصلة عن المدافن. حيث عُثِرَ على ثلاث جماجم في أحد المخازن، وجمجمة واحدة في كل من المخازن الثلاثة الباقية. ويلفت الانتباه أن جميع الجماجم المكتشفة في الموقع لا تحمل أي آثار لتعرضها لإعادة تشكيل بواسطة الجص (٧٧).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "الغوير ١"، بالقرب من وادي فيدان في جنوب الأردن، عن مدافن، احتوى أحدها على جزء من جمجمة بشرية، وأخر احتوى على هيكل كامل لطفل، كما عثر على ثلاثة هياكل كاملة لبالغين (٧٨). وتمثّلت المرفقات الجنائزية بأدوات الزينة وعظام الحيوانات (٧٩).

ويشير تقرير عن نتائج تنقيبات "محمد وهيب" في موقع "عين الجماجم" إلى الكشف عن هيكل بشري كامل وجد فوق أرضية غرفة مستطيلة الشكل، تحتوي على كوتين، إحداهما ضمت بقايا جمجمة حيوان تبرز قرونه منها، بدون ذكر أي تفصيلات أخرى عن وضعية الهيكل أو وجود أي مرفقات جنائزية معه (٨٠).

وعلى الرغم من عدم الكشف عن مدافن واضحة المعالم في موقع "بعجة" الواقع على أحد الجبال المطلة على البتراء، بسبب عدم الوصول إلى أرضيات المساكن المكتشفة، إلا أن منقب الموقع يشير إلى العثور على بعض العظام البشرية مع عظام حيوانية وأدوات صوانية في تجمع للرماد (٨١).

وكشفت التنقيبات الأثرية "لاندريه مور" (A.Moore) في موقع "أبو هريرة"، الواقع على بعد ٣٦كم عن المريبط، على الضفة اليمنى لنهر الفرات، عن عدد من الهياكل العظمية البشرية مدفونة بشكل فردي، أو جماعي، داخل حفر قليلة العمق تحت

أرضيات المساكن أو الساحات الخارجية للموقع. وتميَّزت أساليب الدفن بثلاثة نماذج، وتمثل النموذج الأول بدفن الهياكل منفردة وبوضعية الثني مع وجود بعض الحالات التي نزعت فيها الجمجمة، والنموذج الثاني كان بدفن بعض الأجزاء أو مجموعة من الجماجم المنفصلة، وفي النموذج الثالث تمَّ دفن هياكل وجماجم مختلطة لأشخاص مختلفين. ويحتمل أن السكان كانوا يستخدمون وسيلة حرق الهياكل قبل دفنها، حيث عثر على هياكل وجماجم تحمل آثار الحريق. كما وجدت بعض الدلائل على أن السكان كانوا يلفون الموتى ببسط أثناء دفنهم. وعثر على بعض الهياكل وجمجمة مدهونة بالمغرة الحمراء (٨٢). وقد عثر على عدد قليل من المرفقات الجنائزية التي تمثلت بقطعتين من حصى النهر، وجدتا فوق وبجانب الهيكل، وأدوات الزينة كالقلائد، والخرز (٨٣).

وكشفت تنقيبات دو كونتنسون (de Contenson) في السوية الثانية "ب" بموقع "تل أسود"، في حوض دمشق، عن حفرة ضمَّت مدفناً جماعياً احتوى على عدد من الهياكل العظمية البشرية على مسافات متباعدة. وتمثّلت الهياكل بهيكل بشري لشاب بالغ، بوضعية الثني، وممدد على جانبه الأيسر، ويده اليمنى موضوعة فوق الجمجمة، وبهيكلين لأطفال أحدهما مبعثر، وبجمجمة لشاب بالغ، نزع منها الفك السفلي والذي وضع بجانبه، وأربع جماجم مفصولة اثنتان منها لأطفال وعظام بشرية غير مرتّبة. كما عثر في الجانب الغربي للسبر التجريبي على جمجمة منفصلة، نزع منها الفك السفلي، على الأرض البكر. وتمثّلت المرفقات الجنائزية للهياكل بخرزة من الصدف، وأربعة مناجل صوّانية، ورأسي سهام، وملوق عظمي كبير، وجزء من ملوق عظمي مشابه فوق اليد اليسرى للهيكل البالغ، ودلّاية مصنوعة من الحجر الكلسي، ذات شكل دائري منبسط (٨٤).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "تل الرماد"، على بعد "٣٠" كم من دمشق، عن بقايا لحوالي "٣٥" هيكلاً بشرياً مدفونة داخل حفر قليلة العمق تحت الأرضيات المجصصة

في المساكن، أو في الساحات الخارجية. ودفنت غالبية الهياكل بشكل غير مكتمل باستثناء القليل منها وجد مكتملاً بوضعية الثني. وتميّزت المدافن المكتشفة في "تل الرماد" بكونها أولية وثانوية، إذ كشفت التنقيبات عن مدفنين احتوى أحدها على طفل مسجّى على جانبه الأيمن، بوضعية الثني، ورأسه باتجاه الغرب، بينما وجّه الوجه نحو الجنوب. وارتكزت جمجمته على لوح حجري مستطيل الشكل من البازلت (٨٥)، بينما يعود الهيكل الثاني لامرأة بالغة سجيت على جانبها الأيسر، بوضعية الثني، والرأس نحو الغرب. كما عثر مع هيكل المرأة على بقايا لطفل يبلغ من العمر شهرين ونصف(٨٦). كما عثر على مدافن ثانوية تحتوي على جماجم منفصلة أو بقايا لهياكل عظمية بشرية. فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن ثلاثة مخازن مدفونة تحت الأرض، احتوت على جماجم منزوعة عن الهياكل، فقد احتوى المخزن الأول على ثماني جماجم منزوعة عن الهياكل، إضافة إلى جزء من تمثال طيني، مدهون باللون الزهري. وتكوّنت هذه المجموعة من خمسة جماجم أنثوية، واثنتان ذكريه وواحدة لطفل (٨٧). واحتوى المخزن الثاني على ثلاث جماجم لامرأتين ورجل (٨٨). واحتوى المخزن الثالث على حوالي اثنتي عشرة جمجمة مجصصة ومدهونة باللون الأحمر، موزّعة في مجموعات صغيرة، ومفصولة عن بعضها بعضاً بواسطة رؤوس طينية مطلية بالجص ومدهونة باللون الأحمر (٨٩). ورافق الجماجم المجصصة تماثيل طينية تمثل أشخاصاً جالسين بأحجام كبيرة (٩٠). وتشير الدراسات الأنثروبولوجية التي جرت على الجماجم المفصولة، بأن عملية فصل الجماجم لم تقتصر على جماجم الرجال فقط، وإنما مورست كذلك على هياكل النساء والأطفال أيضاً (٩١).

وكشفت تنقيبات "جاك كوفان" (J.Cauvin) في السوية الرابعة "ب" بموقع تل المريبط عن مدفنين فرديين تحت أرضية أحد المساكن. احتوى المدفن الأول على هيكل عظمي كامل لشخص بالغ، بينما احتوى المدفن الثاني على بقايا لهيكل بشري ارتكزت جمجمته على وسادة من الطين الأحمر. كما عثر على خمس جماجم منعزلة بحذاء

الجدران، وأغلبها كان موضوعاً فوق كتلة من الطين الأحمر استخدمت كقاعدة. ومن الملاحظ أن هذه الجماجم لم تتعرض لعملية إعادة تشكيل بالجص (٩٢).

وكشفت تنقيبات أثرية عام ١٩٩٣ بإشراف "د.ستوردر" (D.Stordeur) في السوية المؤرخة للعصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب"، في تل "تل الشيخ حسن" عن سبعة مدافن، كان اثنان منها ثنائياً، بينما لم يستكمل التنقيب في المدافن الباقية (٩٣).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "جعدة المغارة"، الواقعة على بعد "٣٠" كم إلى الجنوب من مدينة جرابلس، عل الضفة اليسرى لنهر الفرات، عن عدد من المدافن ضمَّت حوالي "٣٨ هيكلاً بشرياً، غالبيتهم من الأطفال تحت أرضيات أحد المساكن(٩٤). وتميزت مدافن الموقع غالباً باستخدام أسلوب الدفن الثانوي والذي تمثَّل بدفن بعض الأعضاء أو جماجم منفصلة لأطفال أو لشباب بالغين داخلها، أو بأسلوب الدفن الأولي. فقد عثر على مدفن تحت موقد للنار ضمَّ جمجمتين لأطفال (٩٥)، كما عثر في أحد المساكن على مدفن جماعي (٩٦). وكذلك عثر في أحد المدافن على بقايا لشخص بالغ بوضعية شبه القرفصاء، ماسكاً طفلاً يواجهه، ويضع يده على جمجمة منفصلة (٩٧). ويحتمل أن السكان كانوا يلفون موتاهم بالحصير أثناء دفنهم، حيث عثر في أحد المدافن الجماعية على آثار لبقايا حصير (٩٨). وتمثَّلت المرفقات الجنائزية بتمثال حجري يمثل شكلاً بشرياً يحمل زخارف تمثل أحزمة على الصدر والخصر(٩٩).

ويتميز موقع "تل حالولة، على الضفة اليمنى لنهر الفرات، بالقرب من مدينة جرابلس، بتنوع كبير في ممارسات الدفن وطقوسه في السويات الأقدم، التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب. فقد عثر في مسكنين على ٤–٥ مدافن بكل مسكن، تحت أرضياتها. ضمَّت المدافن غالباً بقايا هياكل عظمية بشرية لأطفال، بعضها تمثَّل بأجزاء من الهيكل. إضافة إلى ذلك فقد عثر على "٥" مدافن موزعة في مناطق مختلفة

من الموقع (١٠٠). كما عثر تحت أرضيات أحد المساكن على مدفن يضم عـــدداً مـــن الجماجم (١٠١). وكذلك عثر تحت أرضيات مسكن آخر على "٩"مدافن، داخـــل حفـــر دائرية الشكل، قليلة العمق، ضمَّت هياكل سُجِّيت بوضعية القرفصاء، وكذلـــك ثنيـــت الأيدي والأرجل ووضعت بجانب الجسد (١٠٢). وتمثّلت المرفقات الجنائزيـــة بـــأدوات زينة، حيث عثر على هيكل بشري لطفل يحمل أسوارة بينما حمل هيكل المرأة البالغـة رباط مصنوع من الصدف المثقوب (١٠٣). ومن الأمور اللافتة للنظر في أساليب الدفن في الموقع عملية إغلاق المدافن بترسبات وطوب منبســـط ثـــم تغطيتـــه بالأرضيـــة المدهونة (١٠٤). كما عثر في أحد المدافن على بقايا لمواد نباتية بين الـــهياكل وحـــدود المدفن (١٠٥).

ومما سبق ذكره، فإننا نستطيع التحدث عن المميزات العامة لعادات الدفن في العصـــر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب"، بان الدفن في هذه المرحلة كان دفناً فردياً، فـــي الغالب، داخل حفر قليلة العمق داخل المنطقة السكنية. ونستطيع القـــول بـــأن جميـــع المدافن المكتشفة في مواقع (العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب") قد عثر عليها ضمن المنطقة السكنية مما يشير إلى استمرار اعتقاد سكان هذه المرحلة بوجود رابطة وعلاقة مستمرة بين الأحياء والأموات، من خلال استخدامهم لأسلوب المدفن ضمـــن المنطقة السكنية. وعلى الرغم من وجود المدافن ضمن المنطقة السكنية إلا أن توزيعها المكاني تميَّز بتنوع أنماطها، فقد عثر على المدافن غالباً في حفر تحـــت الأرضيـــات الجصيّة للمساكن في أغلب المواقع كما هي الحال فـــي "أريحـــا"، و"عيـــن غـــزال"، و"البسطة"، و"البيضا"، و"وادي شعيب"، و"وادي الفلاح"، و"أبو غـــوش"، و"المريبـــط"، و"تل الرماد"، وغيرها، كما عثر على مدافن بجانب الجدران وفوق الأرضيات في "تل الشيخ علي"، و"المنحطة"، و"خربة الخالدية" ،"عين الجمـــاجم"، وأو داخـــل المســـاكن المهجورة في "البيضا"، و"خربة الخالدية"، و"عين غزال"، و"البسطة"، وفي الممـــرات المؤدية إلى المساكن في "المريبط، وفي مداخل الغرف في "أبو غوش". كما عثر على

هياكل مدفونة داخل القنوات الموجودة تحت المساكن في "البسطة"، و"إصفية". كما عثر على مدافن في المصاطب الأمامية للكهوف مثل "مصطبة وادي الفلاح"، وفي حفر النفايات في "عين غزال"، أو فوق الأرض البكر في "تل أسود".

ومن الأمور اللافتة للنظر استمرار أسلوب قيام السكان بلف جسد المتوفى بالبسط أو الحصير أثناء دفنه، كما هي الحال في مواقع "تل أبو هريرة و"جعدة المغارة، مما يوحي بازدياد اهتمام السكان بالمحافظة على هيكل المتوفى بشكل أكبر.

ويلاحظ في مدافن هذه المرحلة، استمرار السكان باستخدام أسلوب تغطية الهياكل أو الجماجم بالحجارة لحمايتها، كما هو الحال في مواقع "أبوغوش" ,"مصطبة وادي الفلاح"، وهو أسلوب كان مستخدماً في الفترات السابقة، أو تغطية المدفن بالترسبات والطوب كما هو الحال في موقع "تل حالولة". كما لوحظ في بعض الحالات إسناد الجماجم بقواعد طينية كما هو الحال في موقع "تل الرماد"، و"المريبط".وتتميّز بعض المواقع بوجود نسبة كبيرة من هياكل الأطفال كما هي الحال في مواقع "البيضا"، و"أبو هريرة"، و"جعدة المغارة"، ,"تل حالولة".

كما تميَّزت عادات الدفن بتبلور وتجذّر ظاهرة دفن الجماجم المفصولة عن الهياكل في مدافن خاصة بها مفصولة عن مدافن الهياكل. وتشير التقارير الأثرية إلى أن بداية ظهور ظاهرة فصل الجماجم عن الجسد قد بدأت تظهر بشكل استثنائي اعتباراً من الفترة النطوفية، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في موقع "عين الملاحة" عن عدد من الجماجم المفصولة (١٠٥). واستمر اتباع هذه العادة في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "أ"، حيث كشفت التنقيبات الأثرية في موقع "أريحا"، و"وادي بكر"، و"جعدة المغارة"، عن عدد من الجماجم المفصولة المدفونة في حفر.

ومع بداية العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب"، بدأت هذه العادة بالتبلور والتجذّر في أساليب وعادات الدفن لهذه المرحلة. إذ أصبحت الجماجم تدفن بشكل

مقصور من قبل السكان في حفر خاصة بها ومفصولة عن مدافن الهياكل، إضافة إلى تعدد أساليب التعامل مع الجماجم المفصولة، إذ تعامل السكان مع الجماجم المفصولة بثلاثة طرق هي:

١- عدم تعريض الجمجمة إلى أية معالجة خاصة: ويعد هذا الأسلوب استمراراً للفترات السابقة. وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن نماذج لهذا الأسلوب في غالبية مواقع هذه المرحلة كمواقع "أريحا"، و"خربة الخالدية"، و"تل الشيخ علي"، و"المنحطة"، و"إصفية" و"عين غزال"، و"البيضا"، و"عين الجمام"، و"أبو هريرة"، و"المريبط"، و"جعدة المغارة"، و"حالولة".

٢- طلاء الجمجمة بالدهان: وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن نماذج لهذا النمط من التعامل مع الجماجم المفصولة، كما هو الحال في جماجم "عين غزال"، و"أريحا"، و"كفار هاهوريش"، و"أبو هريرة"، و"تل الرماد".

٣- إعادة تشكيل الجمجمة من خلال طلائها بالجص، وتعبئة تجويف العين بالصدف، كما هو الحال في معظم المواقع المكتشفة في بلاد الشام مثل "أريحا"، و"عين غزال"، و"تل الرماد"، و"أبو غوش"، و"بيسامون"، وغيرها. ويعد هذا الأسلوب خاصاً بالعصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب"، إذ أن هذا النمط من التعامل مع الجمجمة لم يكن موجوداً في الفترات السابقة، ولم يعثر على أي دليل على استمراره بعد نهاية هذا العصر.

وقد وضعت تفسيرات عديدة من قبل العلماء لعملية إعادة تشكيل الجمجمة بواسطة الجص، منذ بداية اكتشاف الجماجم المجصصة في "أريحا" أولاً ثم في مناطق مختلفة في منطقة بلاد الشام كمواقع "أبو غوش"، و"بيسامون"، و"كفار هاهوريش"، و"عين غزال"، و"تل الرماد"، وغيرها.

فقد فسرت كينون (Kenyon) هذه العملية في البداية بأنها مرتبطة بعبادة الأجداد

(Ancestre Cult) [١٠٦]. وقد لاقت هذه النظرية قبولاً من العديد من الباحثين مثل جاك كوفان (J.Cauvin)، وهنري دو كونتنسون (H.de Contenson)، وفرانسيس أور (F.Hours)، وجاري رولفسون (G.Rollefson)، وغيرهم [١٠٧]. كما فُسِّرت هذه العملية بأنها مرتبطة بعبادة الأخصاب [١٠٨]. وفسَّرت أيضاً بأنها تمثل شكلاً حقيقياً للشخص المتوفى [١٠٩]. وتتجه كول (Cole) إلى اعتبار فصل الجمجمة عن الجسد ودفنها بصورة مستقلة ربما يتصل بعقيدة عبادة الجمجمة [١١٠]. ومما يسترعي الانتباه وجود شبه بين ذلك التقليد من حيث كسوة الجمجمة بالجص والتقليد الذي لا يزال متعباً جزئياً حتى الآن في ميلانيزيا [١١١]. كما فسرها البعض بأنها محاولة لتقديم الاحترام للموتى.

ويلاحظ ان أسلوب نزع الجمجمة لم يقتصر على الذكور فقط بل مورس أيضاً على النساء، كما هو الحال في جماجم "بيسامون"، و"تل الرماد".

ويتميز أسلوب دفن الجماجم بدفنهم في اكثر الأحيان في مجموعات، داخل حفر قليلة العمق، غالباً ما تكون بأرقام فردية، مما يوحي بوجود غاية وهدف معين لدى السكان لاستخدام هذا الأسلوب.

ومن الأمور اللافتة للنظر عدم استخدام أسلوب إعادة تشكيل الجمجمة في المنطقة الشمالية من منطقة شمال بلاد الشام، بالرغم من العثور على العديد من الجماجم المنفصلة، على العكس من منطقة جنوب بلاد الشام التي كان فيها هذا الأسلوب شائعاً بشكل كبير.

العصر الحجري الحديث الفخاري:

يقسم العصر الحجري الحديث الفخاري إلى مرحلتين فرعيتين هما: "العصر الحجري الحديث الفخاري "أ" ويعاصره الفترة اليرموكية، و"العصر الحجري الحديث الفخاري

"ب"".

تشير نتائج التنقيبات الأثرية في مواقع العصر الحجري الحديث الفخاري إلى انخفاض حاد في عدد الهياكل المكتشفة. فعلى الرغم من الكشف عن عدد كبير من مواقع هذا العصر، فلم تكشف التنقيبات الأثرية سوى عدد قليل من المدافن فيها، مما انعكس على عدد الهياكل المكتشفة (جدول رقم ٣).

الفترة اليرموكية:

لا تزال معلوماتنا عن أساليب الدفن وعاداته في الفترة اليرموكية قليلة بسبب قلة المواقع المكتشفة العائدة لها، إذ أن التنقيبات الأثرية لم تكشف سوى عن عدد قليل بسبب قلة المواقع التالية: "الأقحوانة"، و"شارع حشبان شمالي يافا"، "المنحطة"، و"وادي شعيب".

كشفت التنقيبات الأثرية في موقع "الإقحوانه"، الواقع على نهر اليرموك، في غور الأردن، على مدفن يحتوي على هيكل بشري ممدد على ظهره، وبوضعية القرفصاء تحت أرضية أحد الأكواخ. وتمثّلت المرفقات الجنائزية الموضوعة في المدفن بجانب وتحت الهيكل بأنواع مختلفة من الأدوات الصوانية وكسر عظمية حيوانية، وحصى نهرية محززة، وأدوات عظمية محززة، إضافة إلى تمثال مكسور [١١٢].

وعثر في السوية الثالثة بموقع "شارع حشبان"، شمال يافا، على هيكل بشري كامل بوضعية الثني داخل حفرة. وكان الهيكل مغطى ببعض الحجارة ومحاط بدائرة من الحجارة. كما ضم المدفن قطعتين من الفخار اليرموكي [١١٣].

وعثر في السوية الثانية "ب" في موقع "المنحطة" على هيكل بشري كامل بوضعية الثني مدفون في الحفرة رقم "٧٣٨"، كما ضمَّت الحفرة بعض القطع الفخارية اليرموكية [١١٤].

وكشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت عام ١٩٨٩ في موقع "وادي شعيب" في وسط الأردن عن مدفنين. ضمَّ المدفن الأول رفات هيكل بشري يعود لطفل مسجى بوضعية القرفصاء داخل حفرة تحت أرضية طينية لأحد المساكن. ويتميَّز المدفن بإحاطته بعدد من الحجارة بشكل دائري ومغطى بالطين. أما المدفن الثاني، فهو مدفن ثانوي احتوى على بقايا لهيكل عظمي يعود ربما لشخص بالغ لم يبق منه سوى العظام الطويلة التي جاءت مرتبة بجانب بعضها، بشكل متواز وباتجاه شمال-جنوب. وتتكون المرفقات الجنائزية المرافقة للبقايا العظمية من فك حيوان موضوع أسفل الجثة [١١٥].

ولم تكشف التنقيبات الأثرية في مواقع "عين راحوب"، و"عين غزال"، و"أبو الثواب"، و"تل وادي فينان" عن أية مدافن فيها [١١٦].

ويلاحظ مما سبق ذكره، بأن التشابه كان كبيراً في أساليب الدفن في جميع المواقع، مما يمكننا من تلخيص مميزات الدفن في الفترة اليرموكية بما يلي:

١- كان الدفن فردياً.

٢- كانت المدافن أولية .

٣- كان الدفن ضمن المنطقة السكنية.

٤- كان الدفن بوضعية الثني.

٥- اختفاء عادة فصل الجمجمة عن الجسد كما كان متبعاً في الفترة السابقة ودفن الجثة كاملة.

٦- تمثّلت المرفقات الجنائزية المرافقة للهياكل بالأدوات الصوانية والفخارية غالباً إضافة إلى عظام الحيوانات، وقطع فنية.

العصر الحجري الحديث الفخاري (ب):

تشير التقارير الأثرية إلى وجود زيادة نسبية في مواقع هذا العصر مقارنة مع مواقع المرحلة السابقة، فقد كشفت التنقيبات الأثرية النقاب عن مدافن في "١٤" موقعاً (جدول رقم ٣).

كشفت التنقيبات الأثرية في سوية العصر الحجري الحديث الفخاري المتأخر في موقع "أبو زريق"عن بقايا لهيكلين بشريين داخل حفرة. كما عثر في الحفرة أيضاً على "٥" جرار كاملة وبعض الأدوات الصوانية (١١٧).

وعثر في السوية العليا في موقع "عسقلان" على القليل من البقايا البشرية. وتمثَّلت المكتشفات ببقايا لشاب يافع يبلغ من العمر "١٥" عاماً، وبقايا لشاب بالغ، إضافة إلى بقايا بشرية غير محددة الجنس أو العمر (١١٨).

وظهر في موقع "تل تيو"، الواقع في المنحدر الغربي لوادي الحولة، أسلوب جديد للدفن تمثَّل بدفن هياكل لأطفال مدفونة تحت الأرضيات في بعض الجرار الفخارية، إلى جانب أسلوب الدفن المتَّبع، وهو دفن أطفال داخل حفر، بوضعية القرفصاء، تحت أرضيات المساكن، إضافة إلى هيكل بشري لشاب يافع، ينقصه الفك السفلي، بوضعية الثني (١١٩).

وظهر نفس الأسلوب في السوية "ب" بالمنطقة "ب" بموقع "تل القاضي"، إذ عثر على هيكل بشري لطفل داخل جرة فخارية، مصاحبة بأدوات صوَّانية وبزبديَّة بازلتية ذات قواعد عالية. كما عثر على جزء لجرة ثانية لا تحتوي على أية بقايا بشرية في نفس السوية، باستثناء بعض الكسر الفخارية (١٢٠).

كما ظهر مثال آخر لهذا الأسلوب في موقع "تل قطيف"، حيث عثر داخل جرة مكسورة على هيكل لطفل عمره شهر واحد، موضوع على جانبه، وركبتاه مثنيَّتان، وغطي الهيكل بكسرة كبيرة من نفس الجرة. ولم يعثر على أية مرفقات جنائزية مرافقة للهيكل (١٢١).

وكشفت التنقيبات الأثرية في موقع "عين الجربة"، في الجنوب-الغربي من سهل مرج ابن عامر، عن مدفن ثانوي يحتوي على خمسة جماجم (١٢٢).

وعثر في السوية الرابعة بموقع "كابري". بالقرب من نبع الفوارة في الجليل الغربي، على هيكل بشري بوضعية الثني بجانب وتحت أرضية أحد المنازل الدائرية (١٢٣).

وكشفت التنقيبات الأثرية في السوية العائدة لفترة العصر الحجري الحديث الفخاري المتأخر بموقع "اللد"، الواقع بالقرب من موقع "اللد"البيزنطي، عن ثلاثة مدافن داخل حقر.

احتوى المدفن الأول على بقايا لهيكل بشري يعود لشاب بالغ، كما عثر على ملْوَق كبيرة بجانب الجثة، واحتوى المدفن الثاني على هيكل يعود لامرأة شابة، وتمثَّلت البقايا البشرية المكتشفة في المدفن الثالث بالفك السفلي فقط لرجل بالغ مع عظام حيوانية. وسجِّيت الهياكل البشرية الكاملة بوضعية الثني (١٢٤).

وعثر في السوية العائدة لفترة العصر الحجري الحديث الفخاري المتأخر في موقع "نحال بيت زيت ١"، الواقع على بعد "١٥" كم من ساحل البحر الأبيض المتوسط في الجليل الأعلى، على مدفن يحتوي على هيكل بشري لشخص بالغ. سجيت الجثة المنزوعة الرأس على ظهرها، بينما وضعت اليد على الخد (١٢٥).

ويشير تقرير نتائج تنقيبات حفرية موقع "نفه يام" إلى عثور المنقب على عظمة بشرية واحدة تعود لطفل بين العظام الحيوانية (١٢٦).

كما كشفت مسوحات تحت الماء في موقع "نفه يام"، الواقع على بعد "٣" كم جنوب قلعة "عتليت"، عن صف من المدافن يتألف من ستة مدافن دائرية محفورة في القاع الطيني للبحر، خارج نطاق الموقع. احتوت المدافن على بقايا لأربعة رجال وطفل وجنين. دفنت هياكل البالغين، في الغالب، كاملة، بوضعية القرفصاء، مع وجود حالات لنزع الجمجمة عنها. كما عثر على مدفن آخر يضم بقايا لجنين على بعد "١٣"م من المدافن السابقة الذكر. كما عثر على بعض المنشآت المعمارية الدائرية التي يتوقع أنها ذات وظيفة دينية (١٢٧).

كما عثر في موقع "زهورا ٢" على هيكل لجنين موضوع داخل جرة فخارية مدفونة داخل حفرة بجانب الجدار الشمالي لأحد الغرف، واستندت الجرة ببعض الحجارة الصغيرة وكسر من أدوات الطحن (١٢٨).

وكشفت التنقيبات الأثرية في السوية الثالثة في موقع آخر عن مدفنين تحت الأرضيات السكنية، احتوى المدفن الأول على بقايا لعظام بشرية تمثّلت بعظم الفخذ وعظم الساق لشخص بالغ، بينما احتوى المدفن الثاني على بقايا لعظام بشرية تعود لطفل (١٢٩).

وكشفت التنقيبات الأثرية التي أجراها "إدوارد بانتج" في أعوام "١٩٨٧-١٩٩٠-١٩٩٢" في السوية العائدة للعصر الحجري الحديث الفخاري المتأخر بموقع "طبقة البومة"، بالقرب من وادي زقلاب، عن بقايا لعشرة هياكل عظمية، سبعة منها تعود لأطفال وواحد لامرأة واثنان غير محددان الجنس والعمر. ودفنت الهياكل في مدافن فردية غالباً باستثناء مدفنين وجد بداخلهما هيكلين في كل مدفن، ففي المدفن الأول عثر على بقايا لهيكلين بالغين، بينما عثر في المدفن الثاني على هيكلين يعودان لأم وطفلها. وتزينت المرأة بعقد مصنوع من الصدف. وسجّيت بعض الهياكل بوضعية القرفصاء، وعلى الجانب الأيمن في حفر تحت الأرضيات، بينما سجي البعض الآخر من الهياكل بوضعية التمدد داخل مدافن شيدت بالحجارة وغطيت بألواح حجرية. وتمثّلت المرفقات الجنائزية بكسرتين لفوهة وبعض القطع الصوانية (١٣٠).

وكشفت التنقيبات الأثرية لبعثة وطنية سورية في موقع "قميناس"، الواقع على منحدر طبيعي في الطرف الغربي من قرية (قميناس الحديثة)، على وادي أريحا، على بعد "٦" كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة إدلب، حوالي "٥٠٠" متر تقريباً من "تل دينيت" الأثري، على مدفن يحتوي على هيكلين عظميين بشريين إلى جانبهما فاس حجري(١٣١).

ومن خلال ما سبق ذكره، يتضح اتباع السكان لأساليب دفن جديدة في فترة العصر

الحجري الحديث الفخاري. وتتمثل هذه الأساليب بدفن هياكل الأطفال في جرار فخارية داخل حفر في المناطق السكنية، بينما دفنت هياكل البالغين في مناطق خارج حدود الموقع.

وأخيراً، فإن ما سبق ذكره يشير إلى وجود استمرار في استخدام بعض الأساليب والعادات المتّبعة في السابق، كالدفن تحت الأرضيات، وبوضعية القرفصاء، والثني، إلى جانب بعض العادات والأساليب الجديدة الناتجة عن التطور الثقافي، والفكري، والاقتصادي كدفن الجماجم المنزوعة في مدافن خاصة، أو إعادة تشكيلها من جديد بالجص، أو بدهنها لاستخدامها، وعرضها في المناسبات المختلفة على منصات خاصة، أو داخل الكوى. كما أن ظهور أسلوب الدفن داخل الجرار، وخارج المنطقة السكنية يشير بوضوح إلى وجود مفهوم جديد عند الإنسان يلغي الفكرة السابقة باستمرار ارتباط المتوفى مع الأحياء.

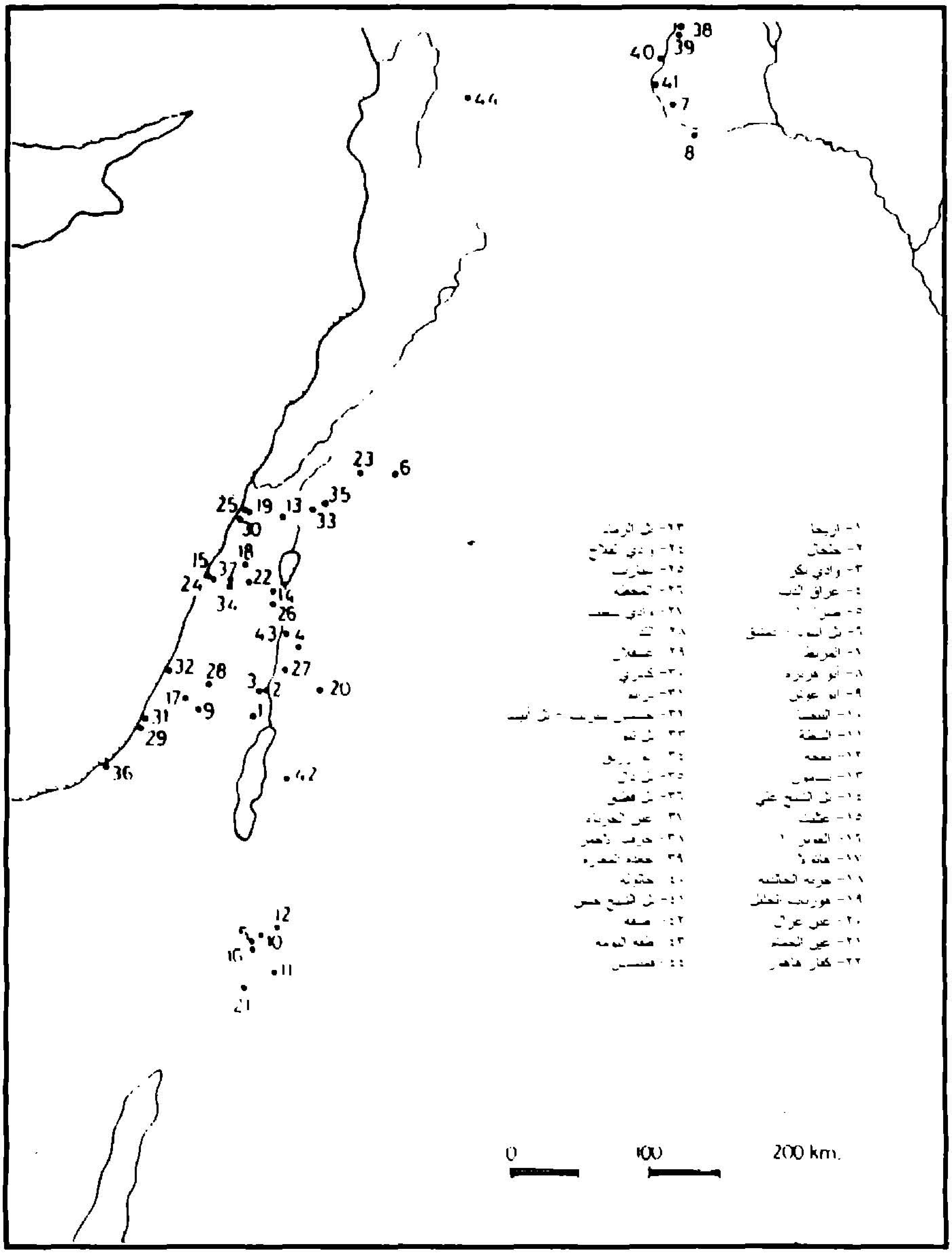
0
100
200 km.

الجدول رقم (١): مدافن العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "أ":

اسم الموقع	بالغ			يافع	طفل	المجموع
	ذكر	أنثى	غير محدد			
أريحا	٤٩	٦٦	٥	٤٩	١٠٧	٢٧٦
تل أسود-دمشق	١	–	–	–	١	٢
تل الشيخ حسن	١	–	–	–	١	٢
تل المريبط	–	١	١	–	–	٢
جرف الأحمر	–	–	٥	–	–	٥
جلجال "١"	–	١	–	–	٢	٣
عراق الدب	١	–	–	١	–	٢
صبرا "١"	١	١	–	–	–	٢
هاتولا	–	–	٤	–	١	٥
وادي بكر	٨	٣	١	٧	٩	٢٨
وادي الفلاح	–	–	١	–	–	١
وادي فينان "١٦"	–	–	٣	–	–	٣

الجدول رقم (٢): مدافن العصر الحجري الحديث قبل الفخاري "ب" و"ج":

اسم الموقع	ذكر بالغ	أنثى بالغة	غير محدد	يافع	طفل	المجموع
أبو غوش	٦	٢	١١	٧	٤	٣٠
أريحا	٥٢	٥٣	–	٣٩	٧٩	٢١٢
إصفية	٣	٣	٢٢	١	١	٣٠
البيضا	١٠	–	–	٣٣		٤٣
البسطة	–	–	١	–	٢	٣
بعجة	–	–	١	–	–	١
بيسامون	٦	٣	٥	١	٦	٢١
تل أسود-دمشق	٢	–	٣	–	٤	٩
تل الرماد	١٠	١٥	٤	١	١٥	٤٥
تل الشيخ حسن	–	–	٧	–	–	٧
تل الشيخ علي	١	٢	–	–	٣	٦
جعدة المغارة						٣٨
حالولة						هياكل عديدة
خربة الخالدية	٢	٢	–	–	٣	٧
عتليت	٢	١	١	–	١	٥
عين الجمام	–	–	١	–	–	١
عين غزال	٢٠	٢٦	٦	١١	٦٢	١٢٥
الغوير ١	–	–	١٠	–	–	١٠
كفار هاهوريش	–	–	–	–	–	هياكل عديدة
المريبط	١	–	٦	–	–	٧
المنحطة	–	–	٢	–	–	٢
هور الجليل	١	٤	–	–	٢	٧
وادي الفلاح	–	–	٣	–	١	٤

الجدول رقم (٣): مدافن العصر الحجري الحديث الفخاري:

اسم الموقع	بالغ			يافع	طفل	المجموع
	ذكر	أنثى	غير محدد			
تل أبو زريق	–	–	٢	–	–	٢
تل تيو	١	–	–	–	هياكل عديدة	هياكل عديدة
تل دان	–	–	–	–	١	١
تل قطيف	–	–	–	–	١	١
اللد	٢	١	–	–	–	٣
الأقحوانة	–	–	١	–	–	١
شارع حشبان	–	–	١	–	–	١
طبقة البومة	–	١	٢	١	٦	١٠
قميناس	–	–	٢	–	–	٢
عسقلان	١	–	١	١	–	٣
عين الجربة	–	–	٥	–	–	٥
كابري	–	–	١	–	–	١
المنحطة	–	–	١	–	–	١
بيت زيت	١	–	–	–	–	١
زهورا ٢	–	–	–	–	١	١
نفه يام	٤	–	–	–	٣	٧
نيزانيم	١	–	–	–	١	٢
وادي شعيب	١	–	–	–	١	٢

الجدول رقم (٤): مدافن العصر الحجري الحديث قبل الفخاري المحتوية على جماجم منفصلة

اسم الموقع	جمجمة	فك سفلي	المجموع	الفترة الزمنية
جرف الأحمر	٤	-	٤	قبل فخاري "أ"
صبرا ١	-	٢	٢	قبل فخاري "أ"
وادي بكر	٦	٢	٨	قبل فخاري "أ"
تل الشيخ حسن	٤	-	٤	قبل فخاري "أ"
المريبط	٦	-	٦	قبل فخاري "أ" و"ب"
أبو غوش	٢	-	٢	قبل فخاري "ب"
أريحا	١٩	-	١٩	قبل فخاري "ب"
إصفية	١٢	-	١٢	قبل فخاري "ب"
البيضا	١	-	١	قبل فخاري "ب"
بيسامون	٢	-	٢	قبل فخاري "ب"
أبو هريرة	بضعة جماجم	بضعة جماجم	بضعة جماجم	قبل فخاري "ب"
تل أسود	٦	٢	٨	قبل فخاري "ب"
تل الرماد	٢٣	-	٢٣	قبل فخاري "ب"
المريبط	٥	-	٥	قبل فخاري "ب"
عين غزال	١٢	-	١٢	قبل فخاري "ب" و "ج"
الغوير ١	١	-	١	قبل فخاري "ب"
منحطة	٢	-	٢	قبل فخاري "ب"
كفار هاهوريش	١	١٢	١٣	قبل فخاري "ب"
وادي شعيب	-	٢	٢	قبل فخاري "ب"
م. وادي الفلاح	-	١	١	قبل فخاري "ب"
اللد	-	١	١	الفترة اليرموكية
عين الجرباء	٥	-	٥	فخاري متأخر

الهوامش

1 - Cornwall I. W., 1956 'The Pre-Potteiy Neolithic Burials, Jericho". PEQ 88: 110-124.

- Cornwall I. W., 1981 'The Pre-Potterv Neolithic Burials", in: Kenyon K. and Holland T. A.. (eds.) **Jericho III**: 395-406.

- Haas N., 1974 **"Les restes squelettiques découverts à Tell-Ely (Sheikh-Aly)". MH 12** : 36-46.

- Arensburg B., Smith P. and Yakar R., 1978 **"The Human Remains from Abu Gosh"**. in: Lechevallier M., (ed.) : **Abu Gosh and Beisamoun: Deux Gisements du VIIe Millénaire avant l' ère** Crrétienne en Palestine: 95-104. **Mémoire et Travaux du Centre de Recherches Préhistoriques Français de Jerusalem.** No 2. Association Paléorient, Paris.

- Rollefson G., 1983 **"Ritual and Ceremony at Neolithic Ain Ghazal. Jordan". Paléorient** 9/2: 29-38.

- Rollefson G., 1986 **"Neolithic Ain Ghazal (Jordan). Ritual and Ceremony H". Paléorient** 12/1 : 45-52.

- Rollefson G., 1998 **"Ain Ghazal (Jordan). Ritual and Ceremony II". Paléroient** 124/1 : 43-58.

- Herskhovitz I.. Garfinkel Y. and Arensburg B., 1986 **'Neolithic Skeletal Remains at Yiftahel, Area C Paléorient** 12/1 : 73-81.

- Robrer-Ertl 0., Frey K. -W. and Newesley H., 1988 **"Preliminary Note on the Early Neolithic Human Remains from Basta and Sabra I". in** Garrard A. and Gebel H. -G., (eds.) : **The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986** :135. 136. BAR, International Series 396. Oxford.

- Herskovitz I. and Gopher A., 1988 **"Human Remains from Horvat Galil: A Pre-Pottery Neolithic Sites in the Upper Galilee". Paléorient** 14/1 :119-125.

- Herskovitz I. and Gopher A., 1990 **"Paleodemography, Burial Customs and Food-Producing Economy at the Begining of the**

Holocene : a Perspective from the Southern Levant". Mitekufat Haeven 23: 9-47.

- Taha H., 1990 **"Prehistoric and Early Urban Mortuary Differentiations in Palestine with Special** Reference to Tell Taannek" Unpublished Ph. D., Thesis. Berlin.
- de Contenson H., 1992 **"Les coutumes funéraires dans le Néolithique syrien". Bulletin de Ia Societé Préhistorique Française** 89/6: 184-191.
- Garfinkl Y., 1994 **"Ritual Burial of Cultic Objects: The Earliest Evidence".** CambridgeArchaeological Journal4: 159-188.
- Belfer-Cohen A. and Arensburg B., 1997 **'The Human Remains from Netiv Hagdud".** in: Bar-Yosef O.. and Gopher A., (eds.): **An Early Neolithic Village in Jordan Valley I.** The Archaeology of Netiv Hagdud. **American School of Prehistoric research Bulletin** 43 : 201-208. Cambridge : Peabody Museum of Archaeology and Ethnology.
- Mahasneh H., Forthcoming **"The Neolithic Burial Practices in Es-Sifiya during the Seventh Millennium B. C.".** will be published in **SHAJ** 7:1-34.

2- Cornwall I. W., *1956* **Op. Cit.**:110-124.

- Cornwall I. W., 1981 **Op. Cit.** : 395-406.
- Kurth G. and Rohrer-Ertel 0., 1981 **"On the Anthropology of the Mesolithic to Chalcolithic Human Remains from the Tell es-Sultan in Jericho, Jordan".** in: Kenyon K., (ed.): **Excavations at Jericho** vol. III: 411. London.

3 - Kenyon K., 1957 **"Excavation at Jericho".** PEQ 89:106.

- Kenyon K., (ed.) 1981 "Excavations at Jericho vol. III, Pls. 14, 34, 35, 54, 154, 156a". London.

4 - Kenyon K., 1981Idim. : 229.

5 - Kenyon K., 1956 **"Excavations at Jericho,** 1956". PEQ 99: 75, pl. XIII. I.

- Kenyon K., 1981 **Op. Cit.** : 53.

6 - Kenyon K., 1956, **Op. Cit._**: 75, pl. XIII. I.

- Kenyon K., 1981, 287.

7 - Kenyon K., 1956. **Op. Cit.** : 75.

- Kenyon K., 1981. **Op. Cit.** : 49-50.

8 - Kenyon K., 1981. **Ibid.** 275-276.

9 - Noy T., 1997 "**Gilgal**". **ESI** 16: 86.

10 - Noy T., 1977 "**Nahal Oren**". **EAEHL** 1171: 906.

- Noy T., Legge A. S. and Higgs E. S., "**Recent Excavations at Nahal Oren**", **Procedings of the Prehistoric Society** 39: 79.

11 - Bar-Yosef 0., Goher A. and Goring-Morris A. N., 1980 "**Netiv Hagdud: A Sultanian Mound in the Lower Jordan Valley**". **Palëorient** 6: 205.

- Bar-Yosef 0. and Gopher A., 1983 "**Netiv Hagdud**-1983". **MH** 2 : 86.

- Bar-Yosef 0. and Gopher A., 1984 "**Netiv Hagdud**-1984". **MH** 3 : 87.

- Belfer-Cohen A., Arensburg B., Bar-Yosef O. and Gopher A., 1990 "**Human Remains from Netiv Hagdud - A "PPNA" Site in the Jordan Valley**". **MH** 23 : 80-84.

- Belfer-Cohen A. and Arensburg B., 1997 **Op. Cit.** : **201-208.** 12 - Bar-Yosef 0. andGopherA, 1983 **Op. Cit.:86.**

13 - Belfer-Cohen A., et at., 1990 **Op. Cit.** : **82.**

14 - Belfer-Cohen A., et at., 1990 **Ibid**_83.

15 - Bar-Yosef 0. and Gopher A., 1984 **Op. Cit.** : 87.

- Belfer- Cohen et at., 1990 **Op. Cit.** : 83.

- Gopher A., 1993 "Netiv Hagdud". **The New Encvclopedia of the Archaeological Excavations in theHolyland** 111: 1153.

16 - Lechevallier M., Philibert D., Ronen A. and Samziin A., 1989 Une Occupation Khiamienne et Sultanienne à **Hatoula? "Paléorient** 15/1:4.

17 - Lechevallier M. and Ronen A., 1985 "**Hatoula-1984/1985**". **ES** 14 46.

- Ronen A., 1985 "**Excavations at Hatoula, Near Latrun, 1985**". **MH**

19:93.

- Ronen A. and Lechevallier M., 1986 "**Hatoula-1986. ESI** *5* : 48-49. 18
- Lechevallier M. and Ronen A., 1993 "**Haloula". The New EAETIL** II: 589

19 - Kuijt I., Mabry J. and Patumbo G., 1991 "**Early Neolithic Use of Upland Areas of Wadi El- Yabis Preliminary Evidence from the Excavations of Iraq ed-Dubb,** Jordan". **Paléorient** 17/1: 106.

- Palumbo G.. Mabry J. and Kuijt I., 1990 '**The 1989 Wadi El-Yabis Survey and Test Excavations". ADAJ** 34: 103-109.

٢٠- حديث شخصي مع المنقب.

21 - Rohrer-Ertel O., Frey K. W. and Newesley H., 1988 **Op. Cit.** *:135.*

22 - de Contenson H., 1977-1978 '**Tell Aswad. Fouilles de 1972". Les Annales Archéologiques Arabes Svriennes** 27-28 : 208.

23 - Ozbek M., 1976 "**Etude anthropologique d'ossements humains Néolithiques VIII millenairc A. C. provenant de Mureybet Syrie".** AAAS 26:161.

24 - Cauvin J., 1974 "**Troisième campagne de fouille a Mureybet, Syrie 1973. Rapport prèliminaire".** AAAS 24:49.

25 - Cauvin J., **1972a "Nouvelles fouilles a Tell Mureybet** (Syrie) 1971-1972 : **Rapport prèliminaire".** AAAS 22:110.

- Cauvin J., 1978 "**Les Premiers Villages de Syrie-Palestine du IXème au VIIe Miliénaire Avant J.C.** ". P. 127.Collection de la Maison de L' Orient Méliterranéen Ancien No 4, S&ie Archéologique. 3.

- Ozbek M., 1976-9-9t.ı161. 26 - Cauvin J., 1978 **Op. Cit.**: 28.

27 - Stordeur D. and Jammous B., 1998 "**Fouille Franco-Syrienne de Jerf el-Ahmar".** Unpublished Report Submitted to Direction of Department of Antiquities of Syrie. P. 13.

28 - Stordeur D. and Jammous B., 1995 "**Jerf el-Ahmar Première Campagne de Fouille".** Unpublished Report Submitted to Direction of Department of Antiquities of Syrie. *P. 9.*"N

- Stordeur D., Jammous B., Helmer D. and Wilcox G., 1996 "Jeif el-

Ahmar: A **New Mureybetian Site (PPNA) on the Middle Euphrates". Neo-Lithics** 2/1996 :1.

29 - Stordeur D. and Jammous B., 1996 **"Jerf el-Ahmar: Deuxième Campagne de Fouille".** Unpublished Report Submitted to Direction of Department of Antiquities of Syrie. P.S.

30 - Edwards P., Bourke S. J., Colledge S. M., Head J. and Macumber P. G., 1988 **"Late Pleistocene Prehistorv in th~ Wadi al-Hammeh Jordan Valley".** in: Garrard A. N. and Gebel H. -G., (eds.) **The Prehistorv of Jordan. The State of Research in 1986** : 558. BAR, International Series 396.

31 - Bar-Yosef 0., 1970 **"The Epipalaeolithic of Palestine".** P. 111. Ph. D Thesis.

32 - Rolston S., 1982 **"Two Prehistoric Burials from Kharaneh" ADAJ** 26: 223.

33 - Stekelis NI. and Yizraely T., 1963 "Excavations at Nahal Oren, Prelimin Re oil".

34 - Bar-Yosef O., 1978 **"Shuqba Cave". The New EAEHL** 4:1110.

35 - Kenyon K., 1954 **"Excavations at Jericho,** 1954". 95:48, pl. IX.

-KenyonK., 1981 **Op.Cit.** :302 404. 36 - Kenyon K., 1956 **Op. Cit.** : 48.

- Kurth and Rohrr-Eitei 1981 **Op. Cit.** 249; 447, pl. VII, b.

37 - Kurth and Rohrer- Ertel 1981 **Ibid.** 249.

38 - Kenyon K., 1981 **Op. Cit.** : 305, pl. 170b.

39 - Kenyon K., 1981 **Ibid.** : 298, pl. 163b : 305; p[1]. 171 : 300.

40 - Kenyon K., 1981 **Ibid.**:74, pl. 48b and 284.

41 - Kenyon K., 1981 **Ibid.** : pls. 50-56, 57 c-d. 58 : 309-310. pl. 57a-b.

42 - Kurth and Rohrer-Ertel 1981 **Op. Cit. : 456.**

43 - Perrot J., 1967a **"Abu Gosh".** 17/4: 267.

- Perrot J., 1969 **"Abu Gosh".** 19/2: 116.

- Perrot J., 1975 **"Abu Gosh". EAEHL** I: 3-4.

- Dollfus G. and Lechevallier M., 1969 **"Les Deux Premières Campagnes de Fouilles a Abou Gosh** (1967-1968)" **Syria** 46: 281.

- Arensburg B., Smith P. and Yakar R., 1978 **Op. Cit.** : 95-104.
- Lechevallier Ni, 1993 **"Abu Gosh". The New EAEHL** I : 4-5.
44 - Ferembach D. and Lechevallier M., 1973 **"Découverte de Deux cranes Surmodelés dans une Habitation du VIIe Millénaire a Beisamoun". Paléorient** 1/2: 234.
- Lechevallier M. 1978 "Abou Gosh and Beisamoun : Deux Gisements du VIIe Millénaire avant **l'ère Chrtétienne en Palestine"**, p. 150. Memoire et Travaux du Centre de Recherches Préhistoriques Français de Jerusalem. No 2. Association Paléorient, Paris.
45 - Dollfus G. and Lechevallier M., 1969 **Op. Cit. 281.**
- Perrot J., 1969 **Op. Cit.:116.**
46 - Ferembach D. and Lechevallier M., 1973 **Op. Cit** 224.
47 - Ferembach D. and Lechevallier M., 1973 **Ibid.**
- Lechevallier M. and Perrot 1., 1973 **"Eynan and Beisamoun".** 23: 108, pl. 24.
- Lechevallier M., 1978 . **OP. Cit.:** 133-152.
- Prausnitz M. W., 1970 **"From Hunter to Farmer and Trader".** Studies in the Lithic Industries of Palestine and Adjacent Countries (from the Mesolithic to the Chalcolithic Age).
- Haas N., 1974 **Op. Cit.** : 36-46.
49 -Haas N., 1974 **Ibid.**:36.
50- Herskhovitz, Garfinkel and Arensburg 1986 **Op. Cit..** : 74-75.
51 – Lamdan M. and Davies M, 1993 "Yiftah'el".The New EAEHL 111:1511.
52- Braun E., 1993 **"Yiftah'el". The New EAEHL** 111:1514.
53- Perrot J., 1993 **Op. Cit.** : 1048.
54 - Gall E., 1987 **"A Late Pre-Pottery Neolithic B Site on the Sea Floor at Atlit". MH** 20: 68-69.
- Galili E. and Ronen A., 1987-1988 **"Atlit-Yam"**. 6:1-2.
- Gaul E. and Ronen A.. 1988-1989".7-8:10.
55 - Galili K, SharvitY. and Shifroni A., 1999 **"Atlit-Yam**: 1993-1994".

HA 109 :30-31.

56 - Goring-Morris A., 1991 "**A PPNB Settlement at Kfar HaHoresh in Lower Galilee:** A Preliminaiy Report of the 1991 Season". MH 24: 83.

- Goring-Morris A., 1993 '**Kefar Hahoresh**". 12: 22.

- Goring-Morris A., 1994a "**Kfar Ha-Horesh**-1992". 14: 55.

- Goring-Morris A., 1994b "**Aspects of the PPNB Lithic Industry at Kfar HaHoresh. Near Nazareth**", in: Gebel H. -G. and Kozlowski S. T., (eds.) : **Neolithic Chipped Stone Industries of the Fertile Crescent** : 428.

- Goring-Morris N., 1999 "**Kefar Ha-Horsh-1997**". HA 109 : 33-34.

57 - Noy, Lgge and Higgs 1973 **Op. Cit.** : 79-80.

58 - Herskhovitz I. and Gopher A.. 1988 **Op. Cit.** :119-121.

- Gopher A., 1989 "Horvat Gall and Nahal Betzet I: Two Neolithic Sites in the Upper Galilee" **MH** 22:84.

Gopher A., 1997 "Horvat Gaul : **An Early PPNB Site in the Upper Galilee.** :194.

59 - Gopher A., 1989 **Op. Cit.** : 87.

60 - Rollefson G., 1983 **Op. Cit.** : 30.

61 - Rollefson G., 1983 **Ibid.** : *35.*

- Rollefson G. and Simmons A., 1985 '**The Early Neolithic Village of Am Ghazal,** Jordan: Preliniinaty Report on the 1983 Season". **BASOR Supplement** 23:47.

- Rollefson G., Simmons A., Donaldson M., Gillespie W., Kafafi Z., Kohler-Rollefson I., McAdam E., Rolston S. and Tubb K., 1985 "Excavation at the Pre-Pottçry Neolithic_B Villag of Ain Ghazal (Jordan), 1983". **Mitteilungen Der Deutschen Orient Gesellschaft** 117 : 69-116.

62 - Rollefson G. and Simmons A., **1986 'The Neolithic Village of Ain Ghazal, Jordan: Preliminary** Report on the 1984 Season". **BASOR Supplement** 24:153.

63 - Rollefson G., Kafafi Z. and Simmons A.. 1989 "**The 1988 Season at**

Ain Ghazal : A Preliminary Report". **ADAJ** 33: 23.

- Simmons A.. Boulton A., Butler C. R., Kafafi Z. and Rollefson G.. 1990 "A Plaster Skull from **Neolithic Am Ghazal, Jordan". JFA** 17:108.

64 - Rollefson G. and Simmons A., 1985 **Op. Cit.** : 47-48.

- Rollefson G., 1986 **Op. Cit.** : 50.
- Butler C., 1989 **"The Plastered Skulls of Ain Ghazal : Preliminary Findings"**, in Herskovitz I., (ed.): **People and Culture in Change : Proceeding of the Second Symposium on Upper Palaeolithic,** Mesolithic and Neolithic Populations of Europe and the Mediterranean Basin :141-145. BAR I. S., 508. BAR. Oxford.

65 - Rollefson G. and Simmons A., 1985 **Op. Cit.** : 47-48.

66 - Rollefson G. and Simmons A.. 1987 **'The Neolithic Village of Ain Ghazal, Jordan** : Preliniinarv Report on the 1985 Season". **BASOR Supplement** 25 : 94.

67 - Rollefson G. and Kohler-Rollefson I., 1989 **'The Collapse of Early Neolithic Settlement in the Southern Levant".** in: Hershkovitz I., (ed.): **People and Culture in Change** : 82-83. BAR I. S.. 508.

- Rollefson G., Simmons A. and Kafafi Z., 1992 **'Neolithic Cultures at Ain Ghazal. Jordan". Journal of Field Archaeology** 19 : 463- 464.

68 - Rollefson G. and Kohler-Rollefson I., 1993 **'VPNC Adaptations in the First Half of the 6th Millennium B. C.". Paléorient** 19/1 : 38.

- Rollefson G. and Kafafi Z.. 1996 **'The 1995 Season at Ain Ghazal : Preliminary Report". ADAJ** 40: 23.

69 - Kafafi Z., Rollefson G. and Simmons A., 1993 'Test Excavations at the Neolithic Community of **Wadi Shu'eib, Central Jordan,** June *25,* 1991". 70: 236.

70 - Simmons A., Kafafi Z., Rollefson G. and Moyer K., **1989 "Test Excavations at Wadi Shueib, A Major Neolithic Settlement in the Central Jordan". ADAJ** 33: 37-40.

71- Simmons et al., 1989 **Ibid.** : 37; 39.

72- Kafafi, Rollefson and Simmons 1993 **Op. Cit.** : 236.

73 - Kirkbride D., 1966 "Five Seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village of Beidba in Jordan". PEQ 98: 23-24.

74 - Mahasneh H., Forthcomming **Op. Cit.:** 2.

- حديث شخصي من المنقب.

75 - Mahasneh H., Forthcomniing **Ibid.**: 2-7.

76- Mahasneh H., Forthconiming **Ibid.**:10- 16.

77- Mahasneh H., Forthconiming **Ibid.**: 5-8.

78 - Simmons A. and Najjar M., 1998 **"Al-Ghuwayr I, A Pre-Pottery Neolithic Village in Wadi Faynan.** Southern Jordan : A Preliminary Report of the 1996 and 199711998 Seasons". ADAJ 42: 94-96.

- Simmons A. and Najjar M., 1999 "Ghuwair I". **ACOR News Letter** 1112:6.

79 - Simmons A. and Najjar M., 1999 **Ibid.** : 6.

٨٠- فينو، نزيه ١٩٩٦ "**عين الجمام: دراسة أثرية**". رسالة ماجستير غير منشـورة. قسم الآثار الجامعة الأردنية، عمان.

81 - Bienert H. -D. and Gebel H. -G., 1998 **"Archaeological Excavations at Late PPNB Ba-ja** : A Preliminary Report on the 1997 Season". **ADAJ** 42: 87.

82 - Molleson T., Comerford G. and Moore A., 1992 **"A Neolithic Painted Skull from Tell Abu Hureyra, Northern Syria". Cambridge Archaeological Journal** *212:* 230-235.

83 - Moore A., 1975 **"The Excavation of Tell Abu Hureyra". AAAS** *2511-2:* 117.

- Moore A., 1978 **" The Neolithic of the Levant".** Unpublished Ph. H. Thesis. University of Oxford.

- Moore A., Hillman G. C. and Legge A. J., 1975 **'The Excavation of Tell Abu Hureyra in Syria:** A Preliminary Report". **Proceedings of Prehistoric Society** 41: 60-61.

84 - de Contenson H., 1972 **'Tell Aswad. Fouilles de 1971". AAAS** 22 : 78-79.

- de Contenson H., 1992 **Op. Cit. :185-186.**

85 - de Contenson H., 1967 **"Troisième Campagne à Tell Ramad, 1966 : Rapport** Préliminaire". **AAAS** 17 :20.

86 - de Contenson H., 1966 **"Seconde Campagne à Tell Ramad, 1965: Rapport** Préliminaire". **AAAS** 16/2:170.

- Ferembach D., 1969 **"Étude Anthropologique des Ossements Humains Néolithiques** de Tell de Ramad **(Syrie)". AAAS** 19 : 50-52.

87 - de Contenson H., 1967 **Op. Cit.** : 20.

- Ferembach D., 1969 **Op. Cit**.: 53.

88 - Ferembach D., 1969 **Ibid.** : *50.*

89-de Contensonll., 1966 **Op. Cit**:171.

90 - de Contenson H., 1969 **"Quatrième et Cinquième Campagnes a Tell Ramad**, 1967-1968: Rapport Prélimmaire". **AAAS** 19: 27.

- de Contenson H.. 1971 **'Tell Ramad: a Village Site of Syria of the 7th and 6th** Millennia BC". **Archaeology** 2411 : 281.

- de Contenson H., 1985 **"La Région de Damas Au Néolithique". AAAS** 35 : 20.

91 – Ferembach D., 1969 **Op. Cit.**

92 - Cauvin J., 1974 **Op. Cit.** : 49.

- Cauvin J., 1978 **Op. Cit.**:128, fig. 13.

93 - Stordeur D., 1999 **"Reprise des Fouilles Préhistoriques a Cheikh Hassan : Une Campagne de Reconnaisance". AAAS** 43 : 62.

94 - Coqueuguiot E., 1998a **"Dja'de el Mughara (Moyen Euphrate), un village néolithique dans son environnment naturel a Ia veille de Ia domestication". Espace Natureal, Espace Habité Natural Space. Inhabited Space: en Syrie du Nord (10e-2e millénaires av. J. C.) in Northern Syria (10th - 2nd millenium B.C.)**: 112. Actes du Colloque Tenu a L'Université Laval (Québec) du 5 au 7 Mai 1997.

95 - Coqueugniot E., 1992 **"Fouiles de sauvetage a Dja'det el Mughara en 1991 et 1992". Cbronique Archéologigue en Syrie** vol. 1: 20-22.

96 - Coquegniot E., 1998b "'Dja' de el Mughara, 1997, Chronique

Archéologique, Vol. 2:125.

97 - Coqueugniot E., 1998a **Op. Cit.:** 112.

98 - Coqueugniot E., 1998b **Op. Cit.** :128.

99 - CoqueugniotE., 1998b **Ibid**:129.

100 - Molist M., 1992 **"Le site Néolithigue de Tell Halula (Vallée de L'Euphrate): Travaux** des Années: 1991-1992". **Cbronique Archéologique en Synie** vol. 1: 33-.

١٠١- موليست، ميكيل ١٩٩٦ "تل حالولة". **معرض الآثـــار الســوري الأوروبــي:** ٤١-٤٥. دمشق.

102 - Molist M., 1998 'Tell Hahula 1997". **Cbronique Archéologique en Synie** vol. 2:134.

103 - Molist M.. 1998 **Ibid**.: 135.

104 - Molist M., 1998 **Ibid**.:134-135.

105 - Molist M., 1998 **Ibid**.:134.

106 - Perrot J. and Ladiray ., 1988 **"Les hommes de Mallaha (Eynan), I. Les Sépultures".** Mémoires et Travaux du Centre Français de Jerusalem. 7. Paris: Association Paléorient. P. 56. 107-KenyonK., 1957 Op.Cit. :63-64.

108 - Cauvin J., 1972a **"Religions néolithiques de Syro-Palestine".** Paris : Maisonneuve.

- de Contenson H., 1971 **Op. Cit.**

- Simmons et aL, 1990 **Op. Cit.**

- Biennert H. D., 1991 **"Skull Cult in the Prhistoric Near East". Journal of Prehistoric Religion** 5: 20.

109 - Wright G. R. H., 1988 **"The Severed Head in Earliest Neolithic Time".** JPR 2: 55.

110-KenyonK., 1957 **Op.Cit.** : 62.

111 - Cole S., 1961 **'The Neoliihic Revolution".** p. 53. London.

112 - Sages H. W. F., 1962 **'The Greatness that was Babylon".** p. 6. London.

113 - Stekelis M., 1972 **The Yarmukian Culture of the Neolithic Period".**_p. 12.Jerusalem :Magnes Press.

- StekelisM., 1978 . **EAEHL** IV:1056.

114- Kaplan 3., 1978b "(habashan Street)". **EAEHL** IV: 1161.

- Kaplan 3., 1993, "Habashan Street". in: Stren E., (ed.) : **The New EAEHL** IV:1451-1452.

115 – Perrot J., 197b "'Munhatta". **Bible et Terre Sainte** 93:15.

116-Simmons et al. 1989 1989 **Op. Cit.** :38.

117- Kafafi Z., 1993 **'The Yarmukians in Jordan". Paléorient** 19/1:112.

118- Anati E., Avnimlech M., Haas N. and Meyerhof E., 1973 **"Hazorea I".** p. 55. Archivi V. Edizioni del Centro, Brescia.

- Hours F., Aurenche 0., Cauvin J., Cauvin M. -C., Copeland et Sanlaville P., 1994 **"Atlas des Sites Proche Orient (14000-5700 BPY'.** p. 46. Maison de I, Orient.

119 - Peffot 3. and Gopher A., 1996 **"A Late Neolithic Site Near Asbkelon".** 4.6 : 3-4.

120 - Eisenberg E., 1986 "Tel Te'o". **ESI** 5:107.

121 -Biran A., 1985 "TelDan".**ESI** 4:118.

- Gopher A. and Greenberg R., 1987 **"Pottery Neotithic Levels at Tel Dan".** MIT 20: 94-96,*fig.3a.*

122- Biran A., 1974 **'Tell er-Ruqeish to Tell er-Ridan".** 24:124, pl. 24: B

- Epstein C., 1984 **"a Pottery Neolithic Site Near Tel Oatif"44t- 34**: 21 1-212, pl. 26c.

123 - Kaplan 3., 1969 **"Em el Jarba. Chalcolithic Remains in the Plain of Esdraelon". BASOR** 194: 5.

- Kaplan 3., 1978a **"Em el Jarba"، EAEHL** II : 355.

- Arensburg B., 1970 **'The Human Remains from Em el-Jarba". BASOR** 197 : 49-52.

-Hoursetal. 1994 **Op. Cit.:** 179.

124- Prausnitz M.W., 1959 "Kabri". 9:269.

125 - Gopher A. and Rosenberger A., 1995 "**Lod,**". 14: 86.

126- Goher A., 1986 "Beset I". **ESI** 5: 83-84.

- Gopher A., 1987-1988 "BesetI". **ESI** *6:85-86.*

- GopherA., 1989, **Op Cit** .87

- Goher A., Sadeh S. and Goren Y., **1992 "The Pottery Assemblage of 'Beset I: A Neolithic Site in the Upper Galilee".** 42: 4.

127 - Horwitz L. K., 1988 **"Bone Remains from Neve Yam: A Pottery Neolithic Site of the Caramel Coast". MR** 21: 106.

128 - Gall E., Sharvit Y. and Nagar A., 1998 **"Nevé Yam-Underwater Survey". ESI** 18L 35-36.

129 - Goher A. and Orelle E., 1991 **"Zehora II: Seasons of 1990 and 1991". MH** 24: 171.

130 - Yeivin E. and Olami Y., 1979 "Nizzanim: Excavations of 1968-1970". 105 and 123.

131 - Banning E. B., Dods R. R., Field J. J., Maltby S. L., McCorriston J., Monckton S., Rubenstein R. and Sheppard P., 1989 **"Wadi Ziglab Project 1987:** A Preliminary Report". ADAJ 33 : 50.

- Banning E. D., Dods R. R., Field J., Kuijt I., McCorriston J., Siggers J., Taani H. and Triggs J., 1991 "Tabaqat al-Buma: **1990 Excavations at a Kebaran and Late Neolithic Site in Wadi Ziglab. ADAJ** 36: 60-61, pl. IV :1-2.

- Banning E. B., Rahimi D., Siggers J. and Ta'ani H., 1996 **"The 1992 Season of Excavation in Wadi Ziqlab, Jordan". ADAJ** 40: 36-37.

132 - Masuda S. and Sha'at Sh., 1983 **"Qwinas, The Neolithic Site Near Tell Deinit, Idlib".** AAAS 33/1 : 200-201.

- شعث، شوقي وماسودا، سيشي ١٩٨٣ "**قميناس: موقع في العصر الحجري الحديث بالقرب من تل دينيت:** تقرير أولي". **الحوليات الأثرية العربية الســـورية** ٣٣/١: ٢١٣-٢١٧.

مصادر ونتائج الدراسة حول إبلا

لقد أدى اكتشاف مدينة إبلا ومحفوظاتها المسمارية خاصة (١٩٧٤-١٩٧٦) التي تعود للألف الثالث قبل الميلاد، إلى النهوض بحقل جديد من الدراسات الشرقية القديمة، وقد ظهر أخيراً ثلاث مقالات في المجلة الدورية الإبلائيلات Eblaitica تدور حول واقع حال البحث والدراسات في هذا الموضوع**.

وقد كتب دياكونوف I.M.Diakonoff نبذة عامة تاريخية ولغوية في مقالته:

"The Importance of Ebla History and Linguistics PP. 3-29"

"أهمية إبلا بالنسبة للتاريخ والألسنة" حيث كرس جهده في هذه المقالة لمواجهة النظريات التي ظهرت بعيد سنوات اكتشاف نصوص إبلا، والتي جاءت نتيجة التسرع في الاستنتاج والتفسير، ونتيجة جهل كتابة وقراءة نصوص إبلا، التي تتطلب معرفة

---

* نتوجه بالشكر إلى إدارة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق حيث استطعت الإقامة في مكتبته لإعداد وكتابة هذا البحث.

** Fifteen years of studies on Ebla: A Summary. By A. Archi in Orientalistische literatur zeitung (OLZ) Bund 88. 1993. Heft 5/6. Pp 461-471.

الذي يشير إلى دراسات سبقته واستقى منها وهي:

Gordon, Cyrus H. and Garg A. Rends burg (Eds).
Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language Vol 2; Winona Lake: Eisenbrauns 163S. 4 Publication of the center for Ebla Research York Uni, Geb. 27. 50.

وأحدث هذه الدراسات المجلد الأخير من Ammuru I الصادر عن مركز أبحاث ماري في باريس تحت عنوان:

Mari: Ebla et les Hurrites, dix ans de travaux, Paris, 1996.

ونحيل القارئ إلى هذا العدد من أجل جمع المختصرات والمراجع للاستزادة.

خاصة، وكذلك قام جوردن C. H. Gordon في الدورية المسماة (إيلا والشمال الغربي السامي) "Eblaite and Northwest Semitic, pp. 127-139" بدراسة قائمـــــة مــن الوثائق أو الرقم الإيلائية وما تضمنته من قواعد لغوية وتعابير. ومفاهيم دينية... الخ.

وقارنها مع معلومات مماثلة مصدرها المناطق الغربية "السامية" أي سورية الغربية.

أم البحث الثالث فقد كتبه كيناست B. Kienast وفيـــتزوليت H. Waetzoldt تحـت عنوان "اثنتي عشرة سنة من عمر إيلا محاولة تقديم كشف عـــام" "ZWÖLF Jare Ebla" Versucheiner Bestundsaufnahme (pp. 31-77)، وقد أعطت مزيداً مــن التفاصيل حول مختلف جوانب حضارة إيلا وبصورة خاصة لغتها ومشكلاتها.

وقد نشرت نتائج أعمال البحوث التي كتبت في السنوات الأخيرة. في مجموعـــة مــن النصوص المنسقة من قبل ج. بيتينانو Pettinato:

"Catalogo dei testi Cuneiformi di Tell Mardikh Ebla (MEEI)"

وقام فيتزولت تنظيم الجانب الاقتصادي المناط به:

"WiRTSCHAFTS – und Verwaltungs – texte" (pp. 33-58)

بما يتناسب والموضوعات المستمدة من النصوص المستمدة من النصوص سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية أو دينية ... الخ.

أنجز كيناست في القسم المتعلق به، وهو قوائـــم بالمقـــاطع والنصـــوص التاريخيـــة والأدبية:

"Historische und Literarische Texte, Silabar und Lexikalische Listen" A (pp. 58-74)

وهي تتبع التصنيف المعتمد في .MEEI، وهي الطريقة المقبولة للنصـــوص الأدبيـــة والمعجمية فقط، بينما أشار فتزلت إلى أن قسماً كبيراً من الوثائق الملكية التي درســها كيناست على أنها نصوص تاريخية، هي غير ذلك، لأن المحتوى لم يؤيد تصنيفه، ولا

يوجد ما يؤكد أنها تتعلق بالإدارة أو بملكية الأراضي، أو أنها عبارة عن قوائم بأسماء المدن التي كانت تخضع لمدينة إيلا أو موزعة على الأمراء؟ إذاً، كيف يمكن للمرء أن يميز بين "كتاب رسمي" وبين "أوامر ملكية" وبين "تنظيمات وظيفية"، وبين "الرسائل"؟ إن عدم صلاحية اتباع هذا النوع من التصنيف هو بسبب أن معظم المجموعات أو النصوص هي في النتيجة "غير محددة أو مصنفة". وهكذا فإن المجلد التصنيفي يعطي فكرة عن الوثائق المحفوظة في إيلا ولكنها فكرة غير دقيقة ومصنفة بسرعة، وتوجد أخطاء في قراءة الأسماء الجغرافية وأسماء العلم. وعلى كل حال، من الصعب الإجابة عن سؤال في حالة إيلا، لماذا يجب على المرء أن يهجر العادة المتبعة في جميع المحفوظات الأخرى، (سواءً كانت نصوصاً مسمارية أو بردية صغيرة) وهي ذكر رقم التسلسل للنصوص سواء كانت منشورة أو غير منشورة؟ وتكثر لوائح المطابقة بين أرقام القوائم والطبقات بمعدل له في أي مجال من مجالات الدراسات الشرقية القديمة.

تصنيف مجموعات المحفوظات:

أ- هناك مجموعة مؤلفة من ٣٢ لوحاً صغيراً أو رقيم وبعض الكسر، قد وجدت في المكان ذي الرقم L.٢٥٨٦ ولم ينشر منها سوى أربعة نصوص.

ب- المحفوظات التي عثر عليها في المكان ذي الرقم L.٢٧١٢ وهي عبارة عن ٢٤٢ لوحة أو رقيم وبعض الكسر الكبيرة والصغيرة وقد نشرت في:
ARENT IX (L. Milano): X (A. Archi – M. G. Bigu)

ت- المحفوظات الرئيسة L.2769 ولكي تصبح مجموعات المحفوظات أكثر وضوحاً وتنظيماً، فقد أخذ بالحسبان كمال النصوص وسلامتها في القوائم مع التمييز بين:

١)- نصوص كاملة ومحفوظة جيداً بلغت ١٧٢٧ (أرقام القوائم TM. 75. G. 1216-2660) "علماً أن ٢٦٦٣-٢٦٦١ هي قطع صغيرة"

فيكون مجموع هذه المحفوظات الرئيسة بين ١٠٢٨١-١٠٠٠٠ وقد صنفت هذه النصوص في نهاية الأمر في أثني عشر قسم، وهناك نصوص جمعت كسرها فيما بعد مثل:

TM. 75. G. 2001 + 2003 + 2004 + 2005 + 2006 + 2007; 2412 + 2427 = ARET VII, 1; 2493 + 2495

٢)- "الكسر الكبيرة": وعددها ٤٧٧٠ (أرقام قوائمها: -TM. 75. G. 3000 .(6050, 11000-12715

٣)- "كسر صغيرة": وهي بضعة آلاف وأرقام هي: ٤٧١٣ (TM. 75. G. (15000-20000-4713

وقد أعطيت هذه المجموعة أي ٤٧١٣ أرقام واحدة وبعضها محفوظة تحت أرقام رومانية.

ويضاف إلى هذه النصوص الوثائقية التي وجدت في حفائر عام ١٩٧٥ مئة كسرة وبعض الرقم والألواح التي عثر عليها أثر حفائر ١٩٧٦.

ويأتي من هذه المحفوظات النصان الهامان TM. 75. G. 1173 و ١١٧٤ اللذان عثر عليهما في القاعة L.2752 الملاصقة للجدار الغربي للقاعة L.٢٧٦٩ وكذلك بعض الأدوات المتفرقة.

وقد نشر ٥٢٦ من الرقم من أصل ١٧٢٧ وثيقة مرقمة وهي موزعة كما يلي:

(ARET I (Archi): 45; II. O. Edzard): 59; IV (Bigu-Milano): 25; V (Edzard): 24; VII (Archi): 156; MEE II

وهناك بضع خمسة عشر نص نشرت في: الدراسات الإبلائية.

(G. Pettinato): 35 (ARET, Seb):
III (G. Pettinato): 36; TV (G. Pettinato): 33; X (P. Mander); 23. in

ومنشورات أخرى: Studi Eblaiti (Seb) حيث نجد تسعين نصاً، وقد

نشرت ١٠٦٣ كسرة كبيرة من أصل ٤٧٧٠ في:

(منها ٣٩ نصاً معجمياً ARET III (TM. 75. G. 3000-4101 (Archi-Bigu)

وقد نشرت بشكل متفرق بضع اثني عشر نصاً في مناسبات مختلفة خاصة في:

ARET V, MEE III, IV. وقد نشر حتى الآن ربع "الكسرة الكبيرة" ويصعب هنا تقدير المادة الكتابية وكذلك حجم كل كسرة من اللوح، إذ أن بعضها لا يحتوي أكثر من اثني عشر سطر، وقيل منها يحتوي على اكثر من سنيتين سطراً، وهذا يعني أن متوسط عدد السطور هو ثلاثة وثلاثون.

ث- وقد عثر على مجموعة في المكان L.2875 من إيلا قرب مدخل ملاصق لمكان المحفوظات الرئيسة تقدر بـ ٢٧٦ نصاً مرقمة في القوائم عام ١٩٧٦ منها: ستة نصوص منشورة هي:

TM. 76. G. 156, 188, 189, 198, 274

من قبل: Milano, As 19, 1987, 177-201

وكذلك: TM. 76. G. 788, Arch, Eblaitica I, 1987, 69 note 24

ج- وعثر على مجموعة مؤلفة من ٢٢ لوحة وجدت على طاولة خشبية في الصالة L. 2752 سنة ١٩٧٦ وقد نشرت في: ARTE VIII (E. Sollberger); ARET 15.

ح- وعثر على محفوظات في المكان ذي الرقم L.٢٧٦٤ عام ١٩٧٦ مؤلفة من ١٧ لوحة و ٢١٥ كسرة و ٩٦٠ كسيرة.

خ- وعثر عام ١٩٧٧ على ٩ ألواح و ١١٧ كسرة وكرتين طينيتين في الصالة L.٢٧١٣ وبعضها في زاوية مجاورة للصالة L.27764 وذلك في مستوى مهدم من جراء سقوط سقف القصر "G".

د- وعثر عام ١٩٨٢-١٩٨٨ على خمس لوحات جنوب قمة التل. ونشرت من قبل آركي، كذلك عثر على خمس أخر جنوبي القصر "G" في إبلا، وقد نشرت ذلك في:

Syro – Mesoptamian Studies 5/2, Malibu 1993

ذ- وهناك مواد متفرقة اكتشفت عام ١٩٧٨و هي:

RA 89, 1990, 102 note 5 bis

وعثر عام ١٩٨٠ على اثني عشرة كسرة، وعثر عام ١٩٨٤ على كسرة واحدة، وعلى سبع عام ١٩٨٧ وعلى أربع عام ١٩٨٨ وأخيراً على كسرة واحدة عام ١٩٩٢.

٢ـ النصوص المنشورة طبقاً لمحتواها:

أ- النصوص الأدبية وقد نشرت جميعها في ARET V: 6, 7, 20, 21

ويضاف إليها: TM. 75/77. G. 161, M. Kerbernik VO&, 1988, 25, 44

ب- التعاويذ والترنيمات: وقد نشرت في: ARET V: 1-5, 8-19

ويضاف إلى ذلك: TM. 75. G. 1315 حيث سينشر مجدداً من قبل كربرنك.

ت- أناشيد تنصيب الملك والملكة: وأولها النص (TM. 75. G. 1823)، ويضاف من ١٥+١٨ سطر، وهي أناشيد تنصيب الملك أركب – دمو Irkab - Damu.

وهناك لوحة أخرى من أناشيد التنصيب الملكي منسوبة إلى الملك إشار-دمو Ishar-Damu وهي أكثر تفصيلاً، وتحمل الرقم: TM. 75. G. 1939+.

وأخيراً هناك لوحة صلصالية أحدث كتب عليها مثل هذه الأناشيد وهي (TM. 75. G. 1672) ولا ترتبط بملك، وإنما يمكن أن تتلى في أية مناسبة مماثلة.

ونشير هنا إلى أن فرانزورولي المذكور أعلاه قد قدم دراسة أولية حول الطقوس

والترانيم الأدبية نشرت في:

"II retuale per La successione al trono di Ebla" Rome, 1992.

وقد لوحظ أن كثيراً من أجزاء النصوص الأدبية قد تهشّمت وفقدت، ومنها المصادر التي تحمل الرمز D وكذلك C التي اعتبرت نصوصاً مستقلة. وهناك تعارض بين ترتيبها الزمني ومعلوماتها الوثائقية الإدارية.

ث- اللوائح المعجمية السومرية الرافدية التقليدية:

نشر بعض هذه الوثائق بيتيناتو في Pettinato in MEE II

ومن ثم أعيد نشر بعضها بعد أن عثر على الكسر المفقودة، واكتمل بذلك النص، وهناك طبعة جديدة قيد النشر تضم نسخ الألواح الصلصالية المسمارية الأصلية وترجماتها:

أ- النصوص المعجمية التي تدعى: esh-bar-kin

وقد تم تجميع هذه النصوص بالكامل وستنشر نسخها قريباً.

ب- اللوائح المعجمية المزدوجة اللغة: لقد نسخ بيتيناتو إلى الحرف اللاتيني Transcription القسم الأكبر من هذه الوثائق المعجمية الهامة ونشرها في: MEE IV، ولكن لم يلحق بها الكسر التي عثر عليها فيما بعد. هذه العملية أي تجميع النصوص المهشمة وخاصة بعد نشر أجزاء منها هو عملية هامة جداً، نظراً لما تحدثه من تبديل في المعطيات، وقد أظهر تلك الأهمية كونتي G. Conti في دراسته حول النسخ التي تحمل الرمز D في Qds ١٧ فقد تمَّ إعادة تجميع النسخة الصلصالية وتوحيد نصها من جديد، وأعيد نشرها.

ت- الوثائق الملكية: إن أهم الوثائق في هذه المجموعة (معاهدة مع أبارسال Abarsal، ورسالة أنادجن Enn-Dogan عاهل ماري وهبة ابريوم الوزير إلى

ابنه). وقد كان لهذه الوثائق أهميتها لبعض الوقت، وهي الآن تؤلف مجلداً يضمها جميعاً. ونشرت المعاهدة السياسية مع أبارسال من جديد، من قبل: Edzard, Qds 18, 187-217

ث- النصوص الإدارية: كانت اللجنة الدولية لدراسة نصوص إيلا، المشكلة عام ١٩٧٨، قد قررت أن تخصص المجلدات العشر الأولى من سلسلة ARET لنشر نصوص هذه المجموعة الأكثر عدداً في المحفوظات، التي قدم عنها دراسات أولية وفق مضمونها وأشكالها، وكان ج. بيتيناتو قد كلف بمسؤولية تحضير نشر المجلدات الأربعة الأولى من سلسلة ARET ولكن بعد استقالته من تلك اللجنة، كان لا بد من إعادة النظر في مستقبل وكيفية النشر.

لقد سبق ونشر من حيث المبدأ أهم تلك النصوص في ARET VIII, IX, X وظهر فيها وثائق متنوعة في الحجم والنوع وتمثل المحفوظات الرئيسة L.2769 وقد تقرر بشكل خاص إعطاء الأولوية للنصوص الأدبية بما فيها التعاويذ والصلوات (ARET V) والنصوص المزدوجة اللغة (ARET VI) وأن يؤخذ بالاعتبار أمران أساسيان هما:

١-الانتباه إلى التأكيدات غير المتأنية المتعلقة بنصوص إيلا الأدبية، حيث فسرت مسودة تمرين بالسومرية لأحد الكتاب، بأنها نص تعويذي موجه إلى "رب السموات والأرض" وأنها كتبت برموز إبلائية خالصة.. وأنها تذكر في الفصل الأول من سفر التكوين وفق ما ذكر بيتيناتو في: Archvies of Ebla, 244, 259

٢- والأمر الثاني هو المناقشات الحامية المتعلقة بتصنيف اللغة الإبلائية بين فروع اللغات السامية أو الأكادية وفروعها، وعندما ظهرت الدورية MEE IV مؤخراً فإن نشر اللوائح المزدوجة اللغة (ARET VI) قد تمَّ تأجيله.

هذا وتقدم لنا الوثائق المنشورة في المجلد ARET II أمثلة على جميع الأقسام الإدارية

تقريباً. كما أن المجلدين ARET I و IV قد خصصا من أجل حسابات من أجل حسابات إنتاج الألبسة، وهي الأوفر عدداً في النصوص الاقتصادية.

وقد جمع في المجلد السابع من ARET عدد هام من النصوص المتعلقة بالمعادن وحساباتها، وهي قسم آخر.

ونشر في المجلد الثالث من ARET III عدد كبير من الكسر النصية، التي لم تكن قد اختيرت وفق شكلها وحجمها، وإنما تبعاً لوضع القوائم. وكان يجب إعطاء سلسلة هامة من الأمثلة على اللوائح المعجمية.

- هناك برنامج يهدف إلى تنسيق جميع النصوص المسمارية المنشورة وموادها في الكومبيوتر. وقد ظهر المجلد الأول من ARET II ويضم جميع الأسماء الجغرافية..

٣ـ الجدول الزمني التاريخي Chronology:

لا يوجد سوى بضع عشرة من الوثائق التي يمكن تأريخها، نسبة إلى بعض الحوادث أي (في السنة التي Dish mu) أو بعدد متبوع بكلمة مو mu "سنة (س)". وقد استخدم اللقب السومري إن En بمنى ملكوم (ملك) في نصوص إبلا. دون أن يذكر اسم شخص محدد.

ولكن هناك حالتان فقط لشخصين هما اجرش خالام Igrich - Halam واركب دمو Irkab-Damu يحملان لقب "ملك إيلا" في النصوص، ((en ib-la (ki)). هذا ولا بد من العودة إلى هذا الموضوع –السلم الزمني– واتباع أساليب نقدية أخرى من أجل وضع سلم زمني لوثائق إبلا.

هذا وتقدم لنا نتائج دراسة نصوص الهبات والمنح المسجلة فيها أسماء عشرة عواهل متوفين هم: ويذكر هكذا (Dingir) دينجير اسم علم، رب– اسم علم):

١) أبورليم	A-bur-li-im
٢) أجورليم	A – gur-li-im
٣) أبي دمو	I-bi-da-mu
٤) باجا دمو	Ba-(ga-)da-mu
٥) انردمو	En-ar-da-mu
٦) إشرملك	I-Shar-ma-lik
٧) كون دمو	Kun-da-mu
٨) أدوب دمو	A-dub-da-mu
٩) اجرش خالام	Ig-ri-ish-ha-lam
١٠) اركب دمو	Ir-kab-da-mu

(AET VII 150)

وكان أول هؤلاء الملوك الذين ذكروا في النصوص التي تم التعرف عليها هو كـــون دمو، وذلك في تقريرين إداريين يتعلقان بعهده أو ببعض طقوس الدفن
(TM. 77. G. 23 + 80. G. 207, TM. 75. G. 2286)
في حين أن العاهل أدوب دمو مجهول لم يذكر ولربما لم يحكم إلا لفترة قصيرة.

هذا ويبدأ تاريخ المحفوظات الإبلائية مع عهد اجرش خالام ويتواصل مع عهد اركــب دمو.

وهناك نص هام هو TM. 74. G. 120 يذكر لائحة تبدأ باسم إيلا. وهو نص تحريــف مدرسي على الأغلب، ويتبع ذلك خمسة عشر اسم علم، ومن ثم عشرة أسماء منشورة في ARET VII 150 تنتهي باسم اشر دمو Ishar damu الذي يلي اركب دمــو فــي الحكم ويخلفه.

وهناك أربعة أشخاص مقدسين من أصل خمسة عشر أســـماء وردت فـــي الـــترانيم الخاصة بتنصيب الزوجين الملكين، آن-مانا، ساجي-سو، ابني ليم، اشرد دمو.
("A"/ EN – ma-na, Sa-gi-su, I-bi-ni-li-im, Ish (11) – ru (12)-ud-da-mu)

ويمكن الاستنتاج أن هذا النص يحفظ ستة وعشرين اسماً من أسماء السلالة الإبلائية التي يمكن أم تكون قد حكمت قبل القرن السابع والعشرين ق.م...؟

إن الوثائق المتعلقة بالتسليمات (وأحياناً أعطيات) (مو) المدعوة مو-دمو mu-DU لا تسمح لنا أن نؤلف بين مجموعة من الملوك وبعض الشخصيات الإدارية المركزية التي ذكرت في النصوص مراراً، ولكن ذلك يسمح لنا بتأريخ عدد من الألواح. وطبقاً لما ورد في حوالي ثلاثين نصاً، فإن بعض "النبلاء"، لو لوجال لوجال Lugal-Lugal (حيث أن الكلمة التي تعني بعل ba'l بالإبلائية).

وقد سلم الفضة والألبسة، وبين هؤلاء النبلاء وعددهم يتراوح بين ١٥-٢٠ نبيلاً أحدهم يدعى "تير" والثاني "درميا"! تير ودرميا الذين سلما الهبات الهامة (حوالي ٢٥ إلى ٦٠ كغ من الفضة وبضع مئة من الألبسة).

إن نهاية TM. 75. G. 1237 التي تذكر اسم "اجرش خالام" ملك إيلا، ترينا أن هؤلاء "النبلاء" كانوا معاصرين لذلك الملك.

وقد تم تأريخ عدد ضئيل من هذا النوع من النصوص mu-du بعدد (أقصاه هو ١٢) متبوع بـ mu "سنة".

وهكذا فقد حكم اجرش خالام اثنتي عشرة سنة على الأقل وهناك نبيل آخر يدعى آرلوم الذي تجاوز "درميا" و "تير" بكمية ما سلم إليه، وهو الذي يأتي في المركز الأول في الإدارة.

ويذكر أقدم نص ترنيمي (ARET XII) +TM. 75. G. 1823 أن أجرش خالام قد توفي وكرم، وقد ترأس أرلوم تنصيب الملك الجديد، الذي يذكر بالاسم، طبقاً للائحتين ARET VII 150 وTM. 74. G. 120، ولكنه لا يمكن أن يكون إلا أركب دمو ويبقى أرلوم على رأس الإدارة لزمن قصير فقط، ومن ثم استعيض عنه بـ Ib-ri-um الذي

كان من ضمن مجموعة تحمل لقب لوجال لوجال Lugal-Lugal أي بعل بعـل مثـل أجرش خالام، وتمثل النصوص المدعوة مودو mu-du الخاصة بـابريوم موضوعـاً أكثر تعقيداً.

وتسرد قائمة أحد الأقسام الكبيرة، الكميات المسلمة من قبل ابريوم نفسه، الذي يبدو أن وظائفه تضعه بمرتبة وزير، هي مئة كيلو جرام من الفضة تقريباً، (في إحدى المرات ذكر تسليم كمية ٣٢٩ كغ فضة!)، وذكر تسليم ما بين اثنين إلى خمسة كيلو جرامـات من الذهب، وأكثر من ألف قطعة من الألبسة!.

ويلي ذلك القسم المتعلق بالتسليمات التي تمت مـن قبـل "النبـلاء"، والتـي تتعـدى بمجموعها السدس أو عشر الكمية من المواد المسلمة من قبل ابريوم.

وهناك قسم ثالث للتسليمات حيث يذكر الهبات المعطاة لأصدقاء في المدن المجاورة.

وهناك قسم أخير ورابع لبعض التسليمات الإضافية.

لقد كان ابريوم "كوزيز" على رأس الإدارة لفترة لا تقل عن سبعة عشر عامـاً حيـث ذكرت جميع وثائق الهبات أو الأعطيات mu-du باسمه، ولا بد من الإشارة إلـى أن بعضها قد يكون نتيجة بعض النصوص المهشمة من جديد. ويظهر ابريوم في ترانيـم تنصيب العرش التالي (TM. 75. G. 1939⁺)، الذي أعلن ملكية اشر دمو، رغـم أن هذا الملك الجديد لم يذكر بالاسم. إن فترة ابريوم تتزامن، على نطاق واسع، مع عـهد اركب دمو الذي حكم سبعة عشر عاماً، حيث تزينا الوثيقة MEE II 1 أن ابريوم قـد توفي سنة اركب دمو ذاتها، عندما أقام اشر دمو الترنيمات والصلوات المطهرة بعـد موت سلفه.

وقد خلف ابريوم على رأس الإدارة ابنه المدعو أبي ذكير Ibbi-Zikir حيث تطـورت ثروة القصر في عهده بشكل ملحوظ، فبلغت كمية الفضة المسجّلة بين ٤٢٠-٧٣٠ كغ

والذهب بين ٢٠-٢٢كغ، و ٣٠٠٠-٥٠٠٠ قطعة من اللباس. وتسجيل اللوحة (TM. 75. G. 227) تسليم الذهب سنة بعد سنة، مصنفة إياه كملكية لأبي نكير، وقد بلغت كمياته خلال سبعة عشر عاماً حوالي ٢٨٧ مينا. وقد عثر على هذه السجلات في القسم الأول من الهبات، ويمكن ترتيب كثير من تلك الوثائق في سلم زمني منظم.

من جهة أخرى، فقد دامت خدمة الوزير أبي نكير سبعةعشر عاماً في عهد اشـرىمو. هذا ولا توجد ترانيم تتصيب ثالثة أو نصوص أخرى في المستوى الأخير من حضارة مدينة إيلا، أما تلك التسجيلات المتعلقة بتسليم أغنام (التي نشرها بتيناتو في OA 18, 1979, 58-215) فقد سجلت في عهد الملك آن آر-آل أجـادمو Ir/II-'a-ag-du-mu الذي كان ابنا لاشر دمو وخلفه المسمى. وهذا يثبت أن تهديم مدينة إيلا يتصادف مع نهاية اشر دمو.

لقد توفي ابلول إيل Iblul-II صاحب ماري خلال عهد اجرش خالام. هذا ولا وجود لأي معاصر آخر من السلالات الرافدية بشكل مؤكد. وقد يجوز الاستنتاج، من خلال النص (TM. 57. G. 10091) أن ملك كيش Kish خلال عهد اشردمو كان اسمه اشكنونو Ish-Km-nu-nu.

ويعكس لنا ثمانون ونيف من نصوص إيلا أهمية علاقاتها مع مدينة كيش السومرية بينما لم يذكر أي شيء عن آكاد. وسبب ذلك، كما يبدو، أن نهاية دور إيلا يؤرخ مع بداية عهد شروكين المعروف بصارجون Sargon أو بعده بعدة عقود.

٤ـ تنظيم الدولة:

كان نموذج إدارة المدينة القديمة في العراق وسورية يبنى على أساس معلومات نصية وثائقية (وليس على أساس معلومات أثرية وحسب) وكان هذا النموذج يؤخذ كمرجع من مدينة جرسو Girsu عاصمة دولة لاجاش السومرية، حيث عثر فيها على عدد لا

بأس به من الألواح. أما اليوم فمن الضروري أن نأخذ في الحسبان أن نصوص محفوظات إيلا التي كانت معاصرة لمثيلاتها من نصوص جرسو، ولها نظامها الخاص المختلف، ضمن تطورها التاريخي. وتعتبر إيلا تجربة مختلفة، وتشكل منطلقاً هاماً وخاصة لدراسة الثقافة المدينية. حيث نلمس في كلتا الحالتين - جرسو وإيلا مجتمعاً شديد التمركز في بنائه الإداري الملكي. لم يكن "بيت الملك" é-en في إيلا سكنا للملك وحسب، بل كذلك لأولاده ورجال آخرين من أقربائه وسلالته، ولأكثر من أربعين شخصية تدعى المشايخ أو القدماء الذين يجلسون قرب العرش وهكذا فإن أب أبا -abb abba-al, - tuch-shu dul وهو لقب يعزى إلى أهم شخصية رسمية. وكما تشير إلى ذلك المخصصات من الطعام (ARET IX) فإن التقدمات المتكررة إلى الآلهة تتم في "بيت الملك" حيث يتم استقبال العواهل والرسل الأجانب أيضاً، وقد وظف لخدمة بيت الملك أكثر من ألف خادم أي جرش جرش gurush-gurush.

وكانت الملكة وشقيقات الملوك وبقية "نساء الملك" (دام ان) dam en اللواتي يقدر عددهن من بين ٢٦-٥٠ امرأة، ويضاف إلى هؤلاء امرأة موظفة للخدمة وتحضير الطعام وغيره، وكلهن كن يعشن في بيت الملك é en (ARET IX, 47, 51). ولكن في جناح مخصص لهنَّ. وهو بالتأكيد جناح الحريم المعروف في جميع قصور المشرق وهو هنا الأول من نوعه في التاريخ. وقد كان هذا القسم معزولاً بشكل قاطع عن قسم الرجال وكذلك الحال بالنسبة لتوزيع مخصصات الطعام والمؤونة.

ويضم هذا التجمع السكني الملكي الإداري والمركزي، (إضافة إلى بيت الملك) ما يدعى بـ ساج (كي) Sag (Ki) (SA. ZA (Ki)) وهنا يعيش الأفراد المهنيون المتخصصون في جميع الأعمال المتعلقة بالقصر، وأمثال هؤلاء: المغنون والحلاقون والمراسلون والحمالون، ويبلغ عددهم بين ١٥٠ إلى ٢٥٠، أما النجارون والحدادون فقد يصل عددهم إلى ٥٠٠، Simug ويوجد حوالي ٥٠٠٠ عامل موزعين على مجموعات عمل (ir-a-num).

وهناك موظفون آخرون يقطنون في الضواحي (ir-a-num) والواقع أنه يمكن القول أن وجود المدينة بكاملها يقوم على وظائف القصر وتنظيماته.

وهناك لائحة بتوزيع أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مكيال للمحاصيل الحقلية (النص TM. 57. G. 190039) بين المستفيدين من الفئات التالية:

١- الشيوخ آبا Abba

٢- السماسرة مشكيم Mushkim

٣- موظفون (ur_4) متنوعون

٤- نجارون نجار (nagar) لاحظ الأصل السومري لكلمة نجار

هذا وتفيدنا النصوص المتعلقة بإنتاج المزارع والحقول بإعطاء فكرة عن الاستيطان الزراعي السريع والمنتج؟ والكثيف في إيلا.

وتعكس لنا نصوص أخرى تبادل السلع التجارية عن طريق القوافل والمبعوثين بين دول المدن (ARET I, 219-235) وأن هذا النشاط الفعال لا بد وأنه قد بدأ في سورية الشمالية منذ نهاية القرن الخامس والعشرين على الأقل، ومن ثم تطور نحو مزيد من الاستقرار والانتعاش.

هذا من الصعب التنبيه إلى المصاعب التي تشوه رؤيتنا لبعض المشكلات من خلال النصوص المتوافرة لنا من محفوظات إيلا، إذ لا توجد لدينا أدلة من تلك النصوص عن القبائل والفصائل البدوية التي استوطنت شمال سورية آنذاك أو التي استقرت في بعض المدن، واستقلت الواحدة عن الأخرى، وصارت جزءاً من المدنيين المستقرين، وهو واقع على عكس ما نلمسه من خلال المعلومات التي قدمتها لنا محفوظات مدينة ماري في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وهناك انطباع وحيد يفسر هذا الواقع وهو أن البدو آنذاك كانوا محصورين في منطقة بين إيلا وشمالي مدينة قَطْنَا وجبل بشري حيث كان يعيش بدو المارتو Martu.

ومع بداية القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بدأ السوريون القدماء تكوّين دويلاتهم في مناطق سوّرية، كما حدث سابقاً في بلاد بابل وفي كيش. وكانت مدينة ماري، بصورة أساسية، وفي عهد أبلول ايل (طبقاً لرسالة انادجن (TM. 75. G. 2367))، وقد ورثت السيطرة على مناطق الفرات الأوسط، وكانت مدينة إيمار Emar قد تعرضت مراراً للهزيمة من قبل فصائل ماري التي وصلت حتى الجبال التي تطوّق شمال غرب حلب/خلب، وكذلك شمالها في منطقة مدينة خشوان Hasswan. وكانت إيلا، التي دفعت دية أو ضريبة مرتفعة إلى ابلول ايل من الفضة والذهب قد خلفت، بعد بضع قرون، سيطرة ماري وعملت على موازاتها بشكل خاص.

وتشير المعاهدة مع أبرسال Abarsal إلى أن أراضي إيلا قد امتدت حتى الفرات شرقاً وشمالاً حتى كركميش، في عهد اجرش خالام، وامتد نفوذ إيلا إلى ما بعد مدينة إيمار في عهد اركب دمو، رغم أن ايمار بقيت دويلة مستقلة. في حين أن نفوذ ماري قد وصل إلى توتول Tuttul على ضفة نهر البليخ، ورغم هذا فقد كان مبعوثو إيلا يعرجون على معبد الإله دجن/داجان الواقع في توتول ويقدمون له الأضاحي والعبادة.

وهكذا توطّدت دعائم الدويلات الإقليمية من خلال وجود إيلا وماري وكيش، في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهي تقابل بشكل واضح، نظيراتها في المنطقة خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، الممثلة بدويلات يمخاض وماري وبابل وناجار (تل براك) ذات الأهمية الخاصة التي كانت تخضع لسيطرة دويلة شباط انليل (تل ليلان) وبلاد أبوم Apum المحيطة بها.

٥ـ الديانة:

يرد في وصية الوزير ابريوم بوراثة ابنه له – (TM. 75. G. 1444 IV 7-14-, XV 1-8, SEB 4, 1981, 38, 44) وتأكيد الملك عليها، ذكر لعدد من الآلهة وهم ثلاثة:

١- الإله كورا Ku-ra (d)

٢- الإله اوتو Utu (d)

٣- الإله آدا A-da (d)

ويبدو من المؤكد أن الإله كورا هو، دون شك، الإله الرئيس في مجمع آلهة مدينة إيلا، فهو الوحيد الذي يتلقى أعطيات فردية داخل "بيت الملك" é-en، في حين أن بقية الآلهة لا تذكر باسمها بل يسجلون مجرد "الآلهة". دينجر دينجر دينجر -dingir .dingir-dingir

ويتلقى كورا مع زوجة المؤنث الآلهة براما (d)Barama ليشكلا الزوج الإلهي الرئيس في ترانيم الصعود أو تنصيب الملك. أما إله الشمس اوتو فهو بالتأكيد شمس الذي أعطاه العراقيون الأكاديون رمزه التصويري الذي لم يظهر هنا ولكنه اعتبر آلهة مؤنثة في إيلا كما ستكون حاله في أوجاريت ولدى العرب فيما بعد وكذلك يظهر شمس في الترانيم ARET V 312 حيث أن السابقة المؤنثة في الصيغة الفعلية د-أ-با-أن /ti-a-ba-an/ تيابان قد نسبت إلى أوتو:

"أنت تصنعين اللبن (الطيني)" وقد تأكد هذا الأمر استناداً إلى النص:

TM. 75. G. 2593 rev. IV 4-7: 1 aktum-TUG$_6$ (d)Utu-nita in(x)

وإذا كان المقطع السابق يوحي بضرورة وصف اوتو كمذكر أي نيتا nita فلا يمكن تفسير السبب هنا إلا "بالاستثناء"، فلأن الإشارة هنا تقصد إله الشمس البابلي المذكر "المستورد" من بلاد الرافدين، حيث يرد ذكره في الصلوات والترانيم ARET V6.

أما الإله الثالث والأخير Adde فهو أهم إله سوري متخصص بالطقس وتبدلاته.

ويوجد واحد وعشرون لوحة أو رقيم يسجل تسليم الأغنام إلى القصر الملكي بموجب لوائح نظامية، في القسم الأول من المحفوظات، وهذه الأغنام هي أضحيات مقدمة

للآلهة. وهي تذكر تلك الآلهة مراراً، ولكن لا يتعدى عددها الأربعين إلـــهاً، وترينـا قوائم الآلهة تلك، أن مجمع الآلهة الإبلاوي قد تالف من آلهة سومرية أكاديـــة تعتـبر القاعدة الأساسية في المجمع الرافدي.

ويظهر إلى جانب الآلهة المذكورة آنفاً الآلهة التالية:

- دنجر أش- دار Ash-dar (d)، أي أشتار/عشتار Ishtar.

- دنجر داجن/جان Da-gan (d)، ربّ مدينة توتول.

-بي/لوجال دودولو Be/Lugul Du-du-lu(ki).

الإله بي لوجال ربّ مدينة دودولو

-دنجر جالشالو (جاشارو) Ga-sha-lu (Gasharu) (d) الإله جاشيرو وهو اسم علـــم معروف فيما بعد في حلب.

-دنجر جاميش، كاموش (d)Ga-mi-ish.

-دنجر راساب (d)Ra-su-ap (Reshef) الإله رشف...

أما الآلهة الرئيسة في المستوى الثاني بعد الإله كورا منهم:

-دنجر ايدا كول /بعل (d)I-da-KUL/bal ويعتقد بعض المتخصصين أنه إله من أصل أكادي.

- أما زوجة الإله السابق فهي الآلهة: دنجر بي- مي =بعلتوم= السيدة.

-وهناك الآلهة المدعوّة آ-دام-مــا (d)A-dam-ma، وهـــي الـزوج المؤنـث للإلـــه رسب/رشف (وهو الذي سيصبح الإله الرئيس لدى الحوريين). اعتباراً من منتصـــف الألف الثاني ق.م، حيث يبدأ ظهورهم في سورية والرافدين كقوة سياسية.

-دنجو أماريجو Am-ma-ré-gu[(d)]، وهو إله مقدس في الجبال حسب ما تشير إليه النصوص الحورية المتأخرة.

-دنجر أشدابعل. Ash-da-bil[(d)]، وسيصبح هذا الإله "الثالث" إله الحرب لدى الحوريين (في غرب سورية) القادمين من الأناضول.

-دنجر شارا-را/اش SHARA-ru-ish[(d)]، أي الإله اشخارا-Ishhara.

-وأخيراً فإن الإله أو القدرة القدسية بليخا Ba-li-ha هي في الواقع نهر البليخ الذي ما يزال يحمل الاسم نفسه منذ أكثر من أربعة آلاف سنة؟ ويبدو اسم هذا النهر بصيغتين كتابيتين مختلفتين ذلك أنه يشكل من مجريين من المياه. ويبدو أن هذا الاسم اكادي.

وهناك بعض المعلومات والأفكار التي يمكن استنتاجها من جراء تحليل الأسماء الشخصية الدينية. وأكثر الأسماء التي تتردد في النصوص هي الاسم ملك Malik ودمو Damu والإ-إله Il وليم Lim وأشار Ishar وتحمل هذه الأسماء معانٍ تسبغ على أصحابها سلوكاً خاصاً، فالملك-ملك، وأشار هو العادل المحق، ودمو تعني الأصيل-والدم (وهي نفس المعنى العربي)، وليم تعني القبيلة أو القبيل وليم- ليمو يعني الكثير المتعاظم.

ويضاف إلى ما تقدم أسماء أقل تردداً في النصوص ولكنها هامة وتعطي فكرة عن أصولها وهي:

-أدا-أدد Adda.

-أشدور Ashdur.

-دجن Dagan.

-كميش Gamish.

-كورا Kura.

-وأخيراً اسم رسبَ Rasap.

ويلاحظ أن جميع الأسماء الشخصية المذكورة هي أسماء آلهة في المجمع الديني الإبلائي الذي يترأسه كورا كما أسلفنا.

مكانة /الإله آل/ إله (القدرة):

أنَّ وجود هذه الأسماء ومعانيها لا يعني أن ديانة إيلا كانت شعبية. ولكن نلاحظ من جهة أخرى، أن عشرة أسماء من أسماء ملوك إيلا مركب من كلمتي ليم ودمو. ولعل هذا يعكس، دون شك، التقاليد الرافدية في العصور المبكرة، إي في مرحلة ما قبل التاريخ وظهور المدينة، وهذا لا يعكس بالضرورة الأهمية البالغة التي سيصل إليها فيما بعد ايل-إله. وهو يدخل في الأسماء المركبة بعد الاسمين ملك ودمو. وسيكون /عاملا إل/ إله- أي القدرة، اسماً أساسياً في تركيب أسماء العلم في العصر الآكادي والأموري.

هذا، ويجب الإشارة إلى أن اسم (آل) لم يظهر إطلاقاً في القوائم الإدارية. لتوزيع الأضاحي للآلهة، (المنوه عنها أعلاه) ذلك أن (آل هي صفة كل إله فهو إله الآلهة القدرة) فهو يدل قبل كل شيء على /القدرة/ المجرّدة التي لا يرقى إليها أي إله آخر، وهي قدرة لم ولن تحددها نصوص إيلا، وإنما ستظهر واضحة في نصوص الديانة البابلية فيما بعد... وسنلاحظ أيضاً في النصوص الأوجاريتية بعد منتصف الألف الثاني. أنَّ (آل) /إله Il/El يعني "والد الآلهة" أو رب الأرباب وإله الآلهة، وكان دائماً على رأس المجمع الديني الرافدي والسوري.. أما نصوص إيلا فإنها تتعارض مع هذه المكانة.

من أخلاقيات الحرب في الإسلام الباكر

لماذا الحرب في الإسلام؟

الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم بمقتضى نصوص القرآن الكريم، وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وعمله وحروبه، هو السلام، حتى يكون هناك اعتداء من أفراد أو جماعات أو دول، حينها تكون العلاقة هي الحرب، حتى يدفع الاعتداء. والسلام الذي ينشده الإسلام هو السلام العادل غير الذليل المستخذي أو الاستسلام. وقد صرح القرآن الكريم بالعلاقة السليمة التي يجب أن تسود بين المسلمين وغيرهم، فقد قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان أنه لكم عدو مبين"،[١] والسلم هو الصلح،[٢] بل إن الله سبحانه وتعالى قد اعتبر أن شعار الدين الإسلامي هو السلام المطلق بقوله تعالى: "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة" [٣]. ولكن في حالة الاعتداء، يكون القتال هو ضرورة للسلام، لتقرير الحرية الدينية والعدالة الإنسانية، والحياة الشريفة التي لا ذلَّ فيها.

وقد يكون الاعتداء مباشراً من غير المسلمين على المسلمين بالهجوم عليهم، والاعتداء على الأنفس والظلم، والإخراج من الديار بغير الحق، أو يكون الاعتداء على حرية الفكر، وحرية العقيدة، بمنع الناس من أن يستمعوا إلى دعوات الحق ويفكروا فيها ويختاروها أو يرفضوها عن بينة، كأن تمنع الدولة رعاياها من أن يعتنقوا ما يشاءون من الأديان والمذاهب، وتضيق عليهم في الحرية الدينية، وتمنع الدعوة الإسلامية من أن تدخل ديارها. فهذا اعتداء غير مباشر، يقف منه الإسلام موقف الضد، لأن الدين الإسلامي يقرر في مبادئه أنهُ لا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي والهدى

من الضلال، وكل امرئ حر فيما يراه هدىً أو ضلالاً. ولا يرضى الإسلام عن حكم الطغيان والظلم والفتنة في الدين، لا سيما إذا كان المعتدى عليهم والمفتونين في دينهم هم من المسلمين، لأن الفتنة أشد من القتل، ومن يقترف هذه الآثام من حكام او جماعات، لا بد وان يأتي يوم ويناجزون فيه الإسلام وأهله ويعتدون عليهم، ويحاولون ان يظلموهم. لهذا فقد أقر الله سبحانه وتعالى قتال هؤلاء، وسمح للمؤمنين بحربهم: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير الحق إلا أن يقولوا ربنا الله ..."(٤).

لهذا لم يشرّع القتال في الإسلام إلا لحماية العقيدة، وحرية الفكر، وحماية الضعفاء من الطغيان، (٥) وهذا معنى قوله تعالى: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" (٦)، أي حتى لا يكون هناك كفر وينتهي إرغام الناس على عقيدة معينة وترك غيرها. (٧) وفي الوقت نفسه، فإن الإسلام حرَّم الحرب في صورها الأخرى، باستثناء ما ذكرنا من الدفاع الشرعي، يؤيد ذلك قوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" (٨). والدفاع الشرعي هنا يُعبّر عنه من قبل فقهاء الشريعة بـ "دفع الصائل"، أي الوسائل الشرعية لدفع العدوان، وفعل ما يلزم شرعاً لدفع خطر حقيقي على نفس، أو مال، أو ذمي مستأمن. (٩) ولهذا فقد قيل أن الحرب في الإسلام هي حرب دفاعية (١٠)، لأنها حرب ضد الكفار، والمرتدين، والباغين، ومثيري الفتن، ودعاة الانفصال، ولحماية المرافئ والثغور. (١١) وقد أطلق ابن خلدون على هذا النوع من الحروب، أي حروب الجهاد، والحروب ضد المتمردين والمرتدين، بأنها حروب جهاد وعدل. (١٢).

ولقد شرّع الجهاد القتالي أول الأمر لدى استقرار المسلمين في المدينة المنورة وذلك دفاعاً عن الأرض التي أورثهم الله إياها، والجماعة المسلمة التي ترسخ وجودها فوق تلك الأرض، والنظام السلطوي الذي أعطى تلك الجماعة القوة والفعالية. وأرض المسلمين التي امتلكوا السيادة لأنفسهم فوقها هي دار الإسلام التي يجب الدفاع عنها،

وتطبيق سائر أحكام الشريعة الإسلامية فيها. (١٣) أما بقية الأماكن التي يعيش فيها غير المؤمنين، فكانت تدعى دار الحرب، أو دار المخالفين، بسبب الاعتداءات الكثيرة المتكررة، التي انطلقت فيها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمرت بعده. وعلى الرغم من أن هدف الإسلام النهائي كان إقامة السلم والنظام طبقاً للعدالة الإسلامية في دار الإسلامية، وتوسيع هذا الدار حتى تشمل العالم كله خارجها، لكن الإسلام أجاز أمرين:

أولهما: وجود مجتمعات خارج دار الإسلام، يتعين أن يعيش معها إما بشكل دائم أو إلى أن يتم له استيعابها، وثانيهما: وجود جماعات في دار الإسلام ليست جزءاً من الأمة، وهي التي عرفت بأهل الكتاب. (١٤) مثال ذلك اليهود في المدينة المنورة، فكانت مسؤولية المسلمين إزاء هذا الوضع الجديد هو الدفاع عن موئل الإسلام وداره. وعن المجتمع الإسلامي، أو الدولة الإسلامية. وكان من البديهي أن حراسة هذين الحقين والدفاع عنهما لا تتم إلا بدفع المعتدين ورد عدوانهم والقضاء على الأخطار الوافدة من قبلهم. وهذا هو مشروعية الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية، وهو السبب في ارتباط مشروعيته بهجرة المسلمين واستقرارهم في المدينة المنورة. (١٥)

وبمقتضى هذه القواعد، لا يمكن أن تكون الحرب في الإسلام لغير الدفاع، وأن ليس الدفاع لبوس الهجوم. ولا يمكن أن يكون القتال لأجل المخالفة الدينية، أو لحمل الناس على الإسلام، إنما مكان القتال لدفع الاعتداء على النفس والمحرمات الدينية، ومنع الفتنة في الدين. (١٦) وحاول الإسلام تضييق نطاق الحروب ما أمكن، فحرّم القرآن الكريم حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية، فقال: "ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا". (١٧) كما أنكر الإسلام حروب التخريب، والتدمير، وحروب الفتح والتوسيع والاستيلاء، فقال تعالى: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين". (١٨) كذلك استنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال علو المكانة والجاه والفخامة، حيث نص القرآن

الكريم: "ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة" (١٩). أي أعلى مكانة وأكثر جمعاً وأوسع جاهاً (٢٠).

وهكذا نخلص إلى ان الحرب لا تكون إلا إذا كان اعتداء لا يدفعه إلا السيف، وأن الأصل في العلاقة التي تربط المسلمين وغيرهم هو السلم، وأن المودة موصولة بين المسلمين وغيرهم ماداموا لا يعتدون على المسلمين ولا يحاربونهم ولا يخرجونهم من ديارهم، وذلك حسب قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين". إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢١).

إعلان الحرب وتجنب الغدر في مفاجأة العدو:

على الرغم من موقف الإسلام المناوئ للحرب، لكنها إن وقعت نتيجة لتجاوز أعداء المسلمين وبغيهم، وسار جيش المسلمين إلى بلد عدو لحرب مشروعة، فإنها مع ذلك تبقى حرباً نظيفة، تقوم على المبادئ الإنسانية التي جاء بها الإسلام. وكان على قائد الجيش ألا يبادر أعداءه بالقتال حتى يدعوهم إلى خصال ثلاث، كما وردت في الحديث الذي رواه سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ضمن وصاياه لقادة سرايا أو جيوش المسلمين: "... وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال)"، فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم... فأدعوهم إلى الإسلام، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلهم مالكم وعليهم ما عليكم، فإن أبوا فأدعوهم إلى الجزية يعطونكم عن يدٍ وهم صاغرون، فإن أبوا فقاتلوهم حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين. (٢٢) وينقل الإمام محمد بن حسن الشيباني (ت ١٨٩هـ/٨٠٤-٨٠٥م). (٢٣)، عن عبد الله بن عائد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثاً قال: "تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى

تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت من مدر ولا وبر إلا أن تأتوني بهم، مسلمين أحب إليَّ من تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم". وفي هذا اتقاء للحرب ما أمكن الاتقاء، وليس فيه إكراه على الإسلام، لأن التخيير بين الخصال الثلاث أعلاه، ومنها المعاهدة على الأمن والسلام، مقابل الجزية، لا يعد إكراهاً في الدين المنهي عنه بصريح القرآن الكريم.

ولا يجوز في الإسلام أن يبدأ الحرب بالمفاجأة، ولو كانت دفاعية. وقد سبق الإسلام جميع الأديان والدول والقواعد الدولية في هذا المجال، فأوجب الفقهاء على قائد جيش المسلمين إذا ما دعا أعداءه إلى الإسلام أو العهد ودفع الجزية، ألا يحارب فور ذلك، بل ينذرهم إنذاراً متكرراً ولمدة ثلاثة أيام. وقد ذهب الإمام محمد بن أبي سهل السرخسي، [٢٤] (ت٤٨٣/١٠٩٠) أنه يحسن ألا يقاتلهم فور الدعوة والسكوت، بل يبيتهم، أي يتركهم يبيتون ليلة على الأقل يتفكَّرون فيها ويتدبرون ما فيه مصلحتهم. وهذه المهلة –أي أربع وعشرون ساعة– بين الإخطار وبدء الحرب، اقترحتها الحكومة الهولندية في مؤتمر لاهاي سنة ١٩٠٧، ورفضت بقية الدول الأخذ بها. وقد قررها الإسلام منذ القرن السابع الميلادي، فأي بون شاسع بين سماحة الإسلام وقسوة المطامع العدوانية وظلمها [٢٥].

وقد تشدد فقهاء الإسلام في هذه المسألة، فجعلوا جزاء أمير المسلمين أو قائدهم، إذا بدأ القتال قبل الإنذار بالحجة والدعوة إلى إحدى الخصال الثلاث، ودخل في أعمال القتل، وقتل من الأعداء غرة وبياتاً، ضمان ديات نفوسهم، وتعويض ما يتلف من الأموال. وقد ذهب الإمام الشافعي إلى أن دية الواحد منهم في هذه الحالة مثل دية المسلم [٢٦]. وهذه أيضاً حالة يسبق فيها الإسلام القانون الدولي الحديث بأن يجعل على الدولة التي بدأت القتال بغير إنذار ولا إعلان حرب، تعويض الأرواح والأضرار المادية [٢٧].

ويتبين مقدار تجنب المسلمين للغدر والمفاجأة، أنهم إذا كان بينهم وبين دولة أو جماعة عهد أو معاهدة، وبدا من هؤلاء ما يشير إلى الخيانة والاحتيال على نقض المعاهدة والموادعة، فلا يجوز محاربتهم إلا بعد نبذ عهدهم، وإخطارهم بانتهاء مدة الموادعة نتيجة تصرفاتهم العدوانية، وإعلان هذا النبذ وبلوغ خبره إلى القاضي والداني، فلا يحل غدر في الإسلام، حتى ولو بدا الغدر والخيانة من العدو، استناداً إلى قوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين"(٢٨). وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء"(٢٩).

ولقد سار قادة المسلمين على هذه القاعدة، وتحرى خلفاؤهم صحة تطبيقها، ولعل أروع ما يذكر في هذا المجال، ما قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز حينما جاءه قوم من أهل سمرقند، وشكوا إليه أن القائد قتيبة بن مسلم الباهلي دخل مدينتهم في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك على غدر، دون أن يخيّرهم بالإسلام أو الصلح أو الحرب، وأسكن بها المسلمين. فكتب الخليفة عمر إلى عامله على سمرقند، يأمره أن ينصّب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين، أخرجوا من المدينة فلما نظر القاضي، واسمه جميع بن حاضر الباجي، تبين له صحة إدعاء أهل سمرقند في هذه المسألة، وحكم بإخراج المسلمين. فعجب أهل سمرقند من عدالة المسلمين ومراعاتهم لحقوق الشعوب، ورضوا ببقاء المسلمين بين أظهرهم (٣٠). فأي عدالة هذه طبقها المسلمون مع الطرف المهزوم بحيث تخلوا عن الأراضي التي افتتحوها، وقتل فيها من قتل منهم، ليعرضوا على أهلها من جديد، الإسلام أو الصلح أو الحرب؟

تحديد هوية المحاربين وحماية الأبرياء:

ولعل أهم ما كان يتحراه المسلمون في حرب هو تحديد هوية المحاربين الذين توجه إليهم الأعمال الحربية، وتجنب قتال غير المقاتلين، مثل الشيوخ المسنين، والنساء،

والأطفال، والمنقطعين للعبادة، والفلاحين، والتجار، والصنّاع. فهؤلاء مدنيّون ليسوا من المحاربين في شيء، ولا يجوز أن تتوجه إليهم الأعمال الحربية، إلا إذا بدر منهم عمل من أعمال القتال. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث مختلفة، النهي عن قتل النساء، والأطفال، والشيوخ، والأجراء، وأصحاب الصوامع، وذلك تنفيذاً لقوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"(٣١). وقوله تعالى: "ولا تعتدوا"، أي لا تقاتلوا من لم يقاتل (٣٢). وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "انطلقوا بسم الله وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين"(٣٣). وعن ابن عباس قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع (٣٤)". ووما رواه أبو داود عن رياح بن ربيع أنه كان في غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى مقدمته خالد بن الوليد، فمروا بامرأة مقتولة بما أصابت المقدمة، فلما رآها الرسول قال: "ما كانت هذه لتقاتل، وقال لأحدهم الحق خالداً فقل له: لا تقتلوا ذرية ولا عسيفاً"(٣٥). والعسيف، جمع عسفاء، وهم العمال الذين يستأجرون للعمل في الزراعة وغيرها. وقد أورد مالك أيضاً حديثاً عن ابن عمر نهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان (٣٦).

ولقد ترددت هذه التعاليم الإنسانية، التي تحترم حقوق الإنسان في وقت الحرب، بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، في وصايا الخلفاء الراشدين. فنجد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي جيش أسامة بن زيد أمير أول بعثة في عهده، فيقول: "لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا، طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيراً، إلا لمأكله، وسوف تمرون على قوم فرّغوا أنفسهم في

الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم. (٣٧) كما أوصى يزيد بن أبي سفيان أيضاً بما يشبه هذه الوصايا في أثناء توديعه على رأس جيش إلى بلاد الشام" (٣٨).

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمقاتلي المسلمين عند عقدة لواء الحرب: "قاتلوا ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان وعند حمة النبضات وفي شن الغارات، ونزّهوا الجهاد عن عرض الحياة الدنيا، وأبشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم"(٣٩).

ونهج كتّاب المسلمين وفقهاؤهم على التأكيد على هذه الوصايا، فنجد على سبيل المثال أن أبا سعيد الشعراني الهرثمي (ت ٨٤٨/٢٣٤م) في مختصر كتابه المؤلف للخليفة العباسي المأمون عن الحروب، ينصح صاحب الحرب بتقوى الله، وأن يترك البغي والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر إلا بما كان لله في رضى (٤٠). كما فرّع الفقهاء على هذه الوصايا فروعاً، وفصلوها تفصيلاً كبيراً، فذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ٧٤٩/١٣٢)، إلا أنه لا يجوز بحال من الأحوال قتل النساء والصبيان من الأعداء، ولو تترس بهم أهل الحرب، أي حتى لو وضعوهم أمامهم كدروع بشرية لحمايتهم (٤١). كما يرى الأوزاعي أيضاً، استدلالاً بما ورد عن وصايا الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً من التخريب في بلاد الأعداء، لأن ذلك فساد، والله لا يحب الفساد (٤٢). استناداً على قوله تعالى: "وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد"(٤٣). ولقد تحرى فقهاء المسلمين عن سلامة الأبرياء، وعدم توسيع نطاق الحرب حتى في حالة القضاء على فتنة داخلية، أو محاربة البغاة والخارجين على سلطة الدولة، فحبذوا أسرهم بدلاً من القتل، وإذا ما اضطر المقاتلون لجرحهم لم يثخنوا، ولا يتبع في الحرب مدبرهم، ولا يُجهز على جريحهم ولا يُقاتل من ألقى

سلاحه، ومن أسر منهم حبس إلى انقضاء الحرب، وكذلك نساءهم وأطفالهم، ثم يطلق سراحهم. ولا يجوز قتالهم بما يعم أثره، مثل المجانيق، والنار، وإطلاق السيول الجارفة، إلا إذا قاتلوا المسلمين بذلك، واحتاجوا إلى الدفع بمثلها. وإذا تحصنوا في حصن فيه أبرياء، لا يجوز رميهم بنار أو منجنيق، بل يُحصرون ويضيّق عليهم. وكل هذه الاحتياطات والاحترازات هدفها حصر نطاق الحرب، وتحديدها في أضيق الحدود، لحماية الأرواح والأموال، وحقن الدماء، حتى بالنسبة للأعداء الذين يحملون السلاح ضد المسلمين (٤٤).

رعايا الأعداء وأموالهم في دار الإسلام:

حتم الإسلام، كما رأينا، قصر ويلات الحروب على المحاربين من الأعداء في جبهة القتال، دون النساء والأطفال ومن في حكمهم. فكيف نظر إلى رعايا المخالفين وأموالهم الموجودين على أرض الدولة الإسلامية، هل يعتقلون وتصادر أموالهم، كما أقرت بذلك القوانين الدولية الحالية؟ الجواب هو بالنفي، فلا يحل في الإسلام القبض على رعايا الدولة المحاربة المقيمين أو الموجودين في دار الإسلام، رغم قيام حالة الحرب، لأن هؤلاء قد دخلوا، وسمح لهم بالإقامة مستأمنين، فلا يحل الغدر بهم، أو تقييد حريتهم، ويستمرون في أمنهم وتجارتهم وأعمالهم، وأموالهم مصونة لا تمس. ويذهب الإسلام إلى أكثر من ذلك في حفظ حقوق رعايا الدولة المحاربة له، إذا ما دخلوا في دياره بأمان وعهد، فأودعوا أموالهم أو أقرضوها لأحد المسلمين أو الذميين، ثم عادوا إلى بلادهم، وحملوا السلاح محاربين للمسلمين، فتبقى أموالهم محفوظة ولا تزول، ملكيتها عنهم بثبوت أمان الإسلام لأموالهم التي صارت مصونة، فلا يمكن أخذها بحكم الإباحة، وذلك على الرغم من بطلان هذا الأمان بالنسبة لأنفسهم بدخولهم دار الحرب، وحمل السلاح ضد المسلمين (٤٥). ولو مات أحد هؤلاء المستأمنين سواء في دار الإسلام أو في دار الحرب، أو قتل في الميدان محارباً للمسلمين لا تذهب عنه

ملكية ماله وتنقل إلى ورثته عند جمهور فقهاء المسلمين باستثناء الشافعي (٤٦). وفي المقابل لا يجوز للمسلمين الذين دخلوا بلاد الأعداء بأمان منهم ولم ينابذوهم، أن يعتدوا على أموال أهل الحرب، ويخرجوها إلى دار الإسلام. وإن فعلوا ذلك يُفتون برد هذه الأموال إلى أصحابها، لأن الأخذ كان حراماً عليهم بمعنى الغدر، ولأنهم ليسوا بغزاة (٤٧).

وحالة الحرب عند المسلمين لا تمنع المتاجرة مع دول الأعداء، يتولاها بينهم وبين المحاربين، المستأمنون الذين ينتمون إلى الدولة المحاربة. كما يصح أن تخرج المتاجر من دار الإسلام إلى دار الحرب، تحمل مختلف أنواع البضائع، باستثناء أدوات الحرب ومعداتها من سيوف وأقواس وحراب ونبال، والحيوانات المعدة للحرب، ويجوز أن تنقل إليهم الأطعمة والملابس، استناداً إلى ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن إهداء أبي سفيان بن حرب تمر عجوة، وخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة، حين قحطوا، وكان أبو سفيان حربياً (٤٨). ولعل من أبرز الأمثلة على سماحة الإسلام وعدالته وحفظه لحقوق الأفراد في الدول المحاربة، ما أشار إليه أحد الفقهاء بقوله: "إذا بعث الحربي عبداً له تاجراً إلى دار الإسلام بأمان، فأسلم العبد بيع وكان ثمنه للحربي مالكه"(٤٩). وذلك لأن الأمان يثبت له في مالية العبد، ولما كان الإسلام مزيلاً لحق مولاه عليه وجب بيعه ودفع ثمنه للحربي، لأن حق الحربي الذي يقيم في دار الحرب، حتى لو كان حاملاً للسيف ومقاتلاً للمسلمين، لا يضيعه إسلام عبده (٥٠).

وهكذا نرى أن الإسلام لا يستبيح الدماء والأموال إلا في ميدان القتال، وفي غير ذلك الحرمات كلها مصونة محترمة محفوظة، لا يضيع حق، ولا يذهب مال، ولا يؤكل مال بالباطل ما دام صاحبه ليس مقاتلاً أخذ في ميدان القتال. والأمن ثابت للذين لا يقاتلون، لا يزعجون في أموالهم ولا في أنفسهم، والمتاجر تسير في طريقها، فلا، تجويع ولا منع للقوت عن الشعوب التي لا رأي لها في القتال، ولا حصار يفرض على شعب كامل، كما نرى في الحروب، والقرارات التي يتخذها مجلس الأمن في

الوقت الحاضر بتأثير من القوى الباغية في العالم. فالإسلام لم يكن يحارب الرعايا، بل الملوك والحكام المتسلطين على الشعوب بقوة الجند الذين اتُخذوا أداة لظلمهم وإرهاقهم، فلا يتعدّى القتال أو آثاره إلى غير هؤلاء (٥١).

احترام الفضيلة والإنسانية في أثناء الحرب:

والإسلام يدعو إلى الأخلاق الحسنة والفضيلة سواء في السلم أم في الحرب، ويؤكد على تقوى الله، حتى أننا نجد أن القرآن الكريم قد قرن الجهاد بالتقوى، بقوله تعالى: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله"(٥٢). أي أن المعاملة بالمثل يجب أن تكون ضمن دائرة الفضيلة الإنسانية (٥٣). فإذا مثل العدو بالقتلى، فإنه لا يجوز للمسلمين أن يمثلوا بالقتلى، أو أن يشوهوا أعضائهم. فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن المثلة ولو كان بالكلب العقور، (٥٤) ونهى عن النهب والقتل جوعاً وعطشاً، لأنه ليس من الإنسانية في شيء (٥٥). كما نهى الإسلام حتى عن غش القاتل وخداعه ليقتل. ويدل كتاب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أحد قادة جيوشه، دلالة واضحة على هذا الأمر، فقد جاء فيه: "أنه بلغني ان رجالاً منكم يطلبون العلج، حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع، فيقول له الرجل لا تخف، فإذا أدركه قتله، وإني والذي نفسي بيده لا يبلغني أن أحداً فعل ذلك إلا ضربت عنقه"(٥٦).

كذلك عامل المسلمون الأسرى معاملة جيدة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "استوصوا بالأسرى خيراً"، وتطبيقاً لهذه القاعدة، فقد كسا يوم بدر أحد الأسرى الذي لم يكن عليه ثوب بقميص(٥٧)، وهذا دليل على احترامه لإنسانية هذا الأسير، بغض النظر عن موقعهم العدائي في المعركة. كما أوصى أيضاً بإكرام الأسرى، فكان المسلمون يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام، امتثالاً لوصيته، ولما جاء في القرآن الكريم: "ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا" (٥٨).

وهكذا كان الشأن دائماً في معاملة المسلمين للأسرى والرفق بهم والإحسان إليهم، وإطلاق سراحهم بأقل ما يمكن من فداء. ونجد الأمر واضحاً في موقف القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي حين تحريره لمدينة القدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فقد قبل فدية بسيطة لإطلاق سراح الأسرى ومن لم يستطع افتداء نفسه أطلق سراحه بناء على طلب بعض قادته. كما أطلق سراح كل شيخ وامرأة من سكان القدس. وعندما شكت نساء الإفرنج اللاتي أطلق سراحهن، إلى صلاح الدين عن مصيرهن دون رجالهن، أطلق زوج كل واحدة منهن في الأسر. وبذل المال لليتامى والأرامل من الصليبيات تعويضاً عن فقد أزواجهن. وهكذا كان فعله في الأسرى، حسب الشريعة الإسلامية، التي تقتضي بالمن أو الفداء. ويقول أحد مؤرخي الحروب الصليبية الغربيين، أن رحمته وعطفه على الأسرى كانت نقيض أفعال أعدائه الصليبيين، الذين خاضوا على مدى ثماني وثمانين سنة في دماء المسلمين وقتلوا أسراهم (٥٩).

وحُكمُ الإسلام في الأسرى واضح بنص القرآن الكريم: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها"(٦٠). وهذا النص يخيّر بين أمرين لا ثالث لهما، فإما أن يمن قائد المسلمين على الأسرى بالحرية، وإما أن يفتدى الأسرى بمال أو بأسرى مثلهم من المسلمين(٦١). وهذا ما يسمى في لغة العصر الحاضر بتبادل الأسرى، وهو أولى بالإتباع لأن فيه إطلاق الحرية لطائفتين كبيرتين من بني الإنسان، مسلمين وغير مسلمين، لأن الإسلام دين الحرية، ويُقدّر هذه النعمة في اتباعه، كما يقدرها في غير اتباعه، ولا يخص بها جنساً دون جنس، أو إقليماً دون إقليم، ولا ديناً دون دين(٦٢). وقد اخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فكوا العاني، يعني الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض"(٦٣). وقد منّ الرسول صلى الله عليه وسلم على ثمانين أسيراً من أهل مكة هاجموا المدينة، فأخذهم وأعتقهم. وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أسرى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حياً

وكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له"(٦٤). كما أطلق العديد من أسرى المشركين في بدر بغير فداء، وافتدى آخرين بمال (٦٥). وجعل فداء من لا مال لديه، تعليم أولاد الأنصار الكتابة (٦٦).

وتأخذ مسألة الأسرى ومعاملتهم وعمليات فدائهم حيزاً كبيراً من كتب الفقه، وأشير هنا إلى ما جاء في أحد كتب النوازل المغربية، عن عمليات البحث عن الأسرى من قبل المسلمين في دار الحرب، ومن قبل النصارى الأسبان في بلاد الأندلس الإسلامية، حيث كان يأتي "الفكاك" وهو الذي يتولى مسؤولية فداء الأسرى، عادة بعهد من أرض النصارى إلى المسلمين. وكان المفروض احترام هذا العهد حتى تتم عملية الفداء والتبادل بين الطرفين بشكل سليم (٦٧).

الحواشي

١- **سورة البقرة**، الآية ٢٠٨.

٢- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٨: ٣/١٧.

٣- **سورة النساء**، الآية: ٩٣.

٤- **سورة الحج**، الآية: ٤٠.

٥- ينظر: **القرطبي، المصدر السابق**: ٢/٤٦-٤٧.

٦- **سورة البقرة**، الآية: ١٩٣؛ **سورة الأنفال**، الآية: ٣٩؛ وفي محاولة لتحديد وقت الأذن بالقتال، وتفسير هذه الآية، ينظر: محمد نب أبي بكر بن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٣٨: ٢/٥٨؛ ويقارن: محمود أحمد محمد سلمان عواد، **الجيش والقتال في صدر الإسلام**، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، ١٩٨٧، ص٦١.

٧- القرطبي، **المصدر السابق**: ٢/٢٣٦.

٨- **سورة البقرة**، الآية: ١٩٤.

٩- ينظر: داود العطار، **الدفاع الشرعي في الشريعة الإسلامية**، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، ١٩٧٠، ص٤.

١٠- محمد كمال عبد العزيز، **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي**، مجلة القانون والعلوم السياسية، الحلقة الدراسية الثالثة، بغداد، ١٩٦٩: ١/٣٨١.

١١- سهيل حسين الفتلاوي، **المنازعات الدولية**، بغداد مطبعة دار القادسية، ١٩٨٥، ص ٢٦٢.

١٢- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **المقدمة**، بيروت، دار أحياء التراث العربي (د.ت) ص ٢٧١.

١٣- محمد سعيد رمضان البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟** بيروت-دمشق، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ص ٧٩-٨٠.

١٤- مجيد خدوري، **بحث في الثقافة الإسلامية** (الجهاد الأكبر في الإسلام)، بيروت، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩، ص٧٠، وينظر: باسل يوسف، **في سبيل حقوق الإنسان**، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، ص ١١٣-١١٥.

١٥- البوطي، المرجع السابق، ص٩٣؛ وينظر فؤاد علي رضا، **من علوم القرآن**، ط٣، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٤، ص١٠٦.

١٦- تنظر: **تعليقات عمد أبو زهرة في مقدمته لكتاب (السير الكبير)**، للإمام محمد بن الحسن الشيباني، **بشرح الإمام محمد بن أبي سهل السرخي**، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٨: ٦٢/١.

١٧- **سورة المائدة**، الآية: ٣.

١٨- سورة **القصص**، الآية: ٨٣.

١٩- **سورة النحل**، الآية: ٩٢.

٢٠- **ينظر القرطبي، المصدر السابق**: ١١٢/١٠-١١٣؛ علي علي منصور، **الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام**، القاهرة، دار العلم، ١٩٦٢، ص٢٩٠-٢٩١.

٢١- **سورة الممتحنة**، الآية: ٨-٩؛ وينظر: **القرطبي، المصدر السابق**: ١٨/٤٠.

٢٢- ينظر: مسلم بن حجاج القيشري، **صحيح مسلم**، باعتناء، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ١٩٥٦: ٣/١٣٥٧؛ بدر الدين بن جماعة الحموي، **مستند الأجناد في آلات الجهاد**، تحقيق، أسامة ناصر النقشبندي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣، ص٩٢؛ وينظر: أيضاً: ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، تحقيق، فؤاد عبد المنعم أحمد، ط٢، قطر، ١٩٨٧، ص١٧٢.

٢٣- **كتاب السير الكبير**: ١/٢٣٤.

٢٤- المبسوط، **طبعة محمد أفندي الساسي المغربي**، القاهرة، ١٣٢٤هـ: ١٠/٦.

٢٥- ينظر: عبد الخالق النواوي، **العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤، ص١١٥-١١٦.

٢٦- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٩، ص٦٤.

٢٧- منصور، **المرجع السابق**، ص ٣٠٤.

٢٨- **الأنفال، الآية**: ٥٩؛ وينظر: القرطبي، **المصدر السابق**، ٨/٢٢.

٢٩- ينظر أبو داود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٨: ٣/٥٣؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل الهراس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦، ص١٧٦؛ الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة الإعلانات الشرقية، ١٩٧١؛ ١/٢٦٥ (وسوف يرمز لهذه الطبعة دائماً بـ "طبعة ١٩٧١")؛ القرطبي، **المصدر السابق**: ٨/٢٢-٢٣.

٣٠- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذي، **فتوح البلدان**، تحقيق، رضوان محمد رضوان، القاهرة، مطبعة الساعدة، ١٩٥٩، ص٤١.

٣١- **البقرة**، الآية: ١٩٠.

٣٢- القرطبي: **المصدر السابق**، ٢/٢٣٤.

٣٣- مجد الدين عبد السلام بن تيمية، **المنتقى من أحاديث الأحكام**، القاهرة، المطبعة السلفية (د.ث)، ص٦٨٩؛ وينظر السرخسي، **المبسوط**، ص٦ وما بعدها.

٣٤- ابن تيمية، **المصدر السابق**، ص٦٨٩.

٣٥- **سنن أبي داود**: ٣/٥٤؛ وينظر: **صحيح مسلم**: ٣/١٣٦٤؛ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت) ص٩٤٨؛ ابن تيمية **المصدر السابق**، ص٦٨٨-٦٨٩.

٣٦- أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، **موطأ الأمام مالك**، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق، عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، دار العلم (د.ت) ص٣٠٩.

٣٧- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، نشر، دي غوية، لندن، ١٨٧٩-١٩٠٣: ١/١٨٥٠؛ وينظر الشيباني، **كتاب المسير الكبير**: ١/١٧٦-١٨٤.

٣٨- **المصدر نفسه**: ١/١٧٨ فما بعدها.

٣٩- ينظر: منصور، **المرجع السابق**، ص٣١٣.

٤٠- أبو سعيد الشعراني الهرثمي، **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق عبد الرؤوف عون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت) ص١٥.

٤١- ينظر: **كتاب السير والجهاد وأحكامه من فقه الأوزاعي**، ضمن كتاب: **الإمام الأوزاعي ومنهجه كما يبدو في فقهه**، لعبد الرزاق قاسم الصفار، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦، ص ٥٣٣؛ الشيباني، **كتاب السير الكبير**: ١/١٨٣-١٨٤.

٤٢- الأوزاعي، **المصدر السابق**، ص٥٦١، ٥٦٣-٥٦٤؛ الشيباني **المصدر السابق**: ١/١٨٣-١٨٤؛ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، **الرد على سير الأوزاعي**، تحقيق، أبو الوفا الأفغاني، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٧هـ، ص ٦٦.

٤٣- **سورة البقرة**، الآية: ٢٠٥؛ وينظر القرطبي، **المصدر السابق**: ٣/١٣-١٤.

٤٤- ينظر: **ابن جماعة، تحرير الأحكام**، ص٢٤٣-٢٤٥.

٤٥- ينظر: عبد الله بن أحمد قدامة الحنبلي، **المغني**، بيروت دار الكتاب العربي (د.ت)، مصورة عن طبعة المنار للشيخ محمد رشيد رضا: ٨/٤٠٠.

٤٦- **المصدر نفسه**: ٨/٤١١؛ وينظر: الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير** (طبعة ١٩٧١):٥/٢٠٥٢-٢٠٥٣.

٤٧- **المصدر نفسه**: ٤/١٢٩٢-١٢٩٣.

٤٨- **المصدر نفسه**: ١/٢٥٨؛ وينظر: **المصدر نفسه** (طبعة ١٩٧١): ٤/١٢٤٢، ١٤٠٨-١٤٠٩.

٤٩- السرخسي، **المبسوط**: ١٠/٢٩.

٥٠- ينظر: منصور، **المرجع السابق**، ص ٣٢٦؛ أبو زهرة، **مقدمة كتاب السير الكبير**: ٧١/١.

٥١- **المرجع نفسه**: ٧١/١-٢٨.

٥٢- **سورة البقرة**، الآية: ١٩٤.

٥٣- ينظر: القرطبي، **المصدر السابق**: ٢٤٠/٢.

٥٤- ينظر: الشيباني، **كتاب السير الكبير**: ٢٧٧/١.

٥٥- ينظر: أبو داود، **السنن**؛ ٥٣/٣؛ عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني، **تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول**، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٣: ٢٢٨/١.

٥٦- ينظر: أبو زهرة، **مقدمة كتاب السير الكبير**: ٦٦/١.

٥٧- ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق، عبد العزيز بن باز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩: ١٧٧/٦.

٥٨- **سورة الإنسان**، الآية: ٨.

٥٩- ينظر: ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد العربيني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨: ٧٥٢/٢-٧٥٣.

٦٠- **سورة محمد**، الآية: ٤.

٦١- ينظر: الماوردي، **المصدر السابق**، ص ٨٥؛ ويقارن: الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**: ١٠٥٢/٣.

٦٢- أبو زهرة، **مقدمة كتاب السير الكبير**: ٧٤/١.

٦٣- ينظر: العسقلاني، **فتح الباري**: ٢٠٥/٦.

٦٤- ابن تيمية، **المنتقى من أحاديث الأحكام**، ص ٧١٠-٧١١.

٦٥- محمد بن عمر الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق، مارسدن جونس، ط٣ بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٤: ١٣٨/١-١٤٣.

٦٦- ابن تيمية، **المصدر السابق**، ص ٧١٣.

٦٧- ينظر: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع والمغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١: ١٦٢/٢؛ وينظر أيضاً: الشيباني، **شرح كتاب السير الكبير**: ١٦٥٠/٤-١٦٥١، ١٦٥٦ (طبعة ١٩٧١).

أبان بن عثمان بن عفّان رضي الله عنهما
الأمير العالم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)(١)، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير القائل: "وإنما بُعثتُ معلماً..." (٢)، ورضي الله عن أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعلى كل من دخل في عموم قوله ﷺ :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" (٣).

ومكانة العلماء عظيمة وشرف منزلتهم سامقة أكبر من أن يحصيها كتاب (٤).

وروى ابن ماجة في سننه عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أول من يشفع يوم القيامة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) (٥).

وأما "الأمراء" فهم الشق الثاني الذي تصلح به أمور العبادات وهم النواب عن الإمام (الخليفة) في حراسة الدين وسياسة الدنيا وبصلاحهم يصلح أمر البلاد والعباد.

وقد جمع أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما بين العلم والإمارة، أو بين إصلاح المجتمع عن طريق الإمارة على المدينة المنورة نحو سبع سنين، وبين القضاء والفتيا ونشر العلم بين الناس بما حباه الله من العلم بالكتاب والسنة.

ولهذا كان عنوان هذا البحث هو:

"أبان بن عثمان بن عفان – الأمير العالم"

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق بعض الأمور التي اضطرب فيها قلم المؤرخين مثل

مولد أبان ووفاته وموقفه من تدوين المغازي. **وإلقاء الضوء على شخصية أبان بن** عثمان كرجل من رجالات العصر الأموي، كان له أثر بالغ في مجال العلم والسياسة، ومع ذلك لم يحظَ بمزيد من الدراسة حسب علمي. والتأكيد من خلال الدراسة على أهمية إمارة العالم.

وأسأل الله تعالى أن يلهمنا القول السديد والرأي الرشيد.

والحمد لله أولاً وأخيراً

المبحث الأول

أبان بن عثمان من مولده حتى توليه الإمارة

اسمه ونسبه:

أبان [٦]: هو أبان بن عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي [٧].

وأبوه: أبو عبد الله [٨] أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ثالث الخلفاء الراشدين، الذي قتل شهيداً سنة ٣٥ هـ [٩]، ويلتقي نسب أبان من أبيه بالنبي ﷺ في (عبد مناف)[١٠].

وأمه: أم عمرو [١١] أسماء بنت جندب [١٢] بن عمرو بن حممة بن الحترث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منبه بن دوس [١٥]، من الأزد [١٥].

مولده:

ولد أبان في خلافة أبيه عثمان ﷺ، بعد عام ٢٣ للهجرة؛ ولهذا عده من العلماء من التابعين [١٦].

وقد أورد الواقدي في فتوح الشام ثلاث روايات تفيد في مجملها أن أبان بن عثمان شارك في معارك اليرموك سنة ١٥ هـ، وعده من الصحابة [١٧]، وبهذا يكون مولده في أوائل عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تقريباً، وأنه شارك في فتوح مصر سنة ٢٣ هـ [١٨]، وقال شعراً على البديهة، وكان أحد ثلاثة أنقذوا خولة بنت الأزور[١٩].

وهذه الروايات الثلاثة مشكوك فيها جميعاً للأسباب التالية:

(أ) لأن جندب بن عمرو الدوسي – جد أبان لأمه – كان قد جاء مهاجراً إلى المدينة مع وفد الأزد الذي وصل في العام الثامن للهجرة ثم خرج في عهد عمر بن الخطاب مع المتَّجهين لفتوح الشام، تاركاً ابنته (أم عمرو) عند أمير المؤمنين، وقد طلب منه أن يزوّجها لكفؤ ولو بشراك نعله، أو يمسكها حتى تلحق بدار قومها، فكانت عند عمر تدعوه أباها إلى أن زوّجها من عثمان بن عفّان ﷺ فولدت له عمرو بن عثمان في عهد عمر [٢٠]. وهذا يقضي أن يكون أبان قد ولد في عهد أبيه!!؛ لأن عمراً أكبر إخوته وهو الوحيد الذي صرح صاحب الإصابة [٢١] بمولده في عهد عمر ﷺ.

(ب) ولأنه لم ترد كتب التراجم –حسب إطلاعي– من عد أبان من الصحابة، بل عدّه العلماء من التابعين، وهناك من عدّه من تابعي التابعين [٢٢].

(ج) ولم يرد في أي كتاب من كتب الشعر وطبقاته –حسب إطلاعي– اسم أبان بن عثمان بن عفان أنه قرض الشعر، فضلاً عن أن يكون ذلك في مقتبل عمره، وعلى البديهة، وفي موقف شديد كموقف الحرب، ولم أعثر على الأبيات الثلاثة التي ساقها صاحب فتوح الشام في أي مصدر آخر.

كنيته ولقبه:

كني أبان بن عثمان بأبي سعيد [٢٣]؛ نسبة إلى اسم أكبر أبنائه (سعيد). ونقل بعض العلماء كنية أخرى له هي "أبو عبد الله" [٢٤]. وذكر الذهبي في سيرة كنية ثالثة هي "أبو سعد" [٢٥].

ولا شك أن الكنية الأولى "أبو سعيد" هي الأرجح والأقوى؛ لعدة أسباب:

أولاً: قال ابن سعد: "...فولد أبان بن عثمان سعيداً كان يُكنى" [٢٦].

ثانياً: هذه الكنية "أبو سعيد" هي التي غلبت عليه، واشتهرت عن الكثير من العلماء$ فقد ذكرها على سبيل المثال: البخاري، ومسلم، والبستي، وابن أبي حاتم، وابن حجر، وغيرهم [٢٧]

ثالثاً: كنيته "أبي عبد الله" جاءت عند العلماء بصيغة التضعيف مسبوقة بكلمة (ويقال)، ولعل أبان بن عثمان قد كُني بها إضافة إلى كنيته الأولى، غير أنها لم تنل حظها من الشهرة.

رابعاً: كنية "أبي سعد" التي ذكرها الذهبي لم يسبقه إلى ذكرها أحد من المؤرخين، والذهبي من علماء القرن الثامن الهجري، فلعلها تصحيف.

وأما لقب أبان بن عثمان، فقد اشتهر بثلاثة [٢٨] ألقاب هي: القرشي [٢٩]، الأموي [٣٠]، المدني [٣١].

سماته الخَلقية والخُلقية:

اتسم أبان رحمه الله تعالى بسمات خاصة به في المظهر والشكل العام، لكنها لم تؤثر على مكانته وعطائه، وفيما يلي نعرض هذه السمات:

أصيب أبان بالبرص [٣٢] حتى أنه (حكي أن عمر بن عبد العزيز ﷺ لما فرغ من بنيان المسجد النبوي أرسل إليه فحمل إليه في كساء خز) [٣٣]، وكان يُخضّب مواضع هذا البرص من يده بالحناء، ولم يكن يفعل ذلك في وجهه [٣٤]، وكان يصفّر شعر رأسه وشعر لحيته بالحناء [٣٥]، ولعل ذلك العمل كان يخفف مظهر البرص في وجهه.

وكان به حول [٣٦]، ولم يذكر العلماء ما إذا كان هذا الحول في إحدى عينيه أم فيهما معاً، ويبدو أن الحول الذي كان عند أبان ولد به أو أصيب به في صغره، وهذا يُفسر لنا سبب عدم ظهور مكانة أبان إلا في مراحل متقدمة من عمره، فإنه لم يتول الإمارة إلا وعمره قد قارب الخمسين [٣٧]، ولم ترد أي إشارة إلى تعلمه القراءة والكتابة في

حياته، فكل ما روي عنه كان مشافهة.

كما أصيب بالصمم الشديد (٣٨)، ولعل هذا الصمم الذي أصيب به كان بعد أن كبر سنه، فهو من أمراض الشيخوخة غالباً (٣٩).

وعده الجاحظ ضمن العرجان، وقال عنه: "كان أحول أبرص أعرج"(٤٠).

وظهر بين عينيه أثر السجود، وهي العلامة التي تظهر في الجبين بسبب كثرة السجود(٤١).

وأصيب في أخريات حياته بالفالج (٤٢) قبل وفاته بعام واحد فقط (٤٣) وكان أهل المدينة يضربون بفالج أبان المثل.

هذه هي سمات أبان بن عثمان بن عفّان رضي الله عنهما الخَلقية: أبرص، أحول، أعرج، به صمم، وكان يصفر رأسه ولحيته بالحناء، مصاب في آخر عمره بالفالج، الذي يحتاج إلى صبر كبير، ونفس راضية، ومع كل هذا يظهر أثر السجود بين عينيه.

إن أباناً رضي الله عنه رجل ابتلاه الله عز وجل ببعض الأمراض الجسدية، ولكنها لم تعق حركته، حتى في أشد حالات المرض، فقد كان يحمل إلى المسجد كما أنه لم يترك العبادة، بل ربما أطال السجود حتى ظهر أثره بين عينيه.

وهذا درس مهم يدعونا للوقوف على بعض سمات هذا الرجل الخلقية التي جعلت منه عابداً لله، مخلصاً، صادق الإيمان، فما هي هذه السمات؟

أولاً: اليقين والتوكل على الله تعالى: لقد كان أبان رحمه الله من المتوكلين على الله عز وجل، يمتلئ قلبه باليقين الصادق بقضاء الله وقدره، ويؤكد ذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أبي مودود عمن سمع (٤٥) أبان بن عثمان يقول سمعت عثمان يعني ابن عفان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول: " من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي ". وقال فأصاب أبان بن عثمان الفالج فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه فقال له: مالك تنظر إلي!! فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها (٤٦). وفي رواية للبخاري في الأدب المفرد: " ولكني لم أقله ذلك اليوم ليمضي قدر الله " (٤٧).

ثانياً: حسن الإقتداء برسول الله ﷺ: كان أبان رحمه الله إذا مرَّت به جنازة قام، ثم قال: " عثمان يفعل ذلك وخبرني أنه رأى النبي ﷺ يفعله " (٤٨). وهذا السلوك من أبان يؤكد أنه يقتدي بأبيه الذي اقتدى برسول الله ﷺ، ويوضح ذلك لمن يراه، أو يرافقه، وهذا من حسن الإقتداء.

ومن صور الإقتداء كذلك ما رواه أحمد في مسنده: " عن نبيه بن وهب قال: اشتكى عمر بن عبيد الله بن معمر عينه، فأرسل إلى أبان بن عثمان – قال سفيان: وهو أمير – ما يصنع بهما؟ قال: ضمدهما بالصبر، فإني سمعت عثمان يحدث ذلك عن رسول الله ﷺ" (٤٩). وهذه الفتوى من أبان أفتى بها بناء على ما سمعه من أبيه عثمان ﷺ الذي حدث بذلك عن رسول الله ﷺ.

ومن حسن الإقتداء أيضاً ما رواه عبد الرزاق في مصنَّفه عن " يزيد بن هرمز قال: أخبرني أبان بن عثمان قال: كنا نصلي الجمعة مع عثمان، فنرجع فنقيل " (٥٠). فأبان يقتدي بفعل أبيه، ويخبر عن ذلك.

ثالثاً: الوقار الذي يؤدي إلى احترام الناس له: لقد كان أبان وقوراً هادئ الطبع،

مما يجعل احترام الناس له وتوقيره أمراً ضرورياً؛ يدلنا على ذلك ما رواه ابن كثير قال: " قال أعرابي: والله لقد رأيت رداء أبان مال عن عاتقه يوماً، فابتدره مروان وسعيد بن العاص، أيهما يسويه على منكبيه" (٥١).

أسرة أبان بن عثمان:

أنشأ أبان بن عثمان أسرة، نبغ بعض أفرادها، وطوت كتب التاريخ صفحات حياة بعضها الآخر، ويقول ابن الجوزي: "وعقب أبان كثير من الأندلس" (٥٢).

فأما زوجاته فهنَّ: - زينب بنت عبد الله بن مروان بن عامر بن كريز: وهي أولى زوجاته (٥٣).

وأم سعيد بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة (٥٤).

وكلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: تزوجها ابان بعد الحجّاج بن يوسف الثقفي (٥٥).

وأم ولد، ولم تذكر كتب التاريخ اسمها (٥٦).

وأما أبناؤه فهم:

سعيد وهو أول أبناء أبان، وبه كان يُكنى، وأمه زينب بنت عبد الله بن عامر. ويبدو ان زينب لم تنجب سوى سعيد هذا، فلعلها طلقت، أو توفِّيت، والله أعلم.

(وعمر- وعبد الرحمن (٥٧) - وعمران - وعمرو) وأمهم أم سعيد بنت عبد الرحمن.

(ومعبد - ومحمد - وعمرة) ولم يحدد المؤرخون اسم أمهم.

(وعمر الأصغر - ومروان - وأم سعيد الصغرى - وأم وليد) وأمهم أم ولد (٥٨).

ويتبع أسرة أبان غلام له (٥٩)، ومولى (٦٠).

نشأته وثقافته:

سبق أن عرض هذا البحث سمات أبان بن عثمان رضي الله عنهما الخلقية التي منها أنه كان أحول، أصم، أبرص، به وضح شديد ولعل هذه الملامح كانت من أسباب انزواء أبان عن حلقات العلم التي كانت تتسم بها مدينة رسول الله ﷺ، وبالتالي لم يأخذ عن الصحابة رضوان الله عليهم العلم. ويؤكد هذا الاتجاه أن أغلب رواياته كانت عن والده عثمان ﷺ، ثم زيد بن ثابت ﷺ (٦١).

فأما روايته عن أبيه؛ فلأنه كان في جواره دائماً؛ مما جعله يحفظ عنهن ويدل على ذلك أنه كان اغلب ما يرويه عن أبيه يكون بكلمة: رأيت، سمعت، ... عثمان (٦٢).

ويبدو أنَّ أباناً قد تعلم شيئاً من القضاء من أبيه (٦٣)، كما أنَّ عثمان رضي الله عنه كان يجلس إلى ولده ويقص عليه شيئاً من السير (٦٤).

وأما روايته عن زيد بن ثابت ﷺ (٦٥)؛ فلأنه ﷺ كان من كتاب الوحي الذين كان يستدعيهم عثمان ﷺ لكتابة المصحف وجمعه على حرف واحد (٦٦)، فلعل أباناً جالسه كثيراً، فحفظ عنه وبلغ ما حفظه.

وروى ابن شيبة " عن أبان بن عثمان قال: سألت سعد بن أبي وقاص عن المسح على الخفين فقال: نعم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوم وليلة للمقيم " (٦٧).

ويتضح من هذا الحديث أن أبان بن عثمان كان يسأل عن أمور دينه، وليس متلق للعلم فقط، أو مشاهد لأفعال أبيه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أباناً على قلة من روى عنهم فإن من رووا عنه كثيرون، ويبدو أن السبب في ذلك راجع إلى أنه لم يكن في بداية حياته ممن يروون الحديث، فلما أصبح أميراً على المدينة المنورة سمعه خلق كثير، ونقلوا عنه.

ومن هنا وجب أن نقف وقفة مع شيوخ أبان وتلاميذ. وهذا محور السطور التالية:

شيوخه وتلاميذه:

أول شيوخ أبان هو أبوه عثمان ﷺ [٦٨] الذي روى عنه أحاديث كثيرة [٦٩]، وشيئاً من القضاء [٧٠]. وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وعمرو بن عبد عوف، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعطاء، والقاسم، ومكحول، وعبد الرحمن بن الأسود، ومعاوية بن عمّار [٧١] ﷺ.

تلاميذه:

روى عن أبان خلق كثير جاوز الخمسين بعضهم من التابعين وبعضهم من تابعي التابعين، ومن أشهر الرواة عنه: أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وابنه عبد الله[٧٢]، وربيعة بن أبي عبد الرحمن (أبو عثمان) ربيعة الرأي، وزر بن حبيش، وسعيد بن المسيب، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد، وعلي بن الحسين، وعمر بن عبد العزيز، وعمرو بن دينار، ومحمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن المنكدر، ومحمد بن كعب بن سليم القرظي، ونبيه بن وهب بن عثمان [٧٣]. كما روى عنه أبناؤه عبد الرحمن وعبد الله وعمر وعمرة ومعبد وعثمان بن عبد الرحمن بن أبان [٧٤]. وأما رواية مسلم بن شهاب الزهري عنه فيقال: لم يسمع الزهري من أبان [٧٥].

ويتضح مما سبق أن عدد شيوخ أبان بن عثمان رضي الله عنهما كانوا قلة، في حين كان عدد تلاميذه الذين أخذوا عنه كثير، ولعل ارتباط الناس بأبان في إمارته هو الذي جعل الذين يستمعون إليه كثير، ويدل على ذلك أن أغلب هؤلاء الذين نقلوا عنه كانت نقولهم متشابهة، فربما نقل عنه في الرواية الواحدة أربعة منهم [٧٦].

أبان بعد مقتل أبيه عثمان:

روت كتب التاريخ عن هذه الفترة روايتين لهما بالغ الأهمية بالنسبة لموضوعنا، الأولى بعد أربعة أشهر من مقتل أبيه عثمان رضي الله عنه، حيث كان في الجماعة

المطالبين بالثأر من القتلة، والثانية في معركة الجمل حيث اشترك أبان فيها.

الرواية الأولى:

بعد أربعة أشهر من مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتولية علي بن أبي طالب رضي الله عنه أميراً للمؤمنين خرج الصحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام في رفقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يريدون إلزام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالإسراع في تنفيذ القصاص في قتلة عثمان رضي الله عنه، وكان رأي الخليفة أن يبدأ باستتباب الأمن في البلاد عموماً والمدينة المنورة على وجه الخصوص، ثم ينفذ القصاص في القتلة. ويروي الطبري " عن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال: لقي سعيد العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق، فقال: أين تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل؟ اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم، لا تقتلوا أنفسكم!! قالوا: بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة عثمان جميعاً، فخلا سعيد بطلحة والزبير، فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ اصدقاني!! قالا: لأحدنا، أينا اختاره الناس، قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟!! قال: أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف؟!! فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال المغيرة بن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان هاهنا من ثقيف فليرجع، فرجع، ومضى القوم معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان " (٧٧).

فهذه الرواية تبين أن منصب الخلافة أوشك أن يصل إلى أحد أبناء عثمان رضي الله عنه، غير أن هذا الأمر لم يكتب له النجاح لأحد منهم، ولأبان بصفة خاصة لعدة أسباب من أهمهما:

أولاً: صغر سن أبان في ذلك الوقت؛ مما يجعل تحمله لمسؤولية الامة امراً غير مقبول في ظل وجود كبار الصحابة رضي الله عنهم. وهذا ما عبر عنه طلحة والزبير رضي الله عنهما حين ردّا على سعيد بن العاص

بقولهما مستنكرين: " ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم؟! ".

ثانياً: لم يكن أبان وحده مع القوم، بل كان معه أيضاً أخوه الوليد بن عثمان، وهذا يقلل من فرصة توليه للمنصب.

ثالثاً: لم يكن أبان أكبر إخوته، فقد سبقه على الأقل شقيقه عمرو بن عثمان.

رابعاً: لا شك أن الصفات الخلقية لأبان تعد من العوائق التي تجعل منصب الخلافة بعيداً عنه إلى حدٍ كبير فلا يعقل أن يُختار لهذا المنصب أبرص أحول أصم به وضح، وفي الناس، أو على الأقل في أبناء عثمان من هم أحسن حالاً من ذلك!!.

خامساً: كان الوضع في الدولة غير مستقر بسبب الفتنة التي أعقبت قتل الخليفة، ولا يزال الثائرون الذين تسببوا في قتل الخليفة يملئون نواحي المدينة، ولن يرضوا بأن يكون ولد من أبناء عثمان خليفة عليهم؛ لأن ذلك يعني القضاء عليهم جميعاً.

سادساً: إن اختيار ولد من أبناء عثمان يعني السير على سياسته التي كانت - في نظر بعض الناس سبباً في الفتنة التي أودت بحياة الخليفة، وأدت إلى خلو هذا المنصب.

اشتراك أبان في معركة الجمل:

من رواية الطبري السابقة يتضح أن أباناً كان مع طلحة والزبير في جيش أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعاً، وثمة رواية أخرى عند الطبري، تفيد اشتراك أبان في معركة الجمل، حيث أرسل القوم أباناً إلى أم المؤمنين رضي الله عنها ليستشيروها في أمر عثمان بن حنيف الذي قبض عليه، فأمرت بقتله، ثم تراجعت عن حكمها وأمرت بحبسه، وأرسلت إلى أبان ليرجع، فما رجع وعرف الأمر قال لها: " لو علمت أنك

تدعينني لهذا لم أرجع " (٧٨).

ويروي خليفة بن خياط قصة قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وفي نهايتها يلتفت مروان إلى أبان بعد أن رمى طلحة رضي الله عنه بالسهم فيقـــول لأبان: " قد كفيناك بعض قتلة أبيك " (٧٩).

المبحث الثاني
أبان بن عثمان الأمير

تمهيد:

لم تعطِ كتب التاريخ عن حياة أبان بن عثمان منذ مقتل أبيه، سوى اشتراكه في معركة الجمل التي انتهت بعودة جيش عائشة رضي الله عنها، أو بالأحرى ما بقي منهم إلى المدينة، واستقرار الأمور لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه فترة قليلة، ليُستأنف الصراع من جديد مع معاوية رضي الله عنه في معركة صفّين.

ولم تبين المصادر شيئاً عن أبان، هل شارك في معركة صفّين أم لا؟ وبقي الأمر كذلك حتى سنة ٧٢ هـ حين قتل مصعب بن الزبير (٨٠)، فإذا باسم أبان يظهر من جديد على الساحة السياسية في البصرة.

فكيف كان ذلك؟ هذا ما ستوضّحه السطور التالية.

إمارة أبان على البصرة:

بعد مقتل مصعب بن الزبير تنازع على إمارة البصرة " أبان بن عثمان بن عفان، وعبيد الله بن أبي بكر، فغلبه أبان عليها، فبايعه أهلها عليها، فكان أشرف الرجلين"(٨١). ثم أن عبد الملك بن مروان بعث "خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد والياً عليها -يعني على البصرة-، فأخذها من أبان واستتاب فيها عبيد الله بن أبي بكر، وعزل أباناً" (٨٢). ولعل هذا التجاهل لأبان بعزله عن إمارة البصرة جعله يتركها إلى المدينة المنورة؛ وسيتضح ذلك بعد قليل.

إننا لم نلمح لأبان منذ سنة ٣٦ سنة هـ حتى سنة ٧٢ هـ أي أثر في كتب التاريخ والتراجم، فأين كان أبان في مدةٍ تربو على ربع قرنٍ من الزمان؟؟

إذا كانت كتب التاريخ لم تسلط الضوء على هذه الفترة من حياة أبـــان، فإنـــه يمكـــن تصور أن أباناً ترك ساحة السياسة ومسرح الأحداث بعد معركـــة الجمـــل حتـــى لا يعرض نفسه وأسرته إلى مشكلات قد لا يأمن عواقبها.

إمارته على المدينة بالنيابة:

في سنة ٧٦ هـــ ولى عبد الملك بن مروان على المدينة المنوّرة عمّه يحيى بن الحكـم بن أبي العاص بن أمية، فأراد يحيى السفر إلى الشام وافداً على أمير المؤمنين عبـــد الملك، فاستخلف بدلاً منه أبان بن عثمان (٨٣).

فلما قدم يحيى على عبد الملك، وكان خروجه عليه بدون إذن منه قال له عبد الملك بن مروان: ما أقدمك عليّ بغير إذني؟ من استعملت على المدينة؟ قال أبان بن عثمان بـــن عفان. قال: لا جرم، لا ترجع إليها. فأقرّ عبد الملك أباناً على المدينة، وكتـــب إليـــه بعهده عليها (٨٤).

ويبدو أن الخليفة عبد الملك وجد نفسه أمام أمر يصعب الفكاك منه وهو الإبقاء علـــى أبان أميراً على المدينة؛ لأنه لو قام بعزله يكون قد حدث العزل لأبان مرتين، الأولـــى في البصرة، والثانية هنا في المدينة، وهو أمر قد يحدث بلبلة بين الناس، حيث يكـــون عبد الملك قد عزل ابن عثمان بن عفان أمير المؤمنين المقتول، والذي كان بنو أميـــة يواجهون قتلته من قبل!! وبسببه دخلوا في الحكم. ويذكر ابن سعد أن يحيى بن الحكـم "كان فيه حمق" (٨٥) ولعله قصد بذلك اختياره لأبان على ما فيه من تشوهات خلقيـــة، ولكنه وضع عبد الملك في موقف لا يحسد عليه.

إقرار إمارته على المدينة:

لقد أقر عبد الملك بن مروان أبان بن عثمان على إمارة المدينة، فهل كان ذلك حرجـــاً منه؟ أو تطييباً لخاطره بعد عزله عن البصرة؟ أو لأنه لم يجد أحداً غيره من أقاربـــه

في المدينة يصلح لهذا الأمر؟ أو تهدئة لمشاعر آل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن يواليهم؟ أو لأنه معروف بالفضل والعلم، ولن يختلف عليه أهل المدينة؟ أو لأنه من كبار التابعين وابن خليفة من بني أمية؟

ربما كانت بعض هذه الأسباب أو كلها مجتمعة هي التي دفعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى إقرار أبان ليكون عامله على المدينة المنورة.

مدة إمارته:

بدأت إمارة أبان للمدينة في رجب سنة ٧٦ هـ (٨٦)، وانتهت في جمادى الآخرة سنة ٨٣ هـ (٨٧)، فهي إذن سبع سنين وعدة أشهر (٨٨).

إن هذه السنوات السبع كانت من أهم سنوات عمر أبان رحمه الله، ففيها ظهر فقهه وعلمه، وأخذ الناس عنه العلم، ولعل طول هذه المدة يدل على أن أباناً قد أظهر كفاءة جعلت عبد الملك بن مروان يبقي عليه؛ لأن عبد الملك لم يحاب عمه يحيى بن الحكم؛ لأنه لم يأخذ إذنه في الخروج من المدينة – وهو أميرها – إليه فعزله.

أعماله في إمارته:

تتمثل أعمال أي أمير في إمامته للصلاة، ومتابعة تنفيذ الأحكام، وتولية القاضي أو عزله، واستتباب الأمن في البلد التي ولي عليها، فضلاً عن إصلاح المرافق العامة، ومتابعة ولاء الناس لأمير المؤمنين.

أما أبان، فقد فاقت أعماله على ذلك بإمارة الحج، وفيما يلي بيان ذلك:

- **الإمامة في الصلاة:** كان أبان يؤم المسلمين في الصلاة في مسجد الرسول ﷺ سواء أكانت صلاة عامة، أو قيام ليل (٨٩)، أو صلاة كسوف (٩٠)، أو صلاة العيدين (٩١)، أو الصلاة على الجنائز (٩٢)، بل كان يؤمهم في موسم الحج حين

يكون أميراً عليه.

- **الفتيا والقضاء:** قال ابن حزم: " وكان من أهل الفتيا أيضاً فيها: أبان بن عثمان بن عفان، وأخذ عن أبيه " (٩٣). وقال ابن حبان عن أبان: " كان من أعلم الناس بالقضاء"(٩٤). و" عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنه أخبره أبوه أنه كان جالساً عند أبان بن عثمان، فاختصم إليه رجل من جهينة ونفر من بني الحارث بن الخزرج، وكانت امرأة من جهينة عند من بني الحارث بن الخزرج يقال له إبراهيم بن كليب، فماتت وتركت مالاً وموالي فورثها ابنها، فقالت ورثته: لنا ولاء الموالي، قد كان ابنها أحرزه، فقال الجهنيون: ليس كذلك، إنما هم موالي صاحبتنا، فإذا مات ولدها فلنا ولاؤهم، ونحن نرثهم، فقضى أبان بن عثمان للجهنيين بولاء الموالي " (٩٥).

وروى مالك أيضاً: " عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن رجلاً في إمارة أبان بن عثمان أعتق رقيقاً له كلهم جميعاً، ولم يكن له مال غيرهم، فأمر أبان بن عثمان بتلك الرقيق، فقسمت أثلاثا، ثم أسهم على أيهم يخرج سهم الميت، فيعتقون، فوق السهم على أحد الأثلاث، فعتق الثلث الذي وقع عليه السهم "(٩٦).

وعن مالك: " أنه بلغه أن عبد الملك بن مروان أهل من عند مسجد ذي الحليفة حين استوت به راحلته، وأن أبان بن عثمان أشار عليه بذلك" (٩٧).

وهذه الرواية الأخيرة تشير إلى أن عبد الملك بن مروان – وهو المعروف بالفقه – قد نزل على رأي أبان في بداية التلبية بعد الإحرام، عندما كان في زيارته للمدينة، متجهاً إلى الحج، ويدل ذلك على مدى تقدير الخليفة لأبان الذي كان أميراً للحج آنذاك.

وروى مالك عن عبد الملك بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أبان بن عثمان وهشام بن إسماعيل (٩٨) كانا يذكران في خطبتهما: عهدة الرقيق في

الأيام الثلاثة من حين يشترى العبد أو الوليدة. وعهدة السنة، قال مالك: ما أصاب العبد أو الوليدة في الأيام الثلاثة من حين يشتريان حتى تنقضي الأيام الثلاثة، فهو من البائع، وإن عهدة السنة من الجنون والجذام والبرص، فإذا مضت السنة فقد برئ البائع من العهدة كلها "(٩٩). إن خطبة أبان بهذه الفتوى تعد من دلائل اهتمامه بمعاش الناس، وضرورة تعاملهم بشريعة الإسلام.

ومن أمثلة قضاء أبان قال أبو الزناد: " رأيت عبداً أسوداً افتض جارية حرة في عهد أبان بن عثمان، فقضى أبان بالعبد للجارية " (١٠٠).

- **استتباب الأمن وتنفيذ الأحكام:** لقد عاقب أبان بن عثمان وهو والي المدينة رجلاً ثلاثين ضربة، وطاف به؛ لأنه قطع الدراهم وزيف فيها (١٠١). وروى البيهقي في سننه عن أبي الزناد عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول: نهي عن بيع الحيوان باللحم، قال أبو الزناد: وكان من أدركت من الناس ينهون عن بيع الحيوان باللحم، قال أبو الزناد: وكان ذلك يكتب في عهود العمال في زمان أبان بن عثمان، وهشام بن إسماعيل ينهون عنه " (١٠٢). ولعل من صور استتباب الأمن وتنفيذ الأحكام ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن " الحارث بن عبد الرحمن، أن رجلاً من النبط عدا عليه من أهل المدينة، فقتله غيلة، فأتي به إلى أبان بن عثمان وهو إذ ذاك على المدينة، فأمر بالمسلم الذي قتل الذمي أن يقتل " (١٠٣). وهذا النص يوضح أن أباناً رحمه الله كان يقضي بالعدل، ولا يخشى في الله لومة لائم، وأن تنفيذ حكم القتل في المسلم الذي قتل الذمي غيلة لدليل على الإسلام وسماحته.
- **القيام بتولية القاضي وعزله:** لما تولى أبان إمارة المدينة المنورة، عزل عبد الله بن قيس بن مخرمة عن القضاء، واستقضى بدلاً منه نوفل بن مساحق العامري (١٠٤)، فلم يزل قاضياً على المدينة حتى عزل عبد الملك بن مروان

أباناً من منصبه سنة ٨٣ هـ وولى بعده هشام بن إبراهيم الخزومي (١٠٥) الذي عزل هو الآخر نوفلاً، واستقضى عمرو بن خلدة (١٠٦) الزرقي بدلاً منه (١٠٧). وهذا يدل على أن للوالي الحق في تولية القاضي أو عزله، غير أنه من الملاحظ أن أباناً لم يعزل نوفلاً منذ استقضاه؛ مما يشير إلى استقرار المدينة آنذاك.

وجدير بالذكر أن أباناً أراد وهو والي المدينة أن ينتقض ما كان عبد الله بن الزبير قضى فيه، فكتب أبان بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: " إنا لم ننقم على ابن الزبير ما كان يقضي به ابن الزبير ولا ترده، فإن نقضنا القضاء عناء معنى " (١٠٨).

وفي هذا النص بعض الدروس التي يجدر التنويه بها، فأبان لم ينقض قضاء ابن الزبير قبل أن يستشير أمير المؤمنين في ذلك، وهذا دليل على احترام الوالي لأمير المؤمنين، وتقديره كذلك لقضاء من سبقه، ومن حق الخليفة أن يعرف ما سبق أن قضي به في عهد خصمه على منصب الخلافة، وكان رد عبد الملك – الفقيه، أمير المؤمنين دليلاً على الذكاء والفطنة والفقه السليم، فالنقمة على ابن الزبير في موضوع منصب الخلافة لا تجعل عبد الملك يهضم حق خصمه أو ينال منه في رأيه، أو قضاء قضى به، وهذا عين العدل، وحقيقة الوعي، ودقة الفهم.

- **إمارة الحج:** لقد وقع اختيار الخليفة على أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة ليكون أمير الناس في موسم الحج، وتذكر كتب التاريخ أن أباناً تولى هذه الإمارة أربع سنين (١٠٩) من بين سبع قضاها في ولايته على المدينة المنورة، أما السنوات الثلاث تولاها الخليفة عبد الملك وولديه (الوليد وسليمان) (١١٠).

وتتلخص أعمال أبان في أثناء إمارته للموسم في أنه يصلي بالناس، ويكبر في منى

ليلي التشريق فيكبر الرجال والنساء خلفه (١١١)، ويفتي فيما يستجد من أمور، (١١٢) ويستأذنه من يريد عمل شيء غير المناسك (١١٣).

وكان يقيم بعد انتهاء المناسك ثلاثة أيام على الأقل يستقبل فيها أمير مكة، كما يستقبل الناس ويقضي حوائجهم (١١٤).

وفادة أبان على عبد الملك بن مروان:

في أثناء إمارة أبان بن عثمان للمدينة كانت له وفادة على عبد الملك بن مروان، وذلك سنة ٧٨ هـ، فعين زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: وفدت مع إمارة أبان بن عثمان على عبد الملك بن مروان، وعنده ابن الحنفية، فدعا عبد الملك بسيف النبي ﷺ فأتي به، ودعا بصقيل، فنظر إليه، فقال: ما رأيت حديدة قط أجود منها!! قال عبد الملك: ولا والله، ما رأى الناس مثل صاحبها، يا محمد هب لي هذا السيف، فقال محمد: أينا أحق به فليأخذه، قال عبد الملك: إن كان لك قرابة فلكل قرابة حق، قال: فأعطاه محمد عبد الملك " (١١٥).

عزل أبان عن إمارة المدينة:

تشير الروايات التاريخية إلى أن عبد الملك عزل أبان بن عثمان عن إمارة المدينة سنة ٨٣ هـ (١١٦) لكن سبب هذا العزل لم يتضح، ولعلّه كان قد بات واضحاً تدهور صحة أبان بسبب العلل التي كانت تضرب جسده من برص وعرج ووضح شديد. والله أعلم.

المبحث الثالث
أبان بن عثمان العالم

تمهيد:

نبغ أبان بن عثمان رضي الله عنهما في مجالات علمية عديدة، فهو لغوي، فصيح، له قراءة قرآنية، وجهد في تفسير القرآن، ومحدّث، وفقيه، وقاض، ومفت، وله مرويات في السيرة والتاريخ. على الرغم من بعض العوائق الجسمانية التي لم تعقه عن هذا العطاء والتميز. وهذه سمات بارزة في علماء المسلمين الأوائل رحمهم الله.

وجاء في مسائل الإمام أحمد " تسمية الذين انتهت إليهم أصول العلم " رواية عن علي بن المديني، قال: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم العلم: عبد الله بن مسعود، زيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، فأخذ عن ابن مسعود ستة... وأخذ عن ابن عباس ستة... وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلاً ممن كان يتبع رأيه، ويقتدي به، منهم: أبان بن عثمان.. ثم صار علم هؤلاء كلهم - يعني الأحد عشر- إلى ثلاثة: ابن شهاب، وبكر بن عبد الله بن الأشج، وأبي الزناد، ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس (١١٧).

وفيما يلي بيان ذلك بشيء من التفصيل:

أبان بين اللغة والبلاغة:

روت كتب المعاجم اللغوية تفسير أبان بن عثمان لمعنى "الفنن" حيث قال: مثل اللحن في الرجل السري ذي الهيئة مثل التفنين في الثوب الجديد، وهو أن يكون في الثوب الصفيق بقعة سخيفة (١١٨).

وقال في المنتظم عن أبان: "هو أحد سبعة من فصحاء الإسلام" (١١٩).

ولم أعثر لأبان إلا على شذرات من أقواله التي تدل على الحكمة والفصاحة، منها: "قال أبان بن عثمان: إن أحببت أن يسلم إليك دينك فأقل من المعارف" (١٢٠).

وروى ابن أبي شيبة عن يحيى بن عبّاد عن أبان بن عثمان قال: "تعرف الزناة بنتن فروجهم يوم القيامة" (١٢١).

قراءة أبان بن عثمان:

ذكر ابن النديم في الفهرست تحت عنوان "أسماء قراء الشوذان وأنساب القراء من أهل المدينة" أن أبا سعيد أبان بن عثمان بن عفان، من الطبقة الأولى من التابعين، له قراءة (١٢٢). وقد "أخذ القراءة عن أبيه عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعاً"(١٢٣).

وفيما يلي هذه القراءات التي نقلت عن أبان بن عثمان:

ففي سورة (النساء): "قال أبان بن عثمان: كان الكاتب يملي عليه، فيكتب: (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون) (١٢٤) ثم قال له: ما أكتب؟ فقيل له: اكتب (والمقيمون الصلاة) فمن ثم وقع هذا.

قال القشيري: وهذا المسلك باطل؛ لأن الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوة في اللغة، فلا يظن بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل، وأصح هذه الأقوال قول سيبويه، وهو قول الخليل، وقول الكسائي، وهو اختيار القفال والطبري، والله أعلم" (١٢٥).

وفي سورة (الأنعام): عن أبان أنه قرأ (أنعام وحرث حجر) (١٢٦) مرتفعة الحاء والجيم(١٢٧). وفي السورة أيضاً (الأنعام): في قوله تعالى: (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) (١٢٨) "قرأ أبان بن عثمان: (من الضأن اثنان ومن المعز اثنان) رفعاً

بالابتداء" (١٢٩).

وفي سورة (طه): في قوله تعالى: (أن هذان لساحران) (١٣٠). قال القرطبي: "قال أبان بن عثمان: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال: لحن خطأ، فقال له قائل: ألا تغيروه؟ فقال: دعوه فإنه لا يحرم حلالاً، ولا يحلل حرماً" (١٣١).

وفي سورة (الشورى): في قوله تعالى: (يدخل من يشاء في رحمته والظالمون) (١٣٢) قرأ أبان (الظالمون) رفعاً بالابتداء (١٣٣).

آراء أبان في التفسير:

لم ترد في كتب التفسير -حسب إطلاعي- سوى شذرات يسيرة لأبان بن عثمان، توضح فيها رأيه في تفسير بعض الآيات، وربما استند في هذا إلى رأي زيد بن ثابت ﷺ، وفيما يلي ما روى محمد عن أبان:

في تفسير (الذرية) في قوله تعالى: (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) (١٣٤). روى محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال: "سمعت أبان بن عثمان يقول هذه الآية: (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) الذرية الأصل، والذرية النسل" (١٣٥).

وفي تفسير (الصلاة الوسطى) في قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) (١٣٦)، "عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت قال: الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر" (١٣٧).

وفي تفسير (القرء) في قوله تعالى: (والمطلقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كنّ يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) (١٣٨)، قال: القرء الطهر (١٣٩)

روايات أبان في العقائد:

روى أبان بن عثمان رضي الله عنهما روايتين في مجال العقيدة، وبالتحديد في موضوعين منها، هما: (الشفاعة، والقدر)، وقد نقلهما عنه جمع العلماء، وفيما يلي بيانهما:

أولاً: في الشفاعة: روى البزاز في مسنده عن عبد الواحد بن غياث عن عنبسة بن عبد الرحمن [١٤٠] عن علاق بن أبي مسلم -وفي موضع آخر عن عبد الملك بن علاف- عن أبان بن عثمان عن النبي ﷺ قال: "أول من يشفع يوم القيامة: الأنبياء، ثم الشهداء، ثم المؤذنون" [١٤١]. ورواه ابن ماجة، والبغدادي عن عنبسة عن علاق أيضاً بلفظ: "أول من يشفع يوم القيامة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" [١٤٢].

ثانياً: في القدر: فقد روى الترمذي عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يضره شيء" وكان أبان قد أصابه طرف من فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر؟! أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله عليّ قدره [١٤٣].

وهذا الحديث يؤكد إيمان أبان بقدر الله تعالى، وتسليمه بالمشيئة الإلهية[١٤٤].

أبان الفقيه القاضي ومروياته الفقهية:

لما تكونت المدارس الفقهية في عصر الصحابة ظهرت مدارس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ومصر والقيروان والأندلس واليمن وبغداد. وكان من

مؤسسي مدرسة المدينة من الصحابة: الخلفاء الراشدون، وعبد الله بن عمرو، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري. وعنهم أخذ تلاميذهم من التابعين، ومن هؤلاء أبان بن عثمان (١٤٥).

وقال يحيى بن سعيد القطان: فقهاء المدينة عشرة، منهم: أبان بن عثمان (١٤٦).

وعن عمرو بن شعيب قال: "ما رأيت أحداً أعلم بحديث ولا فقه من أبان بن عثمان"(١٤٧).

وقال الذهبي في ترجمته لأبان: "الإمام الفقيه الأمير" (١٤٨). وقال الذهبي: "كان فقيهاً مجتهداً" (١٤٩).

وقال ابن تعزى بردي: "هو من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وكان فقيهاً"(١٥٠).

وقال ابن حزم: "وكان من أهل الفتيا أيضاً فيه: أبان بن عثمان بن عفان، وأخذ عن أبيه" (١٥١).

وقد كان لأبان فقه واضح قضى به (١٥٢)، وروي عنه، وذلك في العبادات والمعاملات (كالوضوء، والصلاة، والجنائز، والحج، والطلاق، والعتق، والميراث، والوصية، والبيوع، والشفعة)، مما سيتضح فيما يلي بشيء من التفصيل:

فهو يرى عدم إعادة الوضوء مما مسته النار (١٥٣). ويرى أن المسح على الخفين يكون ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوم للمقيم (١٥٤).

وكان أبان يقيم بالناس في صلاة القيام بست وثلاثين ركعة ويوتر بثلاث، وهذا هو عمل أهل المدينة (١٥٥). وقد روي عنه في فضل الصلاة حديث رواه عن أبيه عثمان أنه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أرأيت لو أن نهراً جارياً بين منزله ومعتمله، يغتمس فيه كل يوم خمس مرات، هل كان يبقى من درنه شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فكذلك

الصلوات الخمس" (١٥٦).

"وكان النساء يكبّرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد" (١٥٧). وصلى بالمسلمين العيد في المسجد في يوم مطير، مستنداً إلى فعل عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك (١٥٨).

وروي في الجنائز: أن أباناً رأى جنازة مقبلة فلما رآها قام، وقال: رأيت عثمان يفعل ذلك، وأخبرني أنه رأى النبي ﷺ يفعله (١٥٩).

وفي الحج: أفتى بتضميد من رمدت عينه بالصبر، وحدث عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ أنه فعل ذلك (١٦٠).

ومن فقه أبان في الحج تكبيره بمنى ليالي التشريق، وكانت النساء يكبرن خلفه مع الرجال في المسجد. وكان أبان في ذلك متبعاً صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ترجم البخاري باب التكبير أيام منى بقوله "باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة، "وكان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته كمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل السوق حتى ترتج منى بالتكبير، وكان عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيام جميعاً، وكانت ميمونة تكبر يوم النحر، وكان النساء يكبرن خلف أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المسجد" (١٦١).

وكان أبان يفتي بحرمة نكاح المحرم، ويروي في ذلك حديث قال فيه: سمعت عثمان بن عفان يقول: قال رسول الله ﷺ : لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب (١٦٢) .

وفي الطلاق: يرى أبان أن الثلاث طلقات في مرة واحدة تعد طلقة واحدة (١٦٣). وهو رأي الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهذا مذهب أهل المدينة.

ومن فقه أبان أيضاً: أن امرأة إذا دخلت في الحيضة الثالثة وهي مطلقة فقد بانت

[١٦٤]. ويرى أبان عدم انعقاد طلاق المجنون أو السكران [١٦٥].

وفي العتق والميراث: جاء رجل في إمارة أبان بن عثمان أعتق رقيقاً له، كلهم جميعاً، ولم يكن له مال غيرهم، فأمر أبان بتلك الرقيق فقسمت أثلاثاً ثم أسهم على أيهم يخرج سهم الميت فيعتقون، فوقع السهم على أحد الأثلاث، فعتق الثلث الذي وقع عليه السهم[١٦٦].

وروى البخاري في التاريخ الكبير عن "أن أبان بن عثمان خبره عن عمر بن عبد العزيز أن عثمان بن عفان لم يكن يرى العتاقة إلا لوجه الله عز وجل" [١٦٧].

واختصم إليه رجل من جهينة ونفر من بني الحارث بن الخزرج، وكانت امرأة من جهينة عند من بني الحارث بن الخزرج يُقال له إبراهيم بن كليب، فماتت وتركت مالاً وموالي فورثها ابنها وزوجها، ثم مات ابنها، فقالت ورثته: لنا ولاء الموالي، قد كان ابنها أحرزه، فقال الجهنيون: ليس كذلك، إنما هم موالي صاحبتنا، فإذا مات ولدها فلنا ولاؤهم، ونحن نرثهم، فقضى أبان بن عثمان للجهنيين بولاء الموالي [١٦٨].

وفي الوصية: أجاز أبان وصية جارية عمرها ثماني سنين أو تسع لعمة لها [١٦٩].

وفي الديات: قال ابن شهاب: "كانت السنة أن يزاد في القتل والجراح مثل ثلث عقلها في الشهر الحرام، وحرمة مكة، حتى لقد بلغني أن أبان بن عثمان رضي الله عنهما قال: لقد سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقضي بذلك في راحلة المحرم، تصاب في الحرم، فيزيد من ثمنها مثل ثلثه. قال: فنزلت زيادة الشهر الحرام حين درس العلم، وأمسك بزيادة الحرمة، ولم أشعر أنها تركت حتى قدمت مكة سنة ١١٣ هـ" [١٧٠].

وكان من فقه أبان أيضاً ما قضى به، قال أبو الزناد: "رأيت عبداً أسود افتض جارية حرة في عهد أبان بن عثمان، فقضى أبان بالعبد للجارية" [١٧١].

وفي البيوع:

كان فقه أبان هو حرمة بيع الحيوان باللحم، بل كانت تلك الفتوى تكتب في عهود العمال (١٧٢).

وأما في العهدة: فقد كان أبان بن عثمان يذكر في خطبته: عهدة الرقيق في الأيام الثلاثة من حين يشترى العبد أو الوليد (١٧٣). وهذا من دلائل اهتمامه بمعاش الناس، وتعاملهم وفق ضوابط الإسلام، ومبادئه.

وكان يرى في الشفعة: أنه "لا مكايدة، فإذا وقعت الحدود فلا شفعة" (١٧٤).

أبان المحدّث وروايته في الحديث:

كان أبان بن عثمان تابعي، من الطبقة الثانية من أئمة التابعين (١٧٥)، وقيل: من الطبقة الثالثة (١٧٦)، وكان محدثاً، ثقة (١٧٧)، له أحاديث قليلة (١٧٨)، روى له البخاري في كتاب رفع اليدين في الصلاة، وفي الأدب المفرد، والباقون (١٧٩)، ورواياته منها الصحيح، ومنها الحسن.

فمن أمثلة الحديث الصحيح:

روى البخاري عن أبي الزناد عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: "من قال كل يوم، ومساء كل ليلة ثلاثاً ثلاثاً: بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء". وكان أصابه طرف من الفالج، فجعل ينظر إليه، فظن له، فقال: الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله ذلك اليوم ليمضي عليَّ قدر الله (١٨٠).

ورد هذا الحديث عن أبان بألفاظ متباينة، وزيادات كثيرة، من طرق أربعة هي:

أبو الزناد، رواه من طريق أبي الزناد (١٨١): البخاري، والترمذي، وابن ماجة، وأحمد، والطيالسي، والبيهقي، والنسائي (١٨٢).

ومحمد بن كعب القرظي، رواه من طريقه [١٨٣]: أبو داود، وابن حبان، وأحمد، وابن أبي حاتم، وغيرهم [١٨٤].

ويزيد بن فراس، رواه عن طريقه [١٨٥]: عبد بن حميد، والنسائي، والبيهقي [١٨٦].

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن محزمة، رواه من طريقه صاحب تهذيب الكمال [١٨٧].

خلاصة الحديث -بالجمع بين جميع رواياته- أنه يدعو إلى :

١- قول (بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم).

٢- تكرار هذا القول ثلاث مرات صباحاً، ومثلها مساءً.

٣- الدعاء بهذا الحديث يمنع من فجأة البلاء، ويحفظ المسلم يومه حتى يمسي، وليله حتى يصبح، ولا يضره شيء.

٤- هذا المنع من فجأة البلاء، والحفظ الدائم، وعدم الضر مقرون بمشيئة الله تعالى.

٥- كان السابقون من التابعين إذا نقلوا حديثاً نظروا إلى حال ناقله، فإن خالف قوله فعله، سألوه ليستوضحوا الأمر، وإلا تركوا الرواية عنه.

٦- الغضب يؤدي إلى نسيان الذكر.

٧- اليقين بأن سبب البلاء هو نسيان ذكر الله، ليمضي قدر الله.

ومن أمثلة الحديث الصحيح أيضاً:

ما رواه مسلم في صحيحه "عن نبيه بن وهب أن عمر بن عبيد الله أراد أن يزوج طلحة بن عمر بنت شيبة بن جبير، فأرسل إلى أبان بن عثمان ذلك -وهو أمير الحج-

فقال أبان: سمعت عثمان بن عفان يقول: قال رسول الله ﷺ: لا ينكح المحرم ولا ينكح، ولا يخطب " [١٨٨].

ورواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد، ومالك، والدرامي، وابن حبان، والشافعي، والبيهقي، والطبراني، والدارقطني، والحميدي، وابن عبد البر، وابن الجعد، وعبد بن حميد، والطيالسي، والبزار، وابن حزم، وغيرهم [١٨٩].

وفي هذا الحديث زيادات كثيرة توضح الغوامض منه، واختلافات في الألفاظ لها أثر في المعنى مهم، وخلاصتها:

- عمر بن عبيد الله هو ابن التيمي القرشي.
- أرسل عمر نبيه بن وهب -راوي الحديث- إلى أبان.
- كان عمر وأبان محرمين، ولم يتحللا من إحرامهما وقت طلب عمر من أبان أن يشهد عقد النكاح لابنه.
- كان عمر قادماً مع أبان من المدينة.
- أنكر أبان على عمر رأيه، بل شدد القول له، فقال: أعرابي؟ عراقي؟ جافي الطبع؟ ويقصد أبان أنه لا ينبغي لرجل كعمر بن عبيد الله وهو قرشي أن يفعل هذا، فإن كان من أهل البادية، أو ممن غلظ طبعهم فقد يجوز في حقّه أن يسأل، أما وهو على هذه الصفة، فما كان ينبغي له ذلك؛ فأبان لم يتوقع أن لا يكون عمر قد وصله مثل هذا الحديث!!
- زاد في بعض الروايات (ولا يخطب عليه).
- زاد في رواية (الحجامة للمحرم).
- وفي رواية (لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب، تحريم الربيبة التي في حجره، تحريم الجمع بين الأم والبنت).
- وفي رواية (بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبان أني أريد أن أتزوج، فاحضر النكاح، وذلك بمكة، وهو محرم، فأرسل إليه أبان أني سمعت عثمان يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا ينكح المحرم ولا ينكح"). فالرواية تشير إلى تكرار من يريد النكاح حال إحرامه، وأن أبان بن عثمان كان يختار لحضور هذا العقد باعتباره أمير الحج.

- علق الترمذي على روايته بقوله: "حديث عثمان حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند بعض أصحاب النبي ﷺ منهم: عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، ابن عمر، وهو قول بعض فقهاء التابعين، وبه يقول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، لا يرون أن يتزوج المحرم، قالوا: فإن نكح فنكاحه باطل"(١٩٠).
- علق الشيخ الأرناؤوط على بعض روايات ابن حبان بقوله: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

استرسل بعض العلماء في التعليق على حديث أبان هذا؛ لإزالة الالتباس الذي يقع إذا ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما في زواج النبي ﷺ من ميمونة بنت الحارث وهو محرم، فأشار بعضهم إلى أن الحكم برواية أبان، ويعضدها رواية ميمونة رضي الله عنها التي تشير إلى أن النبي ﷺ تزوجها بعد خروجه من مكة في عمرة القضاء وهما حلالان، وحاول بعض العلماء توجيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، باعتبار أن النبي كان قد نوى عمرة القضاء ولم يدخل في إحرامه بعد، فأرسل إلى العباس يخطب ميمونة رضي الله عنهما، فقال ابن عباس: "وهو محرم" أي داخل في عمرة، مستعد لها، كأن يقال: فلان أنجد إذا دخل نجد... إلى غير ذلك من التحليلات التي بسطها العلماء(١٩١).

ومن أمثلة الحديث الحسن:

روى الترمذي عن عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان يحدث عن أبيه قال: خرج زيد بن ثابت من مروان نصف النهار، قلنا: ما بعث إليه في هذه الساعة إلا لشيء سأله عنه، فسألناه، فقال: نعم، سألنا

عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (١٩٢).

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس. قال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديث حسن. ورواه عن طريق عبد الرحمن أبان بن عثمان بزيادات كثيرة، واختلافات في الألفاظ: أبو داود، وابن ماجة، وأحمد، والدارمي، والطبراني (١٩٣).

وخلاصة زيادات الحديث:

- أن عثمان ﷺ هو الذي قام لزيد ﷺ ليسأله.
- في رواية أحمد زيادة على مضمون الحديث السابق هي: (ثلاث خصال لا غل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعونهم تحيط من ورائهم. وقال: من كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا إلا وهي راغمة. وسألنا عن الصلاة الوسطى وهي الظهر).
- في رواية (نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه فأداه إلى من هو أحفظ منه).
- زيادة (لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة).
- زيادة (من كانت الآخرة نيّته...).
- زيادة (وسألته عن الصلاة الوسطى)، وهذا يعني أن السائل هو زيد ﷺ.
- في إحدى الروايات عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت، دون ذكر عثمان ﷺ.

- في رواية: (ثلاث لا يغل عليهن في قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله ...) فزادت كلمة "إخلاص".

أبان بين المغازي والسير:

لا شك أن أبان قد روى عدة أحاديث في كتب السنة ومن بينها روايات في المغازي والسير والتاريخ وفضائل آل البيت، لكن هل ترقى هذه الروايات إلى أن تكون تأليفاً في المغازي كما يرى بعض الباحثين؟ (١٩٤).

هذا ما ستناقشه السطور التالية بإذن الله تعالى... بادئين بنقل روايات أبان في الموضوع، ثم كلام الباحثين، ثم خلاصة الرأي في هذه المسألة.

أولاً : روايات أبان في المغازي والسير والتاريخ:

عن أبي الزناد عن أبان بن عثمان قال: سمعت عثمان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صنع صنيعاً إلى أحد من بني عبد المطلب في الدنيا أو في هذه الدنيا فلم يكفئه في الدنيا أو في هذه الدنيا، فعلي مكافأته إذا لقيني يوم القيامة (١٩٥).

وعن ابن سلام عن أبان وغيره قال: لما توجَّه النبي ﷺ إلى الطائف رأى على العقبة قبراً، فقال: يا أبا بكر ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أبي أحيحة –لعنه الله- فإنه كان شديد التكذيب بآيات الله تعالى، شديد الرد على رسول الله ﷺ، فقال أبان بن سعيد: بل لعن الله أبا قحافة، إنه كان لا يدفع الضيم، ولا يقري الضيف، فقال النبي ﷺ: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات (١٩٦).

وفي قصة إسلام عمرو بن العاص التي رواها محمد بن سلام كان مما قاله نقلاً عن أبان بن عثمان الذي خرج إلى النجاشي ليكيد لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كلمه النجاشي فقال له: يا عمرو تكلمني في رجل يأتيه الناموس كما كان يأتي موسى بن عمران، قال: قلت –القائل عمرو- : وكذلك هو أيه الملك؟ قال: نعم. قال:

فأنا أبايعك له على الإسلام، ثم قدم مكة، فلقي خالد بن الوليد بن المغيرة، فقال له: ما رأيك؟ قال: قد استقام الميسم، والرجل نبي، قال: فأنا أريده، قال: وأنا معك، قال له عثمان بن أبي طلحة: وأنا معك، فقدموا على النبي المدينة، ثم قال محمد بن سلام: قال لي أبان بن عثمان: فقال عمرو بن العاص: فكنت أسن منهما، فقدمتهما؛ لأستدبر أمرهما، فبايعا على أن هلما ما تقدم من ذنوبهما، فأضمرت أن أبايعه على أن لي ما تقدم وما تأخر، فلما أخذت بيده وبايعته على ما تقدم نسيت ما تأخر (١٩٧).

وقال في معجم البلدان: ذو قرد، ماء على ليلتين من المدينة بينهما وبين خيبر، وكان رسول الله ﷺ انتهى إليه لما خرج في طلب عيينة، حين أغار على لقاحة، قال أبان بن عثمان -صاحب المغازي-: وذو قرد ماء لطلحة بن عبيد الله اشتراه، فتصدق به على مارة الطريق (١٩٨).

وعن أبان بن عثمان عن معاوية بن عمار الذهبي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد يقول: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: انظروا من هاهنا من أهل بيتي من بني هاشم؟ قال: فجاء علي بن أبي طالب، فنظر إلى العباس ونوفل وعقيل، ثم رجع فناداه عقيل: يا ابن أم علي، أما والله لقد رأيتنا، فجاء علي إلى رسول الله فقال: رأيت العباس ونوفلاً وعقيلاً، فجاء رسول الله حتى قام على رأس عقيل فقال: أبا زيد، قتل أبو جهل، قال: إذاً لا ينازعوا في تهامة، إن كنت أثخنت القوم، وإلا فاركب أكتافهم(١٩٩).

وعن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة عن أبان بن عثمان قال: دخل الوليد بن المغيرة -وهو غلام- على النبي، فقال: ما اسمك يا غلام؟ فقال: أنا الوليد بن المغيرة، قال، ابن الوليد بن الوليد؟! ما كدت بنو مخزوم إلا أن تجعل الوليد رباً!! ولكن أنت عبد الله (٢٠٠).

وأخرج البغوي من طريق محمد بن سلام الجمحي عن أبان بن عثمان: كان معاوية

بمنى وهو مع أمه إذ عثر، فقالت: قم، لا رفعك الله!! فقال لها أعرابي: لمَ تقولين له هذا؟ والله إني لأراه سيسود قومه!! فقالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه (٢٠١).

وعن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدي بالأرض، قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدي بالأرض، لا أم لك، في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه (٢٠٢).

وعن عاصم بن عبيد الله قال: حدثني أبان بن عثمان عن عثمان: آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي(٢٠٣).

وروي في المستدرك عن أبي الزناد عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عثمان بن عفان، وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن إسماعيل القاري يقول: سمعت عثمان بن سعيد الدرامي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة قول: عثمان بن عفان يكنى أبا عمرو، وأبا عبد الله، قتل في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين (٢٠٤).

وعن بشر بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده عن أبان بن عثمان عن أبيه عثمان بن عفان أن النبي ﷺ صعد حراء، فارتج بهم فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد ﷺ (٢٠٥).

وعن إبراهيم بن عمر بن أبان قال: حدثني أبي عن أبيه أبان بن عثمان قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبي ﷺ: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟! والذي نفسي بيده إن الملائكة تستحي من عثمان (٢٠٦).

وعن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عن جده -أيضاً- قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: بينما رسول الله ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل، ثم استأذن عمر فدخل، ثم سعد بن مالك فدخل، ثم استأذن عثمان بن عفان، ورسول الله يتحدث كاشفاً عن ركبته، فمد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان، وقال لامرأته: استأخري، فتحدثوا ساعة، ثم خرجوا فقالت عائشة: يا نبي الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك عن ركبتك، ولم تؤخرني عنك؟! فقال النبي ﷺ: يا عائشة، ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟! والذي نفس رسول الله بيده إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج (٢٠٧).

وفي تاريخ وفاة الصحابي صفوان بن أسيد التميمي روى محمد بن سلام عن أبان بن عثمان أنه جاء نعي عثمان حين سوي على صفوان (٢٠٨).

وعن أبان بن عثمان عن الحسن أن عمرو بن أراكة -صاحب النبي ﷺ- كان جالساً مع زياد بن أبي سيفان على سريره، فأتي بشاهد فتعتع في شهادته، فقال له زياد: والله لأقطعن لسانك، فقال عمرو بن أراكة: سمعت النبي ينهى عن المثلة (٢٠٩)

وجاء في بغية الطلب: قرأت في جزء من فوائد جعفر بن الفضل بن الفرات، إما بخطه أو بخط كاتبه: حدثني أبو الحسن قال: حدثنا أحمد يعني أبا العباس بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا ابن سلام قال· حدثنا أبان بن عثمان قال: كان الأعشى -أعشى همدان - مع ابن الأشعث، وكان له مداحاً فقال له:

ولقد سألته الجود أين محله؟	فالجود بين محمد وسعيد
بين الأشد وبين قيس باذخ	بخ بخ لوالده وللمولود

فلما أتى به الحجاج بعد هزيمة ابن الأشعث قال له: ألنت المبخبخ للخائن؟ قال: أنا الذي أقول:

أبى الله إلا أن يتمم نوره وتطفى نار الفاسقين فتخمد

فقال: اقعد يا غلام، اكتبها، فلما فرغ منها قال: يا غلام اضرب عنقه، والله لا يبخبخ لأحد بعده (٢١٠).

فهل تعد هذه الروايات التي سبق ذكرها دليلاً على أن أبان بن عثمان من روى في المغازي؟؟

ثانياً: أقوال العلماء والباحثين في صلة أبان بالمغازي:

قال ابن سعد في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن: ثقة، قليل الحديث، إلا من مغازي رسول الله ﷺ، فقد أخذها عن أبان بن عثمان، وكان المغيرة يحرص على أن يقرأ عليه هذه المغازي، ويأمر تلامذته بتعلمها (٢١١).

وفي كلامه عن (ذي قرد) قال يقول ياقوت الحموي: "وقال أبان بن عثمان صاحب المغازي" (٢١٢).

وفي ترجمة الذهبي لمحمد بن إسحاق راوي السيرة النبوية: "حدث عن أبيه، وعمه موسى بن يسار، وعن أبان بن عثمان -فيما قيل-" (٢١٣) وفي موضع آخر قال: "روى عباس عن يحيى قال: سمع أبان بن عثمان" (٢١٤).

وقال البخاري في التاريخ الكبير: "قال لي يحيى بن سليمان: قرأ على ابن وهب عن مالك: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن أنا أبا بكر كان يتعلم من أبان بن عثمان. قال مالك: وكان أبان علم أشياء من القضاء من أبيه عثمان " (٢١٥).

قال محقق تهذيب الكمال: "وتوهم جملة من الباحثين، فنسبوا تأليفاً وعناية بالمغازي لأبان بن عثمان بن عفان هذا (٢١٦)، ولم تكن له عناية بها، إنما ذاك شخص آخر هو أبان بن عثمان بن زكريا اللؤلؤي البجلي، مولاهم، أبو عبد الله المعروف بالأحمر، اتهمه العقيلي (٢١٧) وقال الإمام الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين: تكلم فيه (٢١٨)،

وقال الميزان ولم يترك بالكلّية(٢١٩)، وقد ذكره الطوسي في فهرسته (ص٧) وغـيره. قال الصفدي: وما عرف من مصنفاته إلا كتاب جمع فيه المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة (٢٢٠). فليصحح هذا الوهم" (٢٢١).

ويقول أحد الباحثين بعد عرض موجز لحياة أبان بن عثمان: "والخلاصة أن أباناً محدث له ميل إلى دراسة المغازي، وإذا كان أحد تلاميذه كتب مغازيه إلا أنها اعتبرت من الحديث، فهو -إذن- مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي"(٢٢٢).

والرأي الذي يميل إليه الباحث أن أبان بن عثمان حدث بروايات منها ما كان له صلة بالسيرة والتاريخ، وإذا كان لأبان اهتمام بالمغازي، فلم يصلنا شيء منه، فلعل اهتمامه بها كان تعليمياً لبعض من له به صلة فقط، ولم ينقل عنه ما يشير إلى هذا الاهتمام سوى ما قاله المغيرة بن عبد الرحمن أنه تعلم منه المغازي، فمن المعلوم أن كثيراً من التابعين كانوا يتدارسون المغازي ويحفظونها لأبنائهم، ولعل الذي علمه المغازي رجلاً آخر. بدليل أننا لم نجد للمغيرة هذا أي روايات نقلها عن أبان بن عثمان في هذا المجال، ولا يعقل أن تختفي هذه الروايات في زمن الحفاظ، فضلاً عن أن الرواية التي تكلم فيها أبان عن ذي قرد لم يذكر أن هذا المكان وقعت فيه غزوة، وإنما ذكر شراء طلحة بن عبيد الله له وتصدقه به، وأما الرواية الخاصة بغزوة بدر فقد جاءت مقتضبة. وكذلك شكك العلماء في نقل محمد بن إسحاق عنه، ومعروف أن ابن إسحاق من أوائل من دونوا السيرة النبوية، فلماذا لم يرو عنه في المغازي؟!!.

وفاة أبان رحمه الله:

أجمع المؤرخون على أن أباناً مات في المدينة المنورة (٢٢٣)، بعد عام من الفالج (الشلل النصفي) (٢٢٤)، غير أنهم اختلفوا في سنة وفاته، فمنهم من قال: توفي سنة ٨٥ هـ (٢٢٥)، وأضاف بعضهم "قبل عبد الملك بن مروان" (٢٢٦)، وقال آخرون: مات سنة

١٠٥ هـ (٢٢٧)، وأضاف بعضهم في ولاية يزيد بن عبد الملك (٢٢٨).

وقد حقق المسألة محقق المسألة محقق تهذيب الكمال، وخلص إلى القول: إن أباناً توفي سنة ١٠٢ هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك، بناء على ما نقله "العلامة مغلطاي عن كتاب التعريف بصحيح التاريخ لأبي جعفر بن أبي خالد أنه توفي سنة ١٠٢ هـ بالمدينة (إكمال/١ ورقة ٤٣)، قال بشار: وكانت ولاية يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في أواخر رجب سنة ١٠١ هـ، فتكون وفاته بعد هذا التاريخ، ولا عبرة بعد ذلك بقول من قال بوفاته قبل هذا التاريخ" (٢٢٩).

وهذا الرأي الأخير هو ما أميل إليه، ويتفق مع المنطق، والواقع التاريخ، فإن ما قاله ابن كثير -مثلاً- عن وفاة أبان قبل عبد الملك، لا يصح، لأن عمر بن عبد العزيز كان قد استدعى أبان بن عثمان، لرؤية المسجد النبوي بعد بنائه، ولا شك أن هذا الحديث كان إما في خلافة الوليد أو في خلافة عمر نفسه. وأيضاً فإن ما قاله صاحب التحفة اللطيفة خطأ واضح كذلك؛ إذ لا يعقل أن تكون وفاة أبان قبل عبد الملك، ويكون ذلك سنة ١٠٥ هـ؛ لأن عبد الملك توفي سنة ٨٩ هـ.

الخاتمة

بعد هذا التطواف مع أبان بن عثمان بن عفان الأمير العالم، وحياته بين العلم والإمارة يمكن أن تعرض في هذه الخاتمة من أهم نتائج هذه الدراسة، آمل أن تكون موفقة بإذن الله تعالى:

أولاً- استطاع البحث أن يحدد مولد أبان ووفاته، بعد أن كان غامضاً أو مضطرباً بين المؤرخين، وذلك بعد مناقشات متأنية للروايات التي تعرضت للموضوع.

ثانياً- تحددت سمات أبان الشكلية بشيء من الوضوح، وكذلك سماته الخلقية، وتبين أن الإعاقة الجسدية عنده لم تحل بينه وبين تميزه في الحياة، ووصوله إلى إمارة المدينة المنورة، وهو شرف عظيم استحقه أبان عن جدارة. وفي هذا الأمر درس للمعاقين جسدياً -بل للأصحاء أيضاً- ألا يفقدوا الأمل في الحياة، بل لا بد من أن يكونوا عناصر نافعة في مجتمعاتهم، وأن تدفعهم الإعاقة إلى تواجدهم بدلاً من الانزواء والتقهقر عن ركب الحياة. ولعل أسرة أبان وعقبه الكثير في الأندلس وغيره خير شاهد بعد العمل في الإمارة، ونشر العلم.

ثالثاً- ارتبط أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي كان معروفاً بالحياء الجم، والتواضع العالي، وأفاد أبان من صحبته لأبيه، فتعلم منه شيئاً من القضاء، وقد أفاده ذلك في حياته العملية بعد ذلك، وهنا درس ينبغي إثباته، وهو أنه طالب العلم لا ينبغي عليه أن يترك أهل العلم دون الإفادة منهم ومن مجالسهم، فقد أفاد أبان من مجلس أبيه وقضائه بين الناس فنفعه ذلك.

رابعاً- كان عثمان رضي الله عنه يجلس إلى أبنائه يقص عليهم بعض مشاهداته، مثل روايته عن آخر ما رآه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة، وهو أن يخصص الوالد لأبنائه جزءاً من وقته، يسامرهم، ويقص عليهم القصص الطيب النافع.

خامساً- أخذ أبان عن زيد بن ثابت، وروى عنه أحاديث، لكنه لم يكتف بذلك، بل أخذ عنه شيئاً من القراءات التي كان زيد رضي الله عنه متميزاً فيها، ويبين هذا المسلك من أبان أن طالب العلم يجدر به أن يفيد بشكل جيد من أهل التخصص، فيأخذ عنهم ما يتميزون به ويبرزون فيه، وإن تعددت مواهبهم، حاول الإفادة منها جميعاً.

سادساً- كاد منصب الخلافة يصل إلى أبان، وقد نوقش هذا الموضوع بشيء من التفصيل في ثنايا البحث.

سابعاً- رضي أهل البصرة أباناً أميراً عليهم، غير أنه لم تدم مدة إمارته عليها، ليكون على موعد مع المدينة المنورة، يمسك زمام الحياة فيها سبع سنين، ويتولى في أربع سنوات منها إمارة الحج، ويقضي بين الناس، ويفتيهم، ويؤمهم في الصلاة، ويصلي على موتاهم، ويشيع جنائزهم،ويحقق الأمن والاستقرار لهم فيضرب على يد المزور، ويقيم الحد على القاتل المتهور، ويقتدي بهدي النبي ﷺ في أفعاله.

ثامناً- كان أبان عالماً فصيحاً فقيهاً محدّثاً، له قراءة، وآراء في التفسير، ومرويات في العقائد، وفتاوى ومرويات في الوضوء والصلاة والجنائز والحج والعتق والوصية والميراث والطلاق والديات والبيوع والشفعة، فضلاً عن مروياته في السيرة والتاريخ وغيرهما.

تاسعاً- قام الباحث بدراسة تحليلية لبعض مرويات أبان الحديثة، وعرض مجموعة من الدروس المستفادة منها.

وأخيراً... أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وحسنات كـل قارئ له، وأن يجعلني عند حسن الظن، وأن يجري الحكمة على لساني، وأن يوفق كل صاحب قلم حر إلى خير القول وأنفعه للبشرية، كما أسأله جلت عظمته أن يعين كـــل باحث مسلم على تجلية تراث هذه الأمة، والإفادة منه في حاضرها المتحفز، ومستقبلها الواعد بإذن الله تعالى، والله من وراء القصد وهو يهي السبيل.

والحمد لله رب العالمين

الحواشي والتعليقات

١- **سورة المجادلة**: من الآية ١١.

٢- **سنن ابن ماجة** -باب من بلغ علماً- ج١ ص٨٣ حديث رقم ٢٢٩. قال الألباني: ضعيف.

٣- **صحيح البخاري** ج٦ : ص٢٦٦٧ - باب قول النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم" حديث ٦٨٨١ عن المغيرة بن شعبة. قال البخاري في الصحيح: وهم أهل العلم قوامة على أمر الله أي على الدين الحق لتأمن بهم القرون وتتجلى بهم ظلم البدع والفتون لا يضرها من خالفها لئلا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة. راجع **فيض القدير** ج٦: ص٣٩٦.

٤- ذكر الإمام ابن قيم الجوزية مائة وثلاثين وجهاً في فضل العلم والعلماء وشوف منزلتهم في كتابه: **العلم فضله وشرفه**.

٥- **سنن ابن ماجة ــ كتاب الزهد حديث ٤٣٠٤**.

٦- بفتح الهمزة والموحدة وبعد الألف نون. الإمام مسلم - كتاب الطبقات ، ج١ ص٦١٩ هامش ٦٤٧. **وشرح الزرقاني** ج٣ ص٣٦٨-٣٦٩.

٧- الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥١.

٨- كني عثمان بن عفان * في الجاهلية بـ "أبي عمرو"، ولم يكن قد تزوج، فلما تزوج أولى زوجاته رقية بنت رسول الله ﷺ وهي بكر، وأنجب ابنه الأول عبد الله كني به وتركت الكنية التي كني بها في الجاهلية وتاريخ الخلفاء ص ، ومقتل الشهيد عثمان ج١ ص١٩.

٩- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٧ ص٢١٩. **ومسائل الإمام أحمد** ج١ ص٧٨.

١٠ - نسب النبي؟ هو (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي) ابن هاشم: **السيرة النبوية** ج١ ص٢٠١.

١١- نسبة إلى عمرو بن عثمان بن عفان أخي أبان وخالد وعمر ومريم أبناء عثمان بن عفان من هذه السيدة، وعمرو أكبرهم. **تهذيب الكمال** ج٢٢ ص١٥٤-١٥٣. وقال صاحب التحفة اللطيفة ج١ ص٦٠ : "اسمها أم النجوم"، وقال صاحب **مشاهير علماء الأمصار** ج١ ص٦٦: "اسمها أسماء بنت عمرو" وهو مخالف لكل المصادر التي اطلعت عليها، ولعل اسم جندب قد سقط.

١٢- **مشاهير علماء الأمصار** ج١ ص٦٦.

١٣- ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب** ج١ ص١٣١. وقال في **الإصابة** (ج١ ص٥٢٨ ترجمة رقم ١٢٦٨): "جنيدب بن جندب بن عمرو، قتل بصفين مع معاوية *، وكانت له أخت أصغر منه أوصى بها أبوها إلى عمر فزوجها عمر من عثمان".

١٤- ابن سعد: **الطبقات** ج٥ ص١٥١.

١٥- الطبري: **تاريخ الطبري** ج٢ ص٦٩٢.

١٦- **التحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠.

١٧- **فتوح الشام** ج١ ص٢٠٠.

١٨- **فتوح الشام** ج٢ ص٣٠٣-٣٠٤.

١٩- **فتوح الشام** ج١ ص٢٠٥.

٢٠- **التحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠.

٢١- **الإصابة** ج١ ص ٥١٠.

٢٢- **التحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠.

٢٣- ابن سعد: **الطبقات** ج٢ ص١٥١.

٢٤- **تهذيب الكمال**: ج٢ ص١٦ حيث جاء فيه "ويقال أبو عبد الله" وقال في **التقريب** ج١ ص٨٧ ترجمة رقم ١٤١: "وقيل: أبو عبد الله".

٢٥- الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥١.

٢٦- ابن سعد: **الطبقات** ج٢ ص١٥١.

٢٧- البخاري: **التاريخ الكبير** -ق١ ج١ ص٤٥٠-٤٥١. ومسلم: **الكنى**- رقم١٢٧٥. وابن حجر: **تقريب التهذيب** ج١ ص٦٧. **وتهذيب الكمال** ج٢ ص١٦، وقد علق محقق تهذيب الكمال على هذه الكنية بقوله:"فهذه الكنية المرجحة، وجزم بها ابن القيسراني في الجمع، ولم يذكر غيرها". **ومشاهير علماء الأمصار** ج١ ص٦٧. وابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** ج٢ ص٢٩٥.

٢٨- البخاري: **التاريخ الكبير** ج١ ص٦٠. **والثقات** ج٤ ص٣٧.

٢٩- الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥١. **وتقريب التهذيب** ج١ ص٨٧. **والثقات** ج٤ ص٣٧.

٣٠- الذهبي **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥١.

٣١- الذهبي **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥١.

٣٢- ابن العماد: **شذرات الذهب** ج١ ص١٣١. **والبدء والتاريخ** ج٥ ص٨١. والبرص (**بالتحريك**): بياض في ظاهر البدن؛ لفساد مزاج (**القاموس المحيط** ج١ ص٢٩٠). ولم يحدد المؤرخون متى أطيب أبان بالبرص؟ هل ولد به. أو

أصيب به على كبر؟ ولعله من الأمراض التي يصاب بها الإنسان منذ نعومة أظافره، ولكنه اشتد عليه في أخريات حياته، بدليل حمله في كساء من الحرير إلى المسجد النبوي بأمر من عمر بن عبد العزيز؛ لما فرغ من بنيان المسجد النبوي. (راجع **التحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠) وقال في **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢: أن أبان بن عثمان "أصيب بوضوح شديد"، والوضح: بفتحتين أي الضوء والبياض، وقد كان يكنى به عن البرص. راجع (ابن منظور: **لسان العرب** ج١٢ ص٤٠٧. والجوهري: **مختار الصحاح** ج١ ص٣٠٢. **والمصباح المنير** ج٢ ص٦٦٢. والخليل بن أحمد - **كتاب العين** ج٣ ص٢٦٦).

٣٣- **التحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠. والجاحظ: **رسالة البرصان والعرجان والعميان والحولان** ص٥٦ بتحقيق الخولي.

٣٤- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢.

٣٥- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢.

٣٦- ابن العماد: **شذرات الذهب** ج١ ص١٣١ **والمنتظم** (حتى ٢٥٧ هـ) ج٧ ص١٠٠ وقد وصف الحول الذي عند أبان بالقبح؛ فقال: "وكان به وضح عظيم وصمم شديد وحول قبيح" والحول هو: "إقبال الحدقة على الأنف" الخليل بن احمد **كتاب العين** ج٣ ص٢٩٩.

٣٧- تولى أبان إمارة المدينة سنة ٧٣ هـ (**تاريخ الطبري** ج٣ ص٥٥١) وعمره نحو خمسين عاماً، حسب الافتراض السابق عن سنة مولده.

٣٨- **المنتظم** ج٧ ص١٠٠ وهو الوحيد الذي وصف هذا الصمم بالشدة. **والعبر في خبر من غبر** ج١ ص١٢٩. **ومسائل الإمام أحمد** ج١ ص٣٢٦. ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٩ ص٦٠-٢٣٤. والصمم هو: انسداد الأذن وثقل السمع

(ابن منظور: **لسان العرب** ج٨ ص٣٤٢)، والأصم "الذي لا يسمع" (المغرب ج١ ص٤٨٢).

٣٩- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٩ ص٢٣٤. والذهبي: **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣. كانت وفاة أبان سنة ١٠٢ هـ أو ١٠٥ هـ، مما يشير إلى أنه طعن في السن.

٤٠- الجاحظ: **البرصان والعرجان والعميان والحولان** ص٥٦.

٤١- **الطبقات الكبرى**: ج٥ ص١٥٢.

٤٢- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٩ ص٢٣٤. **والعبر في خبر من غبر** ج١ ص١٢٩. والفالج: ريح يأخذ الإنسان فيذهب بشقه وقد فلج فالجاً فهو مفلوج، قال ابن دريد: لأنه ذهب نصفه، قال ومنه قبل لشقة البيت فليجة وفي حديث أبي هريرة: الفالج داء الأنبياء هو داء معروف يرخي بعض البدن، قال ابن سيده وهو أحد ما جاء من المصادر على مثال فاعل، والمفلوج صاحب الفالج. وقال في **صاحب المنير** (ج٢ ص٤٨٠): "الفالج: مرض يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيبطل إحساسه وحركته، وربما كان في الشقين، ويحدث بغتة". وقال الجاحظ في **البرصان والعرجان** ص٥٦: "فالج أبان كان من النوع الذكر الذي يسمى بالفالج الذكر، وهو الذي يهجم على الجوف"ز

٤٣- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٩ ص٢٣٤. **وتهذيب الكمال** ج٢ ص١٧ هامش٤.

٤٤- الجاحظ: **البرصان والعرجان والعميان والحولان** ص٥٦. **والمعارف** لابن قتيبة ص٥٧٨.

٤٥- في رواية أخرى لأبي داود: هو محمد بن كعب. **سنن أبي داود** ج٤ ص٣٢٣ حديث رقم٥٠٨٩.

٤٦- **سنن أبي داود** ج٤ ص٣٢٣ حديث رقم ٥٠٨٨.

٤٧- **الأدب المفرد للبخاري** ج١ ص٢٣ حديث رقم ٦٦٠.

٤٨- **الأحاديث المختارة** ج١ ص٤٢٧. **وشرح معاني الآثار** ج١ ص٤٨٥.

٤٩- مسند أحمد ج١ ص٦٨ حديث رقم ٤٩٤.

٥٠- **مصنف عبد الرزاق** ج٣ ص١٧٥ حديث رقم ٥٢١١.

٥١- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٨ ص٣١٧.

٥٢- **المنتظم** (حتى ٢٥٧ هـ) ج٧ ص١٠٠ ترجمة رقم ٥٧٥.

٥٣- ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥١. **وتهذيب الكمال** ج٢١ ص٥٣٧.

٥٤- ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥١.

٥٥- ابن العماد: **شذرات الذهب** ج١ ص١٣١.

٥٦- ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥١.

٥٧-ابن سعد: **الطبقات الكبرى**: **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥١. قال عنه الذهبي في **سير أعلام النبلاء** ج٥ ص١٠-١-٥٠: "أحد من يصلح للخلافة، وروى عن أبيه يسيراً، وعنه: عمر بن سليمان، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، قال موسى التيمي: ما رأيت أحداً أجمع للدين والمملكة والشرف منه. وقيل: كان يشتري أهل البيت فيكسوهم ويعتقهم، ويقول: أستعين بهم على غمرات الموت، فمات وهو نائم في مسجده، وقيل: كان كثير العبادة والتأله. رآه علي بن عبد الله بن عباس فأعجبه نسكه وهديه، فاقتدى به في الخير". "وقال المفضل الغلابي: "عباد الرحمن من قريش كلهم عابد: عبد الرحمن بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد

الرحمن بن أبان بن عثمان، وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية"". وقال ابن العماد في شذرات الذهب ج١ ص١٣١: "قال ابن قتيبة: عبد الرحمن بن أبان كان مجتهداً، يحمل الحديث".

٥٨- ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥١. و**تهذيب الكمال** ج٢١ ص٥٣٧. و**التحفة اللطيفة** ج٢ ص٣١٦-٣٣٨، و**النجوم الزاهرة** ج١١ ص١٤٠. و**الثقات** ج٧ ص٤٩٤ ترجمة ١١٣٤. و**السنة لابن أبي عاصم** ج٢ ص٥٣٧.

٥٩- **تاريخ بغداد** ج٦ ص٣٤.

٦٠- قال في **طبقات الفقهاء** ج١ ص١٢١-١٢٢ ترجمة لأبي بكر عبد الله بن محمد النيسابوري، فقال: "ولد سنة ثمان وثمانين ومائتين، ومات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وهو مولى أبان بن عثمان بن عفان، سكن بغداد، وكان زاهداً بقي أربعين سنة لم ينم الليل يصلي الغداة على طهارة العشاء، وجمع بين الفقه والحديث" والسؤال هنا هو كيف يكون أبا بكر النيسابوري هذا من موالي أبان بن عثمان، ومولده جاء بعد وفاة أبان بنحو مائة وثلاثة وثمانين عاماً؟! ومن العجيب أن الحافظ بن كثير رحمه الله ذكر ترجمة أبي بكر النيسابوري كذلك (البداية والنهاية ج١١ ص١٨٦)، وفيها أن مولى أبان بن عثمان بن عفان!!.

٦١ - زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن النجار أبو سعيد وأبو خارجة الأنصاري الخزرجي النجاري المقرئ الفرضي كاتب وحي النبي ﷺ الفرائض، وانتدبه الصديق لجمع القرآن فتتبعه وتعب على جمعه، ثم عينه عثمان لكتابة المصحف وثوقاً بحفظه ودينه وأمانته وحسن كتابته. تذكرة الحفاظ ج١ ص٣٠.

٦٢- مثل روايته في القيام إلى جنازة مرت به، وروايته في تضميد عين المحرم بالصبر. انظر: **الأحاديث المختارة** ج١ ص٤٢٧. و**شرح معاني الآثار** ج١

ص٤٨٥. **ومسند أحمد** ج١ ص٦٨ حديث ٤٩٤.

٦٣- البخاري: **التاريخ الكبير** ج١ ص٤٥٠. وورد كذلك في تهذيب الكمال ج٢ ص١٨. وقال المحقق (هامش ٤): "قال بشار: ونقل مغلطاي وتابعه ابن حجر عن البخاري في تاريخه أنه كان معلم عبد الله بن أبي بكر، وما هاهنا يشير إلى أن أبا بكر هو الذي تعلم منه، وأبو بكر هذا الذي أشار إليه البخاري هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري الثقة المشهور".

٦٤- **الطبقات الكبرى** ج٣ ص٣٦٠.

٦٥- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٦.

٦٦- **دراسة في علوم القرآن** للدكتور فهد الرومي ص٩٩.

٦٧- **مصنف ابن أبي شيبة** ج١ ص١٦٦ حديث ١٩٠٩.

٦٨- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٦. وقد سبق ترجمته.

٦٩- جاء في كتاب **بحر الدم** ج١ ص٤٧ (قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله -يعني أحمد بن حنبل: بأن ابن عثمان سمع من أبيه؟ قال: من أين سمع منه؟) وهذا رأي غريب؛ فأكثر العلماء يثبتون سماع أبان من أبيه، وقد خرج له مسلم، وأصحاب السنن عدة أحاديث، وأثبت البخاري أخذ أبان للقضاء من أبيه.

٧٠- **التاريخ الكبير** ج١ ص٤٥٠.

٧١- **الطبقات الكبرى** ج٤ ص٤٣. **والتاريخ الكبير** ج٥ ص٢٥٣. **وسير أعلام النبلاء** ج٧ ص٣٦. **وتهذيب الكمال** ج٢ ص١٦. **وتهذيب التهذيب** ج٣ ص ٣٤٤ رقم ٧٣١. **ومشاهير علماء الأمصار** ج١ ص١١ ترجمة ٢٤. **وميزان الاعتدال** ج٥ ص٢١٨. **وتقريب التهذيب** ج١ ص٦٤٥-٥٤٥.

٧٢- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٦-١٨. قال الذهبي في **الميزان** (ج١ ص٢٥٩): وحميدة بفتح الحاء، وقيل: ابن أم حميدة بالضم. وذكره باسم أشعب بن جبير الطامع، وقال ويقال: اسم أبيه جبير، وقيل: بل أشعب بن جبير آخر. أشعب هذا هو صاحب النوادر المشهورة المثبوتة في كتب الأدب العربي، توفي سنة ١٥٤ هـ. **تاريخ بغداد** ج٧ ص٣٧. **ولسان الميزان** ج١ ص٤٥٠، ج٤ ص١٢٦.

٧٣- **تهذيب الكمال** ج٢ص١٦، ج٩ ص٢٥٧، ج١٠ ص٩٥، ج١٤ ص٤٧٦، ج٢٨ ص٥٠٣، ج٣١ ص١٠٧، ج٣٣ ص١١٨. **والتاريخ الكبير** ج١ ص٤٥٠، ج٨ ص١٧٤. **الإكمال لابن ماكولا** ج٧ ص٤٥،. **تاريخ بغداد** ج٧ ص٣٧، ج١٠ ص١٠٣. **ولسان الميزان** ج١ ص٤٥٠، ج٤ ص١٢٦، ج٣ ص٩٨. **وسير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٢، ج٥ ص١٠. **والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ج١ ص٢٢١، ج٢ ص١٥ ترجمة ٢٣٧٤. **والجرح والتعديل** ج٢ ص٢٩٥-٣٩٧، ج٣ ص٤١٤. **وميزان الاعتدال** ج٣ ص٣٠٨. **وتهذيب مستمر الأوهام** ج١ ص٢٥٣. الكامل في ضعفاء الرجال ج٣ ص٣٤١. **وعلل ابن حاتم** ج١ ص٤٨٠١٣٠، **وصفة الصفوة** ج٢ ص١٤٨. **والكاشف للذهبي** ج١ ص٢٠٦٦١٩،. **الجرح والتعديل** ج٦ ص٩٩.

٧٤- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٦، ج٩ ص٢٥٧، ج١٠ ص٩٥-٩٦. ج١٤ ص٤٧٦، ج٢٨ ص٥٠٣، ج٣١ ص١٠٧، ج٣٣ ص١١٨. **والتاريخ الكبير** ج١ ص٤٥٠، ج٨ ص١٧٤. **الإكمال لابن ماكولا** ج٧ ص٤٥. **تاريخ بغداد** ج٧ ص٣٧، ج١٠ ص١٠٣. **ولسان الميزانج١** ص٤٥٠، ج٤ ص١٢٦، ج٣ ص٩٨. **وسير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٢. ج٥ ص١٠. **والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ج١ ص٢٢١، ج٢ ص١١٥ ترجمة ٢٣٧٤. **والجرح والتعديل** ج٢ ص٢٨٥-٣٩٧، ج٣ ص٤١٤. **وميزان الاعتدال** ج٣ ص٣٠٨.

وتهذيب **مستمر الأوهام** ج١ ص٢٥٣. **الكامل في ضعفاء الرجال** ج٣ ص٣٤١. وعلل **ابن أبي حاتم** ج١ ص٤٨٠١٣٠، **وصفة الصفوة** ج٢ ص١٤٨. **والكاشف للذهبي** ج١ ص٢٠٦٦١٩. **الجرح والتعديل** ج٦ ص٩٩.

٧٥- **تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل** ج١ ص٢٨٨. وقال: "قال أبو حاتم: لم أختلف أنا وأبو زرعة وجماعة من أصحابنا أن الزهري لم يسمع من أبان بن عثمان شيئاً، وكيف سمع منه وهو يقول: بلغني أن أبان قيل له، فإن محمد بن يحيى النيسابوري كان يقول: قد سمع، قال محمد بن يحيى كان ما به السلامة". وقال ابن أبي حاتم في **المراسيل** ج١ ص١٩٢ رقم ٧٠٣: "قال أبي الزهري: لم يسمع من أبان بن عثمان شيئاً، لا لأنه لم يدركه، قد أدركه، وأدرك من هو أكبر منه، ولكن لا يثبت له سماع منه".

٧٦- مثل حديث "من قال حين يصبح بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء..." فقد رواه عن أبان: أبو الزناد، ومحمد بن كعب، وزيد بن فراس، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة. وسيرد في الفصل الخاص بأبان العالم تفصيل ذلك إن شاء الله.

٧٧- **تاريخ الطبري** ج٣ ص٩.

٧٨- **تاريخ الطبري** ج٣ ص١٨.

٧٩- **تاريخ بن خياط** ج١ ص١٨٥. ووردت رواية أخرى تفيد اشتراك أبان في معركة الجمل. راجع **المستدرك على الصحيحين** ج٣ ص٤١٨ حديث رقم ٥٥٩٢.

٨٠- **تاريخ خليفة بن خياط** ج١ ص٢٩٦.

٨١- ابن كثير: **البداية والنهاية** ج٨ ص٣١٧.

٨٢- **ابن كثير: البداية والنهاية** ج٨ ص٣١٧.

٨٣- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢.

٨٤- **السابق. وتاريخ خليفة بن خياط** ج١ ص٢٩٦.

٨٥- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢.

٨٦- **المنتظم** حتى ٢٥٧ هـ ج٦ ص١٨٤.

٨٧- **السابق** ج٦ ص٢٣٤.

٨٨- **السابق** ج٧ ص١٠٠. **والتحفة اللطيفة** ج١ ص٥٠. وعند ابن سعد في **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢: سبع سنين فقط.

٨٩- **شرح الزرقاني** ج١ ص٣٤٢.

٩٠- **التمهيد لابن عبد البر** ج٣ ص٣١٠، وفيه تفصيل حول موضوع صلاة الكسوف، وكيفيتها.

٩١- **الإصابة** ج٤ ص٤٢. ورواه في **السنن الكبرى للبيهقي** ج٣ ص٣١٠ حديث ٦٠٥٢. **والأم** للشافعي -كتاب صلاة العيدين- باب الخروج إلى الأعياد ج١ ص٢٣٤. **وصحيح البخاري** ج١ ص٣٣٠ -باب التكبير أيام منى-. ورواه في **السنن الكبرى** ج٣ ص٣١٦.

٩٢- مثل صلاته على جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة من بني جشم بن الخزرج الأنصاري، **الثقات** ج٣ ص٥١. **وسير أعلام النبلاء** ج٣ ص١٩٢. **والتحفة اللطيفة** ج١ ص٢٣٣. وصلاته على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي. **الاستيعاب** ج٣ ص٨٨٠-٨٨١. وكذلك صلاته على محمد نبن علي بن أبي

طالب الهاشمي أبو القاسم بن الحنفية. **تقريب التهذيب** ج١ ص٤٩٧. **والطبقات الكبرى** ج٥ ص١٦. وسير **أعلام النبلاء** ج٤ ص١٢٨.

٩٣- **الإحكام لابن حزم** ج٥ ص٩٠.

٩٤- **مشاهير علماء الأمصار** ج١ ص ٦٧.

٩٥- **الموطأ -كتاب العتق والولاء**- باب ميراث الولاء.

٩٦- **الموطأ -كتاب العتق والولاء**- باب من أعتق رقيقاً لا يملك مالاً غيرهم.

٩٧- **الموطأ -كتاب الحج**- باب العمل في الإهلال.

٩٨- هو هشام بن إسماعيل بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ولي المدينة لعبد الملك، وذكره ابن حبان في الثقات. راجع شرح الزرقاني على **موطأ الإمام مالك** ج٣ ص٣٦٨.

٩٩- **الموطأ -كتاب البيوع**- باب ما جاء في العهدة ج٢ ص٦١٢ حديث ١٢٧٣. وقد فصل ابن حزم القول في هذه السنة، **المحلى** ج٨ ص٣٨٠-٣٨٤. وجاء في شرح الزرقاني على **موطأ الإمام مالك** ج٣ ص٣٦٨ : "كانا يذكران في خطبتهما -أي كل واحد إذا خطب، عهدة الرقيق في الأيام الثلاثة حين يشترى- العبد أو الوليدة أي الأمة، وعهدة السنة، فالعمل بهما أمر قائم بالمدينة. قال الزهراوي والقضاء منذ أدركنا يقضون بها".

١٠٠- **المدونة الكبرى** ج١٦ ص٣٦١.

١٠١- **فتوح البلدان** ج١ ص٤٥٦.

١٠٢- **السنن الكبرى** ج٥ ص٢٩٧.

١٠٣- **مصنف ابن شيبة** ج٥ ص٤٠٩ حديث رقم ٢٧٤٦٩. قال في **المحلى** ج١٠

ص٣٤٩ تعليقاً على هذا الحديث يفيد أنه لا يقتل مسلم بذمي إلا أن يقتله غيلة -وهو رأي آخر في المسألة عند ابن حزم-. قال: "ورويناه أيضاً عن أبان بن عثمان، وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ورجال من أبناء الصحابة أصحاب رسول الله ﷺ، إلا أن كل ذلك من رواية عبد الملك بن حبيب الأندلسي، وفي بعضها ابن أبي الزناد، وهو ضعيف، وبعضها مرسل، ولا يصح منها شيء".

١٠٤- **الطبقات الكبرى**: ج٥ ص٢٤٢. وهو: نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

١٠٥- هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي الدرداء كذلك. قال البخاري: كان والي المدينة. زاد غيره: في خلافة عبد الملك بن مروان. وذكره ابن حبان في **الثقات**. راجع شرح الزرقاني على **موطأ مالك** ج٣ ص٣٦٨.

١٠٦- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص٢٧٩. وهو: عمر بن خلدة الزرقي، سمع من أبي هريرة وولي قضاء المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان، قال أخبرنا معن بن عيسى، قال: حدثنا مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه رأى بن خلدة يقضي في المسجد قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا بن أبي ذئب، قال: حضرت عمر بن خلدة وكان على القضاء بالمدينة يقول لرجل رفع إليه اذهب يا خبيث فاسجن نفسك فذهب الرجل وليس معه حرسي وتبعناه ونحن صبيان حتى أتى السجان فحبس نفسه قال محمد بن عمر بن خلدة ثقة قليل الحديث وكان رجلاً مهيباً صارماً ورعاً عفيفاً ولم يرتزق على القضاء شيئاً فلما عزل قيل له يا أبا حفص كيف رأيت ما كنت فيه، قال: كان لنا إخوان فقطعناهم

وكانت لنا أريضة نعيش منها وأنفقنا ثمنها قال محمد بن عمر لقد كان الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزمان فيقول أحدهما لصاحبه لأنت أفلس من القاضي فصار القضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكاً أصحاب غلات وضياع وتجارات وأموال.

١٠٧- **تاريخ خليفة بن خياط** ج١ ص٢٩٦.

١٠٨- **السنن الكبرى للبيهقي** ج١٠ ص١٢١. والعناء: التعب والمشقة، والمعنى: المكلف ما يشق. راجع المنجد في اللغة -عنن.

١٠٩- **تاريخ خليفة بن خياط** ج١ ص٢٧٦-٢٨٠-٢٨٨-٢٩٨-٢٩٩. **والكامل في التاريخ** ج٤ ص١٢٨-١٦٨-١٨٧-١٨٨-١٩١-١٩٤. **والبادية والنهاية** ج٩ ص٢٢-٣٠-٣٢. **والمنتظم** ج٦ ص٢٣٤.

١١٠- **تاريخ الطبري** ج٣ ص٦١٣-٦١٨. وقد ذكر الطبري في تاريخه ج٣ ص٦١١، وكان ابن سعد في **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢ أن أباناً حج عامين فقط في مدة ولايته، وهذا لا ينفي كونه كان أميراً للحج، فربما حج عامين، ولم ينوا الحج في الأعوام الثلاثة الأخرى؛ ليتفرغ لمصالح الحجاج باعتباره أميرهم على الموسم.

١١١- **السنن الكبرى** ج٣ ص٣١٦.

١١٢- سأل عمر بن عبد الله بن معمر أبان بن عثمان -وهو أمير الموسم- يكحل عينه؟ وبماذا، فأرسل إليه: يضمّدها بالصبر.. **صحيح ابن حبان** ج٩ ص٢٦٩ حديث رقم ٣٩٥٤.

١١٣- وروى مسلم في صحيحه عن نبيه بن وهب أن عمر بن عبيد الله بن معمر أراد أن ينكح ابنة طلحة، بنت شيبة بن جبير في الحج، وأبان بن عثمان يومئذ

أمير الحجاج، فأرسل إلى أبان: إني قد أردت أن أنكح طلحة بن عمر فأحب أن تحضر ذلك، فقال له أبان: ألا أراك عراقياً جافياً!! إني سمعت عثمان بن عفان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا ينكح المحرم". ويتضح من هذا الحديث أن أبان بن عثمان رضي الله عنهما، وهو أمير الحج قد أفتى في مسألة من فقه الحج وهي حرمة نكاح المحرم، وأن الناس كانوا يحبون مشاركته فيما يعزمون عليه من أمور الخير في الموسم. راجع **صحيح مسلم** - كتاب النكاح حديث رقم ٢٥٢٦، وأطرافه عند مسلم أحاديث ٢٥٢٢-٢٥٢٣-٢٥٢٤-٢٥٢٥. وسير تفصيل القول عن هذا الحديث في الفصل الثالث إن شاء الله. وأخرجه الترمذي في سننه- كتاب الحج حديث ٧٦٩، والنسائي في سننه -كتاب مناسك الحج أحاديث ٢٧٩٣-٢٧٩٤-٢٧٩٥. وكتاب النكاح حديث ٣٢٢٣-٣٣٢٤. وأبو داود في سننه - **كتاب المناسك** حديث رقم ١٥٦٩. وابن ماجة في سننه - **كتاب النكاح** حديث رقم ١٩٥٦. وأحمد في مسنده - **مسند العشرة المبشرين بالجنة** أحاديث رقم ٣٧٨-٤٣٢-٤٣٦-٤٦١-٤٦٥-٥٠٣. ومالك في **الموطأ -كتاب الحج** حديث رقم ٦٧٩. وروى ابن أبي الزناد عن أبيه قال: "أقام الحج للناس سنة خمس وسبعين عبد الملك بن مروان، فلما مرَّ بالمدينة نزل في دار أبيه، فأقام أياماً ثم خرج حتى انتهى إلى ذي الحليفة، وخرج معه الناس، فقال له أبان بن عثمان: أحرم من البيداء، فأحرم عبد الملك من البيداء" **الطبقات الكبرى** ج٥ ص٢٣٥.

١١٤- **أخبار مكة** ج٣ ص١٥٩.

١١٥- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١١٢-١١٣.

١١٦- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص٢٣٥.

١١٧- **مسائل الإمام أحمد** ج١ ص٣٣٤-٣٣٥.

١١٨- **لسان العرب** ج١٣ ص٣٢٨. **والفائق** ج٣ ص١٤٤.

١١٩- **المنتظم** حتى ٢٥٧ هـ ج٧ ص١٠٠.

١٢٠- **تفسير ابن كثير** ج٣ ص٤٤٩.

١٢١- **مصنف ابن أبي شيبة** ج٤ ص٤٦ -باب ما ذكره في الزناة وما جاء فيه - حديث ١٧٦٣٧.

١٢٢- **الفهرست** ج١ ص٤٥.

١٢٣- د. شعبان محمد إسماعيل: **القراءات - أحكامها ومصدرها** ص١٠٦.

١٢٤- **سورة النساء**: آية ١٦٢ وهي قوله تعالى: (لكن الراسخون بالعلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً).

١٢٥- **تفسير القرطبي** ج٦ ص١٥.

١٢٦- **سورة الأنعام**: الآية ١٣٨ وهي قوله تعالى: (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون).

١٢٧- **الجرح والتعديل** ج٣ ص٢١٤ ترجمة رقم ٩٣٩.

١٢٨- **سورة الأنعام** من الآية ١٤٣، وهي قوله تعالى: (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءالذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين).

١٢٩- **تفسير القرطبي** ج٧ ص١١٤. وقال القرطبي تعليقاً على ذلك : "وفي حرف أبي (ومن المعز اثنان) وهي قراءة الأكثر".

١٣٠- **سورة طه**: من الآية ٦٣.

١٣١- **تفسير القرطبي** ج٦ ص١٤-١٥. وقد فصل القرطبي في قراءة هذه الآية، وبين أن أهل المدينة والكوفة لهم فيها ست قراءات، منها ما يوافق الإعراب، ومنها ما يوافق المصحف.

١٣٢- سورة الشورى: من الآية ٨.

١٣٣- **تفسير القرطبي** ج١٩ ص١٥٣. وهذه هي القراءات الأصوب المتفقة مع المصحف ومع قواعد اللغة، فـ (الظالمون) مبتدأ، والخبر هو (أعد لهم عذاباً أليماً).

١٣٤- **سورة الأنعام**: من الآية ١٣٣.

١٣٥- **تفسير ابن كثير** ج٦ ص١٣٣.

١٣٦- **سورة البقرة**: من الآية ٢٣٨.

١٣٧- **تفسير ابن كثير** ج٢ ص٢٣٨-٢٣٩.

١٣٨- **سورة البقرة**: آية ٢٢٨.

١٣٩- د. سالم علي الثقفي راجع أسباب **اختلاف الفقهاء** ص٢٧٨-١٧٩. في حين يرى آخرون من الحنابلة والحنفية أن معنى القرء الحيض.

١٤٠- "عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة القرشي، بصري، حدثني آدم بن موسى قال: سمعت البخاري قال: عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، بصري، تركوه. حدثنا أحمد بن محمود الهروي قال: سمعت أبا بكر الأعين قال: سمعت عبد الصمد بن عبد الوارث يضعف عنبسة، صاحب علاق، ومن حديثه ... عن علاق بن أبي مسلم عن أبان بن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء، جميعاً، لا يتابع عليهما". (**ضعفاء العقيلي** ج٣ ص٣٦٧ ترجمة رقم ١٤٠٥) ."

١٤١-**مسند البزار** ج٢ ص٢٧-٢٨ وعلق البزار على الحديث بقوله: "قال أبو بكر: وعنبسة هذا لين الحديث، عبد الملك بن علاف لا نعلم روى عنه إلا عنبسة". و"عنبسة بن عبد الرحمن أورده الذهبي في الضعفاء وقال: متروك متهم" **فيض القدير** ج٣ ص٩٢.

١٤٢- **سنن ابن ماجة** - كتاب الزهد حديث ٤٣٠٤. **وتاريخ بغداد** ج١١ ص١٧٧ حديث رقم ٥٨٨٨. ورواه العقيلي في **الضعفاء** ج٣ ص٣٦٧ ترجمة رقم ١٣٠٥ **وتهذيب الكمال** ج٢٢ ص٥٥١.

١٤٣- **سنن الترمذي** - كتاب الدعوات -باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ج٥ ص٣٦٥ حديث ٣٣٨٨.

١٤٤- سيرد تفصيل روايات هذا الحديث في أثناء الكلام عن أبان المحدث.

١٤٥- **طبقات الفقهاء للشيرازي** ج١ ص٢٤-٣٤. **وأعلام الموقعين** ج١ ص٢٣. **والأحكام لابن حزم** ج٥ ص٩٥-٩٧.

١٤٦- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ج١ ص٦٠. **وسير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣.

١٤٧- **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣.

١٤٨- **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣.

١٤٩- **الكاشف** ج١ ص٢٠٦ رقم ٩٠

١٥٠- **النجوم الزاهرة** ج١ ص٢٥٣.

١٥١- **الإحكام لابن حزم** ج٥ ص٩٠.

١٥٢- سبق الكلام في المبحث الثاني عن قضائه وهو أمير على المدينة.

١٥٣- روى البزار " عن محمد بن أبي أمامة عن أبان بن عثمان بن عفان أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم أكل خبزاً ولحماً وصلى ولم يتوضأ" **مسند البزار** ج٢ ص٢٢ حديث ٣٦٠. وقد علق عليه البزار بقوله: "وهذا الحديث إنما فيه إسحاق بن عبد الله وسائر أسانيده فحسن". وروى مالك "عن ضمرة بن سعيد المازني عن أبان بن عثمان بن عفان أكل خبزاً ولحماً ثم مضمض وغسل يديه ومسح بهما وجهه ثم صلى ولم يتوضأ" **موطأ مالك** ج١ ص٢٦ حديث ٥١. ورواه البيهقي بلفظه في **السنن الكبرى** ج١ ص١٥٧ حديث ٧٠٧، **وشعب الإيمان** ج٥ ص ٧٣ حديث ٥٨٢٧. وتعليق التعليق ج٢ ص١٣٧. **والتمهيد لابن عبد البر** ج١٢ ص٢٧٩. وشرح معاني الآثار ج١ ص٦٨. وقال في **شرح الزرقاني** ج١ ص٨٩ "عن أبان بن عثمان، أن أباه عثمان بن عفان أمير المؤمنين أكل خبزاً ولحماً ثم مضمض فاه وغسل يديه ومسح بهما وجهه – لعله خشي أن يعلق به شيء من الطعام – ثم صلى ولم يتوضأ، فهو دليل أيضاً على نسخ الوضوء مما مست النار".

١٥٤- روى ابن أبي شيبة في مصنفه ج١ ص١٦٦ حديث ١٩٠٩. "عن أبان بن عثمان بن عفان قال: سألت سعد بن أبي وقاص عن المسح على الخفين فقال: نعم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوم وليلة للمقيم".

١٥٥- **شرح الزرقاني** ج١ ص٦٨.

١٥٦- **مسند البزار** ج٢ ص١٨ حديث ٣٥٦. وقال البزار: "وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد". وفي التمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٢٢٠: "ويروى: (مثل الصلوات الخمس...) أيضاً من

حديث عامر بن سعد عن أبان بن عثمان عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ، ... قال البزار: ولم يرو عن سعد عن النبي ﷺ قوله: (مثل الصلوات الخمس ...) ولا أعلمه من حديث سعد. والله أعلم". ورواه أحمد في **المسند** ج١ ص٧١ حديث ٥١٨. ورواه ابن ماجة – باب إقامة الصلاة والسنة فيها حديث ١٣٨٧. وجاء في الأحاديث المختارة تعليقاً على رواية عامر بن سعد عن أبان ج١ ص٤٤٠ حديث ٣١٦: " إسناد صحيح". وقال في موضع آخر ج١ ص٤٤١ حديث ٣١٧: " له شاهد في الصحيح من حديث أبي هريرة، إسناده صحيح". ورواه في **شعب الإيمان** ج٣ ص٤١-٤٢ حديث ٢٨١٣. ورواه الطبراني في **المعجم الأوسط** ج٦ ص ٣٠٤-٣٠٣ حديث ٦٤٧٦. **وعلل ابن أبي حاتم** ج١ ص١٣٠ رقم ٣٦٠.

١٥٧- **صحيح البخاري -كتاب العيدين-** باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة. وتعليق التعليق ج٢ ص٣٧٨. **والمغني** ج٢ ص١٢٧، وقال: وينبغي لهن أن يخفضن أصواتهن حتى لا يسمعهن الرجال.

١٥٨- عن عثمان بن عبد الله التيمي قال: مطرنا في زمان أبان بن عثمان بالمدينة، فصلى بنا العيد في المسجد، ثم قال لعبد الله بن عامر قم فأخبر الناس بما حدثتني، فقال عبد الله بن عامر: مطرنا في عهد النبي ﷺ في ليلة عيد، فصلى عمر بالناس في المسجد، ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان يخرج للناس إلى المصلى من شعبة، فلما أن كان هذا المطر، فالمسجد أرفق بهم". راجع الإصابة ج٤ ص١٣٨ رقم ٤٧٧٩. وعلق بقوله: قلت: أظن في قوله (في عهد النبي) غلطاً، والصواب في عهد عمر، فإنما في سياقه يدل على ذلك، وأظن ان عبد الله بن عامر هذا هو ابن ربيعة". وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنه: "إذا كانت ليلة مطيرة كانت أمراؤهم يصلون المغرب، ويصلون العشاء قبل أن يغيب الشفق، ويصلي معهم ابن عمر، ولا يعيب ذلك

وفعل ذلك أبان بن عثمان" **المعجم الأوسط** ج٢ ص٤٣٠-٤٣١.

١٥٩- **مسند أحمد – مسند العشرة المبشرين بالجنة** حديث ٤٠٠-٤٢٧-٤٦٤-٤٩٨. وراجع **مسند البزار** ج٢ ص٢١-٢٢ حديث ٣٥٩، وقال: " وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه، وقد روي عن غير عثمان" وانظر **شرح معاني الآثار** ج١ ص٤٨٥. " عن إسماعيل بن أمية عن موسى بن عمران بن مناح عن أبان بن عثمان عن عثمان رضي الله عنه أنه رأى جنازة فقام إليها، وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى جنازة فقام لها" انظر **مسند أحمد** ج١ ص٦٠ حديث ٤٢٦. وقال في علل الدارقطني ج٣ ص٩ رقم ٢٥٥: "يرويه إسماعيل بن أمية بن موسى بن عمران بن مناح عن أبان، حدث به عن يحيى بن سليم الطائفي، وإسماعيل بن عياش، ومصعب بن صدقة القرقساني -والد محمد بن مصعب-، وسعيد بن مسلمة، فاتفقوا على رفعه، دون يحيى بن سليم، فإنه نقفه عن إسماعيل بن أمية. قلت: إنما وقفه عن يحيى بن سليم عبد الجبار بن العلاء والحسن بن محمد الزعفراني، ورواه الحميدي، وسويد بن سعيد، وأبو معمر الهذلي، وأبو البري سهل بن محمود عن يحيى مرفوعاً". **والأحاديث المختارة** ج١ ص٤٣٦ حديث ٣١، وقال: "إسناده لا بأس به".

١٦٠- **صحيح مسلم -كتاب الحج-** باب جواز مداواة المحرم عينه، **والمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم** ج٣ ص٢٩٥ حديث ٢٧٧٣، **وسنن الترمذي** - كتاب الحج حديث ٨٧٥.

١٦١- **صحيح الباري -كتاب العيدين-** باب التكبير أيام منى وإذا غدا إلى عرفة.

١٦٢- **الموطأ كتاب الحج** – باب نكاح المحرم.

١٦٣- روى ابن أبي شيبة في مصنفه ج٤ ص٨٦ حديث ١٨٠٧٦ عن أبان بن

عثمان عن زيد بن ثابت أنه قال في رجل قال لامرأته: إن جزت عتبة هذا الباب، فأمرك بيدك، فجازت، فطلقت نفسها كثيراً. قال زيد: هي واحدة". ورواه أيضاً في موضع آخر: **مصنف ابن أبي شيبة** ج٤ ص٩٣ حديث ١٨١٤٧. وانظر **الموطأ** -كتاب الطلاق- باب ما جاء في البتة.

١٦٤- **مصنف ابن أبي شيبة** ج٤ ص١٥٨ حديث ١٨٨٩٤. **والمحلى** جزء١٠ ص١٩١. قال ابن القيم: " فللناس في هذه روايتان عن أحمد، أحدهما: أن عدتها ثلاث حيض، كقول الشافعي ومالك وأبي حنيفة. والثاني: أن عدتها حيضة، وهو قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وهو مذهب أبان بن عثمان، وبه يقول إسحاق بن زاهويه، وهذا هو الصحيح في الدليل والأحاديث الواردة فيه لا معارض لها، والقياس حكما" **زاد المعاد** ج٥ ص٦٤٨.

١٦٥- قال في **زاد المعاد** ج٥ ص٢١٠: " صح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: ليس لمجنون ولا سكران طلاق. ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن ابن أبي الزهري عن أبان بن عثمان عن أبيه".

١٦٦- **موطأ مالك** ج٢ ص٧٧٤ حديث ١٤٦٤ -باب من أعتق رقيقاً لا يملك مالاً غيرهم.

١٦٧- **التاريخ الكبير** ج٨ ص٢٩٤.

١٦٨- **الموطأ** ج٢ ص٧٧٤ حديث ١٤٦٤ - باب ميراث الولاء.

١٦٩- **المدونة الكبرى** ج١٥ ص٣٣، ج١٥ ص٢٨٧. وقال أجاز عمر بن الخطاب وصية غلام يفاع. وقال ابن حزم في **المحلى** ج٩ ص٣٣٠ رقم ١٧٦٤: "مسألة: ولا تجوز وصية من لم يبلغ من الرجال والنساء أصلاً، وقد اختلف

الناس في هذا، فرأينا من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي عن أمه أن عمر بن الخطاب أجاز لها وصية غلام لم يحتلم ببئر جشم، قال عمرو بن سليم: فبعتها أنا بثلاثين ألف درهم. ومن طريق ابن وهب عن رجال من أهل العلم عن ابن مسعود أنه أجاز وصية الصبي، وقال: من أصحاب الحق اجزنا. وروي -ولم يصح- عن أبان بن عثمان أنه أجاز وصية جارية بنت تسع سنين بالثلث". ولم يحدد ابن حزم سبب عدم صحة الرواية، ومن أي وجه أطلق هذا الحكم؟ أعلى الإسناد أم على المتن؟ على الرغم من أنه ساق روايات عديدة في الموضوع توافق رأي أبان!!.

١٧٠- **أخبار مكة** ج٣ ص٣٥٦ رقم ٢١٨٩.

١٧١- **المدونة الكبرى** ج١٦ ص٣٦١.

١٧٢- **الموطأ -كتاب البيوع**- باب بيع الحيوان باللحم حديث ١٣٣٧. وراجع تفصيل المسألة في **المحلى** ج٨ ص٥١٦-٥١٩.

١٧٣- الموطأ - **كتاب البيوع** باب ما جاء في العهدة ج٢ ص٦١٢ حديث ١٢٧٣. وقد فصل ابن حزم المسألة في **المحلى** ج٨ ص٣٨٠-٣٨٤.

١٧٤- **علل ابن أبي حاتم** ج١ ص٤٨٠. ورويت في **المحلى لابن حزم** ج٩ ص٩٩ رقم ١٦١٢ عن أبي بكر بن حزم. وفي **المحلى** أيضاً ج٩ ص٨٤ بلفظ (لا مكايلة، إذا وقعت الحدود فلا شفعة). وروى ابن أبي شيبة في مصنفه ج٤ ص٥٢٠ حديث ٢٢٧٤٤ عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبان بن عثمان قال: قال عثمان: لا شفعة في بئر، ولا فحل، والأرف يقطع كل شفعة". ورويت في المحلى لابن حزم ج٩ ص٨٢، من طريق أبي بكر بن حزم عن أبان عن أبيه عثمان. وقال: الأرف: الحدود والمعالم.

١٧٥- **طبقات المحدثين** ج١ ص٣٧ رقم ٢٥٥ **ومعرفة الثقات** ج١ ص١٩٨ رقم ١٧ **والتحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠ **وتهذيب الكمال** ج٢ ص١٧.

١٧٦- **تقريب التهذيب** ج١ ص ٨٧.

١٧٧- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢. **ومعرفة الثقات** ج١ ص١٩٨ رقم ١٧. **والتحفة اللطيفة** ج١ ص٦٠. **وتهذيب الكمال** ج٢ ص١٧ **وسير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٢.

١٧٨- **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٢.

١٧٩- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٨-١٩.

١٨٠- **الأدب المفرد للبخاري** ج١ ص٢٣٠ حديث ٦٦٠. ورواه الترمذي في **سننه -كتاب الدعوات-** باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ج٥ ص٤٦٥ حديث ٣٣٨٨. وله طرق عليها بعد قليل.

١٨١- قال في **علل الدارقطني** ج٣ ص٧-٨ رقم ٢٥٤: " روي هذا الحديث عن أبي الزناد عن أبان بن عثمان عن أبيه، حدث به عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، وهذا متصل، وهو أحسنها إسناداً".

١٨٢- **البخاري: الأدب المفرد للبخاري** ج١ ص٢٣٠ حديث ٦٦٠. **وسنن الترمذي** - كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ج٥ ص٤٦٥ حديث ٣٣٨٨. وقال: " هذا حديث حسن صحيح غريب "**وسنن الترمذي** - كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ج٥ ص٤٦٥ حديث ٣٣٨٨. وقال حديث حسن صحيح غريب ". **وسنن ابن ماجة** - كتاب الدعاء ج٢ ص١٢٧٣ حديث ٣٨٦٩. **ومسند أحمد** - باب مسند العشرة المبشرين بالجنة ج١ ص٦٢ حديث ٤٤٦. وحديث ٤٤٧، **ومسند الطيالس** ج١

ص١٤ حديث ٧٩. **والسنن الكبرى** ج٦ ص٩٤ حديث ١٠١٧٨. من طريق عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه وقال: " قال أبو عبد الرحمن: عبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف". **وعمل اليوم والليلة** ج١ ص٢٩١.

١٨٣- **علل الدارقطني** ج٣ ص٧-٨ رقم ٢٥٤ز

١٨٤- **سنن أبي داود** ج٤ ص٣٥٣ -كتاب الأدب- حديث ٥٠٨٨ وأبو داود في موضع آخر دون قصة الفالج حديث رقم ٥٠٨٩. **وصحيح ابن حبان** -كتاب الرقائق- باب الأذكار ج٣ ص١٤٤ حديث ٨٦٢. ورواه مختصراً في موضع آخر من الباب -ج٣ ص١٣٢ حديث ٨٥٢. وعلق الشيخ شعيب الأرناؤوط على كل من الحدثين في موضعيهما: "إسناده صحيح". **ومسند أحمد** -مسند العشرة المبشرين بالجنة- حديث ٤٩٧. **وكتاب العلل** ج٢ ص١٩٦ حديث ٢٧٩. **وموارد الظمآن** ج١ ص٥٨٥ حديث رقم ٢٣٥٢.

١٨٥- قال في **تهذيب الكمال** ج٣٢ ص٢٢٥ رقم ٧٠٣٦: " يزيد بن فراس، روى عن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه عن النبي ﷺ: من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء _ الحديث . قال أبو حاتم: مجهول لا يعرف، وروى له النسائي في اليوم والليلة هذا الحديث".

١٨٦- **مسند عبد بن حميد** ج١ ص٤٨ حديث ٥٤. **وعمل اليوم والليلة** ج١ ص٢٩٠ حديث ٣٤٧. **والسنن الكبرى** ج٦ ص٩٤ حديث ١٠١٧٨. وقال" قال أبو عبد الرحمن: ... يزيد بن فراس مجهول لا نعرفه".

١٨٧- **تهذيب الكمال** د٣٢ ص٢٢٥ ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور رقم ٧٢٤٤.

١٨٨- **صحيح مسلم** -كتاب النكاح – حديث ٢٥٢٢، وأطرافه ٢٥٢٣-٢٥٢٤-

٢٥٢٥-٢٥٢٦.

١٨٩- سنن الترمذي - كتاب الحج حديث ٧٦٨. وسنن أبي داود - كتاب المناسك - حديث ١٥٦٩. وسنن النسائي كتاب مناسك الحج - حديث ٢٧٩٣-٢٧٩٤-٢٧٩٥. وكتاب النكاح - حديث ٣٢٢٣-٣٢٢٤. وسنن ابن ماجة - كتاب النكاح - حديث ١٩٥٦. ومسند أحمد - مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث ٣٧٨-٤٣٢-٤٣٦-٤٦١-٤٦٥-٥٠٣-٥٠٤. والموطأ - كتاب الحج - حديث ٦٧٦. وسنن الدرامي - كتاب المناسك - حديث ١٧٥٣. وكتاب النكاح - حديث ٢١٠١. وصحيح ابن حبان - كتاب النكاح - باب حرمة المناكحة - حديث ٤١٢٣-٤١٢٤-٤١٢٥-٤١٢٦-٤١٢٧-٤١٢٨-٤١٢٩. ومسند الشافعي ج١ ص١٨٠-٢٥٤. والسنن الكبرى ج٢ ص٣٧٦ حديث ٣٨٢٥-٣٨٢٦-٣٨٢٧. ج٣ ص٢٨٩-٢٩٠ حديث ٥٤١٣-٥٤١٤. والمعجم الأوسط ج٧ ص٢٣٢-٢٤٠. حديث ٧٣٦١-٧٣٨٥. وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٦٦-٢٦٧ حديث ١٤٠-١٤١. وعلل الدارقطني ج٣ ص١٠-١٣ حديث ٢٥٦. ومسند الحميدي ج١ ص٢٠ حديث ٣٣. والتمهيد لابن عبد البر ج١٦ ص٤٥. ومسند ابن الجعد ج١ ص٤٠٩. ومسند عبد بن حميد ج١ ص٤٥ حديث٤٥. ومسند الطيالسي ج١ ص١٣ حديث ٧٤. ومسند البزار ج٢ ص٢٢-٢٥ حديث ٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨. والمحلى لابن جزم ج٧ ص١٩٧-٢٠١. وموارد الظمآن ج١ ص٣١٠ حديث١٢٧٤. ومعرفة علوم الحديث ج١ ص١٢٧. واختلاف الحديث ج١ ص١٩٩. ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٦٨-٢٦٩.

١٩٠-سنن الترمذي - كتاب الحج حديث ٧٦٩؟. وراجع تحفة الأحوذي ج٣ ص٤٩٠.

١٩١- راجع على سبيل المثال: **تصحيفات المحدثين** ج١ ص٢٧٢. **والمحلى** لابن حزم ج٧ ص١٩٧-٢٠١. **وتحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل** ج١ ص١٣. **والأم** للشافعي ج٥ ص٧٨. **ومختصر المختصر** ج١ ص٢٨٦-٢٨٨.

١٩٢- **سنن الترمذي** - كتاب العلم - الحديث ٢٥٨٠.

١٩٣- **سنن أبي داود - كتاب العلم** - حديث ٣١٧٥. **وسنن ابن ماجة** - المقدمة - حديث ٢٢٦. **وكتاب الزهد** - حديث ٤٠٩٥. **ومسند أحمد مسند الأنصار** حديث ٢٠٦٠٨. **وسنن الدارمي** - المقدمة حديث ٢٣١. **والمعجم الكبير** ج٥ ص١٤٣ حديث ٤٨٩٠.

١٩٤- عبد العزيز الدوري: **نشأة علم التاريخ** ص٢٠-٢١. وعبد الفتاح فتحي: الحياة الثقافية في العلم العربي ص ٣٢٤، وقد قال: كان أبان أول من اشتهر بمعرفة المغازي معرفة دقيقة، ويعد أقدم مدوني السيرة النبوية الشريفة"..

١٩٥- **فضائل الصحابة** ج٢ ص٩٤٦. وورد بألفاظ مختلفة في **الأحاديث المختارة** ج١ ص٤٣٩ حديث ٣١٥ وفي **مسند الشهاب** ج١ ص٢٩٦ حديث ٤٨٨. وفي **المعجم الأوسط** ج٢ ص١٢٠ حديث ١٤٤٦. **وحلية الأولياء** ج١٠ ص٣٦٦. **وتاريخ بغداد** ج١٠ ص١٠٣ حديث ٥٢٢١. **وتكملة إكمال الإكمال** ج١ ص٧٨-٧٩. **ومسند الشهاب** ج١ ص٢٩٦ حديث ٤٨٨.

١٩٦- **أخبار مكة** ج٣ ص١٥٨ رقم ١٩١٥.

١٩٧- **بغية الطالب في تاريخ حلب** ج٧ ص٣١٢٦.

١٩٨- **معجم البلدان** ج٤ ص٣٢١-٣٢٢.

١٩٩- **الطبقات الكبرى** ج٤ ص٤٣. والعباس وعقيل ونوفل كانوا في جيش المشركين في بدر.

٢٠٠- **الإصابة** ج٤ ص٢٦٢ وقال: هذا هو الصواب، مرسل، وكذا ذكره ابن عبد البر بغير إسناد، ووصله ابن منده من وجه آخر.

٢٠١- **الإصابة** ج٦ص١٥١-١٥٢. ترجمة معاوية بن أبي سفيان رقم ٨٠٧٤. **وسير أعلام النبلاء** ج٣ ص١٢١. وصرح باسم أمه "هند".

٢٠٢- **الطبقات الكبرى** ج٣ ص٣٦٠.

٢٠٣- **الطبقات الكبرى** ج٣ ص٣٦٠-٣٦١.

٢٠٤- **المستدرك على الصحيحين** ج٣ ص١٠٢ حديث ٤٥٢٩. وقد سبق الكلام عن كنيتي عثمان رضي الله عنه في بداية هذه الدراسة.

٢٠٥- **مسند عمر بن عبد العزيز** ج١ ص٨٥ حديث٣٠. **والتدوين في أخبار قزوين** ج٣ ص٤٧.

٢٠٦- **ضعفاء العقلي** ج٣ ص١٤٧ رقم ١١٣١. وقال: " والرواية في هذا الباب تثبت عن النبي ﷺ من غير هذا الطرق انظر **الميزان** ج٤ ص٢٨٢ حيث قال في ترجمة عمر بن أبان: " عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: أن الملائكة لتستحي من عثمان. رواه أبو معشر البراء عن إبراهيم بن عمر عن أبيه عن جده. قال البخاري: فيه نظر. انتهى. وذكره ابن حبان في الثقات، فقال يروي عن عمر بن أبان بن عثمان. وقال ابن عدي ثنا أبو يعلى ثنا المقدمي حدثنا أبو معشر البراء عن إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان عن أبيه عن عثمان بأحاديث كلها غير محفوظة".

٢٠٧- **المعجم الكبير** ج١٢ ص٣٢٧ حديث ١٣٢٥٣. **والمجروحين** ج١ ص١١٠-١١١ وقال: "أخبرناه الحسن بن سفيان قال: ثنا المقدمي قال: حدثنا أبو معشر البراء ثنا إبراهيم بن أبان قال: حدثني أبي عن أبيه عن أبان بن عثمان قال:

سمعت ابن عمر، في نسخة كتبناها عنه بهذا بإسناد، وربما أدخل أبان بن عثمان في الإسناد، وربما أسقطه وقال: إبراهيم بن عمر عن أبيه عن ابن عمر".

٢٠٨- **الإصابة** ج٣ ص٤٣٣.

٢٠٩- **الإصابة** ج٤ ص ٥٩٩. وعلق بقوله: "قال ابن السكن: المشهور في هذا عن الحسن عن عمران بن حصين. قلت: وفي إسناد ابن السكن ابن لهيعة، وحاله مشهور".

٢١٠- **بغية الطالب في تاريخ حلب** ج١٠ ص٤٦٢٦.

٢١١- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٦.

٢١٢- **معجم البلدان** ج٤ ص٣٢١-٣٢٢.

٢١٣- **سير أعلام النبلاء** ج٧ ص٣٤.

٢١٤- **سير أعلام النبلاء** ج٧ ص٣٦.

٢١٥- **التاريخ الكبير** ج١ ص٤٥٠.

٢١٦- (انظر مثلاً بحث **نشأة علم التاريخ للدوري** ٢٠-٢١).

٢١٧- قال العقيلي في **الضعفاء** ج١ ص٣٧ رقم ٢١: "أبان بن عثمان الأحمر، كوفي، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الناقد حدثني جدي إسماعيل بن مهران قال حدثنا محمد بن أبي نصر السكري عن أبان بن عثمان الأحمر عن أبان بن تغلب عن مكرمة عن ابن عباس قال: حدثني علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ عرض نفسه على قبائل العرب وذكر الحديث بطوله، وليس لهذا الحديث أصل، ولا يروى من وجه يثبته إلا شيء يروى في مغازي الواقدي

وغيره مرسلاً".

٢١٨- **ديوان الضعفاء والمتركين**: (١/الورقة ٧).

٢١٩- **الميزان** ج١ ص١٠.

٢٢٠- **الوافي** ج٥ ص٣٠٢.

٢٢١- **تهذيب الكمال** ج٢ ص١٩ هامش ١.

٢٢٢- **الحياة الثقافية في العالم العربي** ص٣٢٥.

٢٢٣- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢. **والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ج١ ص٦٠.

٢٢٤- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** ج١ ص٦٠. **والعبر في خبر من غبر** ج١ ص١٢٩.

٢٢٥- **البداية والنهاية** ج٩ ص٦٠.

٢٢٦- **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣.

٢٢٧- **سير أعلام النبلاء** ج٤ ص٣٥٣. **والبداية والنهاية** ج٩ ص٢٣٣-٢٣٤. تهذيب اللكمال ج٢ ص١٨.

٢٢٨- **الطبقات الكبرى** ج٥ ص١٥٢. **ومشاهير علماء الأمصار** ج١ ص٦٧. **والكامل في التاريخ** ج٤ ص٣٧١.

٢٢٩- قال محقق تهذيب الكمال (ج٢ ص١٨ هامش ٥): "هكذا قال المزي: إن خليفة ذكر وفاته سنة ١٠٥ هـ، وهو وهم، تابعه عليه الناس، مثل الذهبي في بعض كتبه، وغيره، في حين أن الذي قاله خليفة هو ما قاله ابن سعد أيضاً، وهو أن توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ (تاريخه ٣٣٦ من

الطبعة العمرية الثانية)، وكان قد ذكر قبل هذا أن يزيد بن عبد الملك مات سنة ١٠٥ هـ (٣٣١)، ونقل العلامة مغلطاي عن كتاب التعريف بصحيح التاريخ لأبي جعفر بن أبي خالد أنه توفي سنة ١٠٢ هـ بالمدينة (**إكمال**/١ ورقة٤٣)، قال بشار: وكانت ولاية يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في أواخر رجب سنة ١٠١ هـ، فتكون وفاته بعد هذا التاريخ، ولا عبرة بعد ذلك بقول من قال بوفاته قبل هذا التاريخ (انظر مثلاً: **الوافي للصفدي** ٣٠١/٥)".

فهرس المراجع

القرآن الكريم

١- **الإحكام في أصول الأحكام**: لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد (٤٥٦ هـ) دار الحديث -القاهرة- ط. الأولى سنة ١٤٠٤ هـ.

٢- **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**: لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله (٢٧٥ هـ) -دار خضر- بيروت- ط. الثانية سنة ١٤١٤ هـ - تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش.

٣- **الأخبار الطوال**: تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر - ط. بيروت سنة ١٣٧٩ هـ.

٤- **اختلاف الحديث**: لمحمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي (٢٠٤ هـ) -مؤسسة الكتب الثقافية -بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م - تحقيق: عامر أحمد حيدر.

٥- **الأدب المفرد**: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) - دار البشائر الإسلامية- بيروت- ط. الثالثة سنة النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦- **أسباب اختلاف الفقهاء**: دكتور سالم بن علي الثقفي - ط. الأولى - دار البيان بالقاهرة سنة ١٤١٦ هـ.

٧- **الإمام الزهري - عالم الحجاز والشام**: محمد محمد حسن شراب - ط. الأولى سنة ١٤١٣ هـ -دار القلم- دمشق.

٨- **الإصابة في تمييز الصحابة**: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

الشافعي (٨٥٢ هـ) -دار الجيل- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م- تحقيق: علي محمد البجاوي.

٩- **إعلام الموقعين:** الإمام ابن قيم الجوزية.

١٠- **الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال:** لمحمد بن علي بن الحسن أبو المحاسن الحسيني -(٧٦٥ هـ)- جامعة الدراسات الإسلامية -كراتشي- سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م - تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي.

١١- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى:** لعلي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (٤٧٥ هـ) - دار الكتب العملية - بيروت - ط. الأولى سنة ١٤١١ هـ.

١٢- **الأم:** لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (٢٠٤ هـ) -دار المعرفة- بيروت - ط. الثانية سنة ١٣٩٣ هـ.

١٣- **الإمام الزهري - عالم الحجاز والشام:** محمد محمد حسن شراب- ط. الأولى سنة ١٤١٣ هـ -دار القلم- دمشق.

١٤- **البدء والتاريخ:** لمطهر بن طاهر المقدسي (٥٠٧ هـ) -مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة.

١٥- **البداية والنهاية:** لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (٧٧٤ هـ) - مكتبة المعارف- بيروت.

١٦- **البرصان والعرجان والعميان والحولان:** لأبي عمرو الجاحظ (٢٥٥ هـ) - تحقيق: الخولي.

١٧- **بغية الطالب في تاريخ حلب:** لكمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة -دار

الفكر بيروت- ط. الأولى سنة ١٩٨٨م - تحقيق د. سهيل زكار.

١٨- **تاريخ بغداد**: لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ) -دار الغلمية- بيروت.

١٩- **تاريخ الخلفاء**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ)- مطبعة السعادة -مصر - ط. الأولى سنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٠- **تاريخ خليفة بن خياط**: لخليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (٢٤٠ هـ) - دار القلم، مؤسسة الرسالة دمشق، بيروت- ط. الثانية سنة ١٣٩٧ هـ - تحقيق: د. أكرم ضياء العمري.

٢١- **تاريخ الطبري = الأمم والملوك**: لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر (٣١٠ هـ) دار الكتب العلمية -بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٢- **التاريخ الكبير**: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) -دار الفكر- تحقيق: السيد هاشم الندوي.

٢٣- **تأويل مختلف الحديث**: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري (٢٧٦ هـ) -دار الجيل- بيروت- سنة النشر: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م - تحقيق: محمد زهري النجار.

٢٤- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (١٣٥٣ هـ) -دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٥- **تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل**: لأحمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي (٨٢٦ هـ) -مكتبة الرشيد- الرياض - ط. الأولى سنة ١٩٩٩م - تحقيق: عبد الله نوارة.

٢٦- **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**: لشمس السخاوي (٩٠٢ هـ) –دار الكتب العلمية- بيروت- ط. الأولى سنة ١٩٩٣م.

٢٧- **التدوين في أخبار قزوين**: لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني –دار الكتب العلمية- بيروت – سنة ١٩٨٧م – تحقيق: عزيز الله العطاردي.

٢٨- **تصحيفات المحدثين**: للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد (٣٨٢ هـ) – المطبعة العربية الحديثة – القاهرة ط. الأولى سنة ١٤٠٢ هـ – تحقيق: محمود أحمد ميرة.

٢٩- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢ هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – ط. الأولى – تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق.

٣٠- **تعليق التعليق على صحيح البخاري**: لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) – المكتب الإسلامي دار عمار –بيروت، عمان – الأردن–ط. الأولى سنة +١٤٠٥ هـ – تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي.

٣١- **تفسير القرآن العظيم**: لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (٧٧٤ هـ) –دار الفكر- بيروت – سنة ١٤٠١ هـ.

٣٢- **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**: لمحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (٦٧١ هـ) –دار الشعب- القاهرة – ط. الثانية سنة ١٣٧٢ هـ تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

٣٣- **تقريب التهذيب**: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢ هـ) –دار الرشيد- سورية ط. الأولى سنة ١٤٠٦ هـ –١٩٨٦م- تحقيق:

محمد عوامة.

٣٤- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣ هـ) -وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب -سنة ١٣٨٧ هـ- تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكر.

٣٥- **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان:** لمحمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي (٧٤١ هـ) -دار الثقافة- الدوحة -قطر- ط. الأولى سنة ١٤٠٥ هـ - تحقيق: د. محمود يوسف زايد.

٣٦- **تهذيب التهذيب:** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢ هـ) -دار الفكر بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٤ هـ.

٣٧- **تهذيب الكمال:** ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (٧٤٢ هـ) -مؤسسة الرسالة- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٠ هـ -١٩٨٠م- تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٣٨- **تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام:** لعلي بن هبة الله بن جعفر بن علي بن ماكولا أبو نصر (٤٧٥ هـ) *دار الكتب العلمية* بيروت - ط، الأولى سنة ١٤١٠ هـ - تحقيق: سيد كسراوي حسن.

٣٩- **الثقات:** لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤ هـ) -دار الفكر- ط. الأولى سنة النشر: ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥م- تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.

٤٠- **جامع التحصيل في أحكام المراسيل:** لأبي سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد العلائي (٧٦١ هـ) -عالم الكتب - بيروت- ط. الثانية سنة ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٦ هـ- تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

٤١- **الجرح والتعديل:** لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (٣٢٧ هـ) -دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط. الأولى سنة النشر: ١٢٧١- ١٩٥٢م.

٤٢- **جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين:** دكتور محمد السيد الوكيل - ط. الخامسة - دار المجتمع للنشر والتوزيع سنة ١٤١٨ هـ.

٤٣- **الحياة الثقافية في العالم العربي في القرنين الأول والثاني الهجريين الجزء الأول:** دكتور عبد الفتاح عبد الفتاح - ط. الأولى - دار رياض الصالحين سنة ١٩٩٥م.

٤٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠ هـ)-دار الكتاب العربي- بيروت ط.. الرابعة سنة ١٤٠٥ هـ.

٤٥- **دراسات في علوم القرآن الكريم:** دكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - ط. الأولى - مكتبة التوبة بالرياض سنة ١٤١٣ هـ.

٤٦- **ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى:** لمحب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد الطبري (٦٩٤ هـ) دار الكتب المصرية.

٤٧- **رجال صحيح مسلم:** لأحمد بن علي بن منجوية الأصبهاني أبو بكر (٤٢٨ هـ) -دار المعرفة- بيروت - ط. الأولى سنة ١٤٠٧ هـ -تحقيق: عبد الله الليثي.

٤٨- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (٧٥١ هـ) -مؤسسة الرسالة- مكتبة المنار الإسلامية -بيروت- الكويت- ط. الرابعة عشر سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م - تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد

القادر الأرناؤوط.

٤٩- **سنن البيهقي الكبرى**: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (٤٥٨ هـ) -مكتبة دار الباز- مكة المكرمة- سنة ١٤١٤ هـ -١٩٩٤م - تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٥٠- **سنن الترمذي = الجامع الصحيح**: لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي (٢٧٩ هـ) -دار إحياء التراث العربي بيروت- تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .

٥١- **سنن الدارقطني**: لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٨٥ هـ) - دار المعرفة بيروت- سنة ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م - تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٥٢- **سنن الدارمي**: لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي (٢٥٥ هـ) -دار الكتاب العربي- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٧ هـ - تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

٥٣- **سنن أبي داود**: لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (٢٧٥ هـ) -دار الفكر- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٥٤- **السنن الكبرى**: لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣ هـ) -دار الكتب العلمية- بيروت - ط. الأولى سنة ١٤١ هـ - ١٩٩١م - تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

٥٥- **سنن ابن ماجة**: لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (٢٧٥ هـ) -دار الفكر- بيروت - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٦- **السنة**: لعمر بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (٢٨٧ هـ) -المكتب الإسلامي- بيروت - ط. الأولى سنة ١٤٠٠ هـ تحقيق: محمد ناصر الدين

الألباني.

٥٧- **السيرة النبوية لابن هشام**: لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (٢١٣ هـ) -دار الجيل- بيروت – ط. الأولى سنة ١٤١١ هـ- تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

٥٨- **شذرات الذهب في أخبار لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (١٠٨٩ هـ)** – دار الكتب العلمية بيروت.

٥٩- **شرح الزرقاني على موطأ مالك**: الزرقاني -نشر التجارية الكبرى بمصر سنة ١٣٥٥ هـ.

٦٠- **صفوة الصفوة (ج١+٢)**: لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (٥٩٧ هـ) -دار المعرفة- بيروت – ط. الثانية سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م – تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي.

٦١- **طبقات الفقهاء**: لأبي إسحاق الشيرازي – ط. بغداد سنة ١٣٥٦هـ.

٦٢- **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (٢٣٠ هـ) -دار صادر- بيروت.

٦٣- **الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم)**: لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبد الله (٢٣٠ هـ) -مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة – ط. الثانية سنة ١٤٠٨ هـ- تحقيق: زياد محمد منصور.

٦٤- **العبر في خبر من غبر**: لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨ هـ) -مطبعة حكومة الكويت- الكويت- ط. الثانية -مصورة سنة ١٩٤٨م- تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.

٦٥- **العلم- فضله وشرفه**: للإمام ابن قيم الجوزية -تنسيق وتعليق علي بن حسن

بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري- مجموعة التحف والنفائس الدولية للنشر والتوزيع - ط. الأولى ١٤١٦ هـ.

٦٦- **الفائق في غريب الحديث**: لمحمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) -دار المعرفة- لبنان - ط. الثانية - تحقيق: علي محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم.

٦٧- **فتوح البلدان**: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩ هـ) دار الكتب العلمية بيروت -سنة ١٤٠٣ هـ- تحقيق: رضوان محمد رضوان.

٦٨- **فتوح الشام**: لأبي عبد الله بن عمر الواقدي -دار الجيل- بيروت.

٦٩- **الفردوس بمأثور الخطاب**: لأبي شجاع شيروه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (٥٠٩ هـ) -دار الكتب العلمية- بيروت- ط. الأولى سنة ١٩٨٦م - تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول.

٧٠- **فضائل الصحابة**: لأحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (٢٤١ هـ) -مؤسسة الرسالة- بيروت- ط. الأولى سنة النشر: ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م - تحقيق: د. وصي الله محمد عباس.

٧١- **الفهرست**: لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم (٣٨٥ هـ)-دار المعرفة- بيروت- سنة ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.

٧٢- **القاموس المحيط**: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧ هـ).

٧٣- **القراءات - أحكامها ومصادرها**: دكتور شعبان محمد إسماعيل ط. دار السلام للطباعة والنشر سنة ١٤٠٦ ه.

٧٤- **الكامل في التاريخ (الكتاب مدقق مرة واحدة)**: لمحمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠ هـ) -دار الكتب العلمية- بيروت- ط. الثانية سنة ١٤١٥ هـ

-١٩٩٥م- تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي.

٧٥- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: لمحمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي (٧٤٨ هـ) - دار الثقافة الإسلامية، مؤسسة علو -جدة- ط. الأولى سنة ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م- تحقيق: محمد عوامة.

٧٦- **الكامل في ضعفاء الرجال**: لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ()٣٦٥ هـ -دار الفكر- بيروت- ط. الثالثة سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م- تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٧٧- **كتاب بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم**: لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسيد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس (٢٤١ هـ) -دار الراية- الرياض- ط. الأولى سنة ١٩٨٩م- تحقيق: الدكتور: أبو أسامة وصي الله بن محمد بن عباس.

٧٨- **كتاب العين**: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ) ودار مكتبة الهلال- تحقيق: د. مهدي المخزومي والـ د. إبراهيم السامرائي.

٧٩- **الكنى**: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ) -دار الفكر- بيروت- تحقيق: السيد هاشم الندوي.

٨٠- **الكنى والأسماء**: لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسين (٢٦١ هـ) -الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- ط. الأولى سنة ١٤٠٤هـ- تحقيق: عبد الرحيم محمد احمد القشيري.

٨١- **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٧١١ هـ) -دار صادر- بيروت- ط. الأولى.

٨٢- **المجتبى في السنن**: لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣ هـ) -

مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب ط. الثانية سنة ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٨٣- **مجمع الزوائد**: نور الدين علي الهيثمي -نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٢ هـ.

٨٤- **المحلى**: لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد (٤٥٦ هـ) -دار الآفاق الجديدة بيروت- تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي.

٨٥- **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٧٢١ هـ) -مكتبة لبنان ناشرون- بيروت- ط. جديدة سنة ١٤١٥ هـ -١٩٩٥م- تحقيق: محمود خاطر.

٨٦- **المدونة الكبرى**: لمالك بن أنس -دار صادر- بيروت.

٨٧- **المراسيل**: لسليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود (٢٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤٠٨ هـ- تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٨٨- **مسائل الإمام احمد**: لأحمد بن حنبل بن هلال بن أسيد بن إدريس بن عبد الله (٢٦٦ هـ) -دار العلمية- دلهي- ط. الأولى سنة ١٩٨٨م- تحقيق: د. فضل الرحمن بن محمد.

٨٩- **مشاهير علماء الأمصار**: لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤ هـ) دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٥٩م- تحقيق: م. فلايشهمر.

٩٠- **المستدرك على الصحيحين**: لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ) -دار الكتب العلمية- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤١ هـ -١٩٩٠م- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٩١- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**: لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٧٧٠ هـ) -المكتبة العلمية- بيروت.

٩٢- **المعجم الأوسط:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) -دار الحرمين- بالقاهرة- سنة ١٤١٥ هـ- تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسين.

٩٣- **معجم البلدان:** لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (٦٢٦ هـ) -دار الفكر- بيروت.

٩٤- **المعجم الكبير:** لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٣٦٠ هـ) - مكتبة العلوم والحكم- الموصل- ط. الثانية سنة ١٤٠٤ هـ -١٩٨٣م- تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٩٥- **المغرب في ترتيب المعرب:** لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز (٦١٠ هـ) -مكتبة أسامة بن زيد- حلب ط. الأولى سنة ١٩٧٩م- تحقيقك محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار.

٩٦- **المغني في الضعفاء:** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨ هـ) – تحقيق: نور الدين عت.

٩٧- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (٥٩٧) -دار الكتب العلمية- بيروت- ط. الأولى سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م- تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا.

٩٨- **ميزان الاعتدال:** الإمام شمس الدين الذهبي- دار الفكر العربي.

٩٩- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزى بردى الأتابكي (٨٧٤ هـ) -المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- مصر.

أضواء على الحركة العلمية في الأندلس

أردنا في هذا البحث أن نتحدث عن الحركة العلمية في بلاد الأندلس، ونبيّن دور علمائها في تطور العلوم التي كان لها الطابَعُ الخاصّ على امتداد ثمانية قرون ونيَف (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢هـ) من حكم العرب لتلك البلاد.

إن دور الأندلسيين في حفظ العلوم لم يقتصر على ترديد ما أخذوه عن المشارقة، بل تعدّى ذلك إلى مرحلة النمو والتطوير، وبرهنوا أنهم يمتلكون روح المثابرة والاستنباط، والجِدّة والابتكار، في مختلف ميادين المعرفة.

لقد ساد العلمُ في مختلف ميادين المعرفة في الأندلس، وصنّف فيه الأندلسيون مؤلفات لا تُعَدُّ ولا تحصى، ولعلّ أهمها "رسالة مراتب العلوم" (١) التي كتبها ابن حزم القرطبي، المتوفّى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وتجاوز فيها أهل عصره من الأندلسيين، وعدّد فيها علوم المعرفة وهي: علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم المذاهب، وعلم الفتْيا، وعلم المنطق، وعلم النحو، وعلم اللغة، وعلم الشعر، وعلم الخبر، وعلم الطب، وعلم العدد، والهندسة، وعلم النجوم. (٢) ولكن كان لابن حزم موقف معادٍ لعلوم الطَّلِسْمات(٣) والموسيقى والكيمياء، كقوله في "رسالة مراتب العلوم": "فاعلموا، أسعدكم الله بتوفيقه، أنّ من رأيتموه يدّعي علم الموسيقى واللحون، وعلم الطَّلِسْمات، فإنه مُمَخْرَقٌ كذّاب ومُشَعْوِذٌ وَقاح، وكذلك من وجدتموه يتعاطى علم الكيمياء فإنه قد أضاف إلى هذه الصفات الذميمة التي ذكرنا استئكال أموال الناس (٤)...". وأضاف إلى العلوم التي عددها في رسالته علوماً أخرى، في قوله: "وعند التحقيق وصحة النظر، فكلُّ ما عُلِمَ فهو علِمٌ، فيدخل في ذلك علم التجارة، والخياطة، والحياكة، وتدبير السفن، وفلاحة الأرض، وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها، والبناء، وغير ذلك (٥)". وأخيراً يرى ابن حزم في رسالته المذكورة أن العلوم ترتبط ببعضها، فيقول: "والعلوم التي ذكّرنا يتعلق

بعضها ببعض، ولا يستغني منها علم عن غيره... [٦]". ويردد الفكرة نفسها في آخر الرسالة فيقول: "فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض، كما بينا قبل، محتاج بعضها إلى بعض، ولا غرض لها إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة فقط، وهو علم الشريعة[٧]".

وهكذا كان شعب الأندلس كثير الإقبال على العلم، سبّاقاً في ميدان العلوم، حريصاً على التمييز واكتساب المعارف. يذكر المقري في الباب السابع، في نبذة ممّا مَنّ الله تعالى به على أهل الأندلس من توقّد الأذهان، وبذلهم في اكتساب المعارف ما عزّ وهان، قولَ صاحب كتاب "فرحة الأندلس": "وأهل الأندلس عرب في الأنساب... هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبّهم فيها وضبطهم لها ورواياتهم ... يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات، واختيارهم لأجناس الفواكه، وتدبيرهم لتركيب الشجر، وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة... [٨]". ويضيف نقلاً عن ابن سعيد، أن أهل الأندلس كانوا كثيري الرغبة في العلم، وأن العالم كان عندهم معظّماً من الخاصة والعامة، ولعدم وجود مدارس تعينهم على طلب العلم، فقد كانوا يقرأون جميع العلوم في المساجد بأجرة، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلاّ الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم، ولا يُتظاهر بهما خوف العامة، ومن كان يشتغل بهما أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، وكثيراً ما كان ملوكهم يأمرون بإحراق كتُب الفلسفة[٩]. وقد كان للحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) الفضل في تنشيط الحركة العلمية في الأندلس، إذ تميّز عن غيره من الحكام بشغفه بالعلوم، فقال فيه ابن حزم: "كان الحكم المستنصر من أشد الناس صبابة بالعلوم، لا سيما بالأخبار والمقالات [١٠]". وأضاف: كان الحكم جامعا للعلوم، محباً لها، مُكرماً لأهلها، جمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وأنفق في ذلك أموالاً طائلة [١١].

وردد الحميدي هذا القول (١٢)، وكذلك فعل مثله الضّبي (١٣). وقال ابن حزم في

مكان آخر إن الحكم المستنصر كان محباً في العلم، ملأ الأندلس بجميع كتب العلوم، وإن تليداً الفتى الذي كان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس أخبره أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين (١٤). وردّد هذا القول ابن الأبار (١٥). وكذلك ابن خلدون، ولكنه ذهب إلى أنه كان في كل فهرسة عشرون ورقة فقط (١٦). وذهب محمد السويسي إلى أن الحكم المستنصر جمع بجامعة قرطبة أكثر من ستة آلاف مجلد(١٧). وترجم له ابن الأبار فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفاً بالعلوم، حريصاً على اقتناء دواوينها، يبعث فيها إلى البلدان، فيبذل في ذلك أنفس الأثمان. وكان يرغب في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث وفنون العلم. وكان بعث إلى ابن الفرج الأصفهاني ألف دينار عَيْناً ذَهباً ثمن نسخة من كتابه "الأغاني"، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق (١٨). ولم تكن المرأة الأندلسية بمعزل عن ذلك النشاط العلمي الذي قام به الرجل الأندلسي، فقد عدّد ابن حزم وظائف النساء فكان منهن الطبيبة، والحجامة، والمغينة، والمعلمة، والعاملة في المغزل والنسيج، وما أشبه ذلك (١٩). وذكر غوستاف لوبون أن النسوة الأندلسيات اشتهرن بالمعرفة العلمية والأدبية، وكُنَّ محبات للدرس (٢٠). ونحن هنا لا يمكننا أن نلج في دور المرأة الأندلسية، لأن هذا الموضوع وحده بحث قائم بذاته.

فيما **يتعلق بالحركة اللغوية والنَّحْوية**، فقد تحدث عنها المقَّري فقال: إن علم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر أنبل علم عند أهل الأندلس (٢١). وأضاف: كان النحو عند أهل الأندلس في نهاية من علو الطبقة، فكانوا كثيري البحث فيه، وكل عام لا يكون متمكناً منه فليس عندهم بمستحق للتمييز (٢٢). وقد تحدَّث ألبير مطلق بإسهاب عن النشاط اللغوي والنَّحوي في الأندلس في عصري الدولة الأموية وملوك الطوائف، وذكر العوامل التي ساعدت الحركة اللغوية والنحوية في مختلف المدن الأندلسية في ذينك العصرين (٢٣). ففي فترة الإمارة برز في حفظ اللغة ورواية

الحديث محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي، فقد دخل العراق وأخذ من علمائها كثيراً من كتب اللغة، وعاد إلى الأندلس وأدخل معه كثيراً من حديث الأئمة وكتب اللغة والشعر الجاهلي، وكانت وفاته سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م (٢٤). وفي فترة الخلافة برز أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، فقد ترجم له الحميدي وقال إنَّه كان إماماً في علم اللغة في عهد الحكم المستنصر، متقدماً فيها، مُتْقناً لها، فاستفاد الناس منه، وعوّلوا عليه، واتخذوه حجة، وكانت كتبه على غاية الضبط والإتقان، ومنها كتاب "النوادر" وكتاب "البارع" وكتاب "المقصور والممدود والمهموز"، وكانت وفاته بقرطبة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م (٢٥). وردد الضبي هذا النص بحرفيته (٢٦). وذكر ابن حزم الكتابين الأخيرين وأثنى عليهما (٢٧). وكان أحمد بن أبان بن سيد إماماً في اللغة العربية في أيام الحكم المستنصر، له الكتاب المنبوز بـ "كتاب العالم والمتعلم" على المسألة والجواب، وكتاب آخر شرح فيه كتاب الأخفش (٢٨).

وذكر ابن حزم الكتاب الأول باسم "العالم" وقال إنه في نحو مائة سفر على الأجناس، وفي غاية الإيعاب (٢٩). وكان أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي إماماً في النحو واللغة، ألَّف في النحو كتاب "الواضح" واختصر كتاب "العين" للخليل بن أحمد اختصاراً حسناً، وكانت وفاته قريباً من سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م (٣٠). وكان أبو الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، المُرسي إماماً في اللغة والعربية، وله في ذلك تأليف مشهورة، منها كتاب "المحكم" في اللغة، وكتاب "المخصص" في اللغة أيضاً. وكانت وفاته في سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م (٣١). والتحق ببلاط باديس بن حبوس بن زيري بغرناطة أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد ابن شرف الجذامي القيرواني، وله في علم النحو كتاب "البرهان". وكانت وفاته سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م (٣٢).

وأشهر النحويين المعروفين في عصر ملوك الطوائف، أبو عبيد الله بن عبد بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، وقد عاش بقرطبة في ظل بني جَهْور،

وبوفاة والده عبد العزيز سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، انتقل إلى مدينة المروية، فاصطفاه مليكها المعتصم بن صمادح لصحبته، ورفع مرتبته، وبرغم ذلك آثر الارتحال إلى إشبيلية في كنف المعتمد بن عباد، وظلّ فيها إلى أن توفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م. وكان إماماً لغوياً، امتاز على أهل عصره بثقافته اللغوية العالية، حتى عُدَّ من مفخرة الأندلس وآخر علمائها في عصره. من مصنفاته في اللغة: "اللآلي، في شرح أمالي القالي" مطبوع، وكتاب "التنبيه"، على أغلاط أبي علي القالي في أماليه، مطبوع، و "فصل المقال، في شرح كتاب الأمثال لابن سلام"، مطبوع، و "معجم ما استَعْجَمَ من أسماء البلاد والمواضع"، مطبوع، وكتاب "شرح أمثال أبي عبيد" و "واشتقاق الأسماء[٣٣]". وكان أبو علي عمر بن محمد الشَّلُوبيني الإشبيلي، المتوفَى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م. إماماً في علم النحو في فترة الموحدين، مستحضراً له في غاية الاستحضار، وقد ألف فيه كتاباً سمّاه "التوطئة [٣٤]". وقد ذكره المقري، وسجّل عليه عيباً، وهو أنه كان كثير التحريف في لسانه، جارياً في ذلك مجرى أهل الأندلس إذ أن كلامهم الشائع في الخواص والعوام كان كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع اللغة العربية [٣٥]. وكان جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بم مالك الجياني، العلاّمة. الأوحد في النحو والتصريف واللغة، له "الألفية"و "التسهيل" وكانت وفاته سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م [٣٦]. وكان أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الجياني الغرناطي، إمام عصره المطلق في النحو والتصريف، عارفاً باللغة. من تصانيفه: "التجريد لأحكام كتاب سيبويه"، و "المبدع" في التصريف، وكتاب "غاية الإحسان" في النحو. توفي سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م [٣٧].

وكان اهتمام الأندلسيين بعلوم الدين كبيراً، فقراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، فكانت سمة الفقيه عندهم جليلة، حتى إنَّ المرابطين كانوا يُسَمُّون الأمير العظيم الذي يريدون تنويهه بالفقه، وقد يقولون للكاتب والنحْوي واللغوي فقيه؛ لأنها أرفع السمات، وعلم الأصول عندهم متوسط الحال [٣٨]. وفي

رسالة "مراتب العلوم" يضع ابن حزم الأندلسي علم شريعة الإسلام في أول العلوم فيقول: "فأفضل العلوم ما أدَّى إلى الخلاص في دار الخلود، ووصل إلى الفوز في دار البقاء ... (٣٩)". ويضيف: "فإن اشتغل مُغَفَّل عن علم الشريعة بعلمٍ غَيرِه، فقد أساء النظر وظلم نفسه... (٤٠)". وبعد أن بيَّن ابن حزم أن كل شريعة سوى الإسلام باطل، قسَّم شريعة الإسلام أقساماً أربعة هي: علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الكلام (٤١). والأغلب عند أهل الأندلس إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وإذا تهاون فيه الحاكم دخل العامة قصره ولا يعبأون بخيله ورَجِله حتى يخرجوه من بلدهم، وهذا كثير في أخبارهم، حتى أن الرَّجم بالحجر للقضاة والولاة للأعمال إذا لم يعدلوا في كل يوم (٤٢). وقد بلغ علماء الأندلس في عصر ملوك الطوائف الغاية في علوم الفقه والحديث والتفسير والقراءات. وقد أشار إلى ذلك الأمير عبد الله ابن بلقين في مذكراته بقوله: "ولم تزل الأندلس قديماً وحديثاً عامرة بالعلماء والفقهاء وأهل الدين، وإليهم كانت الأمور مصروفة (٤٣)". وكان مذهب أهل الأندلس مذهب أهل السُنَّة، إذ كانوا منذ أول الفتح العربي على مذهب عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الشامي، الذي كان يهتم بأحكام الحرب والجهاد، ما يوافق حياتهم القائمة آنذاك على الغزوات والحروب في عصر الولاة وصدر عصر الدولة الأموية. وفي عهد الحكم الربضي حلَّ محلّه مذهب مالك بن أنس الحجازي؛ وذلك بسبب رحلة علماء الأندلس إلى المدينة وأخذهم الكثير من فضائل مالك، وظلَّ هذا المذهب يسود كل العصور، برغم وجود مذاهب أخرى كمذهب الظاهرية الذي تزعَّمه الفقيه ابن سرا، حسبما يقول المقري: "ولا مذهب لهم إلاّ مذهب مالك، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يبحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم (٤٤)". وقد ظهر في الحديث وتفسير القرآن **نَجْمُ بقي بن مَخْلَد**؛ كان من حفَّاظ المحدثين، وأئمة الدين، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق فروى عن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن أبي شيبة وغيرهما من الأئمة المشاهير، ورَجَعَ إلى الأندلس فملأها علماً جمّا، وكتب المصنَّفات الكبار منها

"تفسير القرآن ومصنف كبير في الحديث، ومصنف آخر في فتاوي الصحابة والتابعين"، وكانت وفاته بقرطبة سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م (٤٥). وافتخر به ابن حزم فقال: "وإذا سميّناه بقي بن مخلد، لم نسابق به إلاّ محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وسليمان بن الأشعث السجستاني، وأحمد بن شعيب النسائي (٤٦)". وأضاف: لأبي عبد الرحمن بقي بن مخلد كتاب "تفسير القرآن"، لم يؤلَّفْ في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره، وله في الحديث مُصنَّفُه الكبير الذي رتَّبه على أسماء الصحابة، رضي الله عنهم، فروي فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيّف، وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين ومَنْ دونهم، وقد أربى فيه على مصنَّف أبي بكر بن أبي شيبة، وصارت تآليفه قواعد للإسلام لا نظير لها (٤٧). وكان **محمد بن وضاح** من الرواة المُكْثرين والأئمة المشهورين بقرطبة؛ رحل إلى المشرق وطوف البلاد في طلب العلم. حدَّث بالأندلس مدة طويلة، وانتشر عنه بها علم جمّ، حتى صارت الأندلس في أيامه دار حديث وإسناد. توفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م(٤٨). واجتمعت **لابن عبد ربّه** ثقافة واسعة، وكتابه "العقد" صورة ساطعة عن ثقافته العامة، فهو يبيّن أنه متّقف ثقافة فقهية تسمح له بأن يبحث في حلال النبيذ وحرامه أو أن يبحث بالمذاهب والفرق الدينيّة (٤٩). وكان أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البَرّ، المتوفَّى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، عالماً بالقراءات، والخلاف في الفقه، وعلوم الحديث، وله كتاب "التمهيد"، لما في الموطاء من المعاني والأسانيد" وهو في عشرة أسفار (٥٠). وذكر ابن حزم هذا الكتاب وقال إنه لا يعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، ولا أحسن منه (٥١). **وفي التاريخ** نظم ابن عبد ربّه أرجوزة شهيرة، قالها في الغزوات السنوية التي قام بها عبد الرحمن الناصر من سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م حتى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م، وقد نظمها على بحر الرجز، وتتألف من ٤٤٥ بيتاً من الشعر، وتمثّل وثيقة في موضوع الحماسة العربية في الأندلس؛ لأنَّ صاحبها، وقد تذوَّق إلى حدّ ما الشعر القصصي الحربي، استطاع أن ينقل إليها الغناء

التاريخي والاناشيد الحربية. وبمعنى آخر، فإنها تعتبر قصيدة الحوادث المستقلة ذات البنية الروائية، وقد اعتمد فيها على التاريخ كقاعدة لعمله الأدبي (٥٢).

ولأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف **ابن الفرضي** كتاب "تاريخ علماء الأندلس"، مطبوع، وقد استعملناه في بحثنا هذا. قتله البربر يوم فتح قرطبة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م (٥٣). وكان أبو مروان حيان بن خلف **ابن حيان** القرطبي من وزراء بني جَهور بقرطبة، ويعتبر من أعظم من انجبتهم قرطبة في فترة الخلافة وعصر ملوك الطوائف من المؤرخين بلا منازع. من مؤلفاته "المقتبس في تاريخ الاندلس في عشر مجلدات، و "المتين" في ستين مجلداً، وقد ذكرهما ابن خلكان (٥٤)، و"كتاب البطشة الكبرى" وقد أفرده ابن حيان لنكبة الجهاورة بقرطبة (٥٥). وفي رسالته في فضل الأندلس وتحت عنوان: "ومن الأخبار" يذكر ابن حزم كتاب ابن حيان الكبير، ويقصد به "المقتبس" فيقول: "ومنها كتاب التاريخ الكبير في أخبار أهل الأندلس، تأليف أبي مروان بن حيان، نحو عشرة أسفار، من أجَلِّ كتاب أُلِّفَ في هذا المعنى(٥٦)".ولأبي العباس أحمد بن محمد **ابن عذاري** المراكشي، المتوفى سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م، كتاب "البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب". وترجم له إسماعيل باشا البغدادي هكذا: أبو عبد الله محمد بن عذاري الأندلسي ثم المراكشي، المؤرخ المتوفى في حدود سنة ٦٩٥ خمس وتسعين وستماية (٥٧). وترجم له خير الدين الزركلي باسم أبي عبد الله محمد بن محمد المراكشي (٥٨).

وكان أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد **ابن خلدون** الإشبيلي مؤرخاً كبيراً، اشتهر كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والعجم والبربر"، وختمه ابن خلدون بفصل عنوانه "التعريف بابن خلدون" وذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه. توفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م (٥٩).

وشرع أهل الأندلس يهتمون **بعلم الجغرافيا** في فترة الخلافة؛ إذ ألف أبو عبد الله

محمد بن يوسف **الوراق** للحكم المستنصر كتاباً ضخماً في "مسالك إفريقية وممالكها"، وكانت وفاته سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م (٦٠). وألف أحمد بن محمد التاريخي في مآثر الأندلس والمغرب كتبا جمة، منها كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها وأمات مدنها الستة، وخواص كل بلد منها (٦١).

وذكره ابن حزم باسم أحمد بن محمد الرّازي التاريخي، وأورد ما قاله الحميدي، وقال إن كتابه هذا مريح مليح (٦٢). ولأحمد بن موسى الرّازي كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها، سار فيه على نحو ما بدأ به أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد (٦٣).

ونبغ في هذا العلم في عصر ملوك الطوائف أبو العباس احمد بن عمر بن أنس بن دلهات الزغبي **العُذْري**، المعروف بابن الدلائي (٦٤). نسبة إلى دلاية من أعمال المرية. ومن مصنفاته "نظام المرجان في المسالك والممالك" وقد طبع منه جزء بعنوان: "نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك" بتحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني. وفي هذا الكتاب يُقدم العُذْري على تفسير أسماء العديد من المدن الأندلسية باللغة اللاتينية. توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م.

وكان من كبار جغرافيي الأندلس وأعظمهم على الإطلاق أبو عبيد **البكري** (٦٥)، وهو تلميذ ابن الدلائي، وقد سار على سننه في تفسير أسماء المدن الأندلسية باللغة اللاتينية. وكان مفخرة أهل الأندلس حسب ما جاء به المقري: "وأما علم الجغرافيا، فيكفي في ذلك كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري الأونبي (٦٦)". وكتاب معجم ما استعجم من البقاع والأماكن (٦٧)". وقد طبع الكتاب الثاني بعنوان "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع". وله كتاب طبع بعنوان "جغرافية الأندلس وأوربة" وهو مستخرج من كتابه "المسالك والممالك". وقد توفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م.

وكان أبو الحسين محمد بن أحمد **بن جبير** البلنسي الشاطبي رحّالة، من علماء الأندلس في الفقه والحديث، وكتابه المعروف بـ "رحلة ابن جبير" مشهور، وضعه بعد أن قام بثلاث رحلات إلى المشرق، وهو مطبوع. توفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م (٦٨). وقد أعجب ابن عبد الملك المراكشي بهذا الكتاب بقوله: "وهذه الرحلة هي التي صنَّف وذكر مناقلة فيها وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، وهو كتاب مُمتع مؤنس، مثير سواكن النفوس إلى الوفاة على تلك المعالم المكرمة والمشاهد المعظمة (٦٩)".

وكان نور الدين أبو الحسن علي بن موسى **ابن سعيد**، المتوفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م، على دراية تامة بالجغرافية، إذ ألَّف كتاباً في ذلك هو "كتاب الجغرافيا"، مطبوع (٧٠).

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي، المعروف **بابن بطوطة**، رحّالة، ومؤرخاً، قام بثلاث رحلات استغرقت زهاء تسع وعشرين سنة، أطولها رحلته إلى الأندلس، وقد دوّنها في كتابه المشهور، وهو "تحفة النُظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ويعرف بـ"رحلة ابن بطوطة"، مطبوع. توفي سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م (٧١).

وفيما يتعلق **بالفلسفة**، فإنها لم تنشط في بادئ الأمر، وظل أهل الأندلس يجهلونها حتى عهد عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م). وأول من اشتغل بهذا العلم هو أبو عثمان سعيد بن فتحون السَّرقسطي، المعروف بالحمار، إذ له رسائل مجموعة في الفلسفة تدلُّ على تمكّنه من هذه الصناعة (٧٢). وترجم له ابن عبد الملك المراكشي وقال إنه كان ذا حظ من علوم القدماء الفلاسفة، وإنه امتحن من قبل المنصور محمد بن أبي عامر محنة أدّت إلى سجنه مدة، ثم أطلق فاستوطن صقلية إلى أن مات بها (٧٣).

وفي عصر ملوك الطوائف نَجَمَ في هذا العلم أبو الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد **ابن شرف**، وقد عرف بالحكيم الفيلسوف (٧٤).

وكان أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ، المعروف **بابن باجة**، علاّمة وقته وأوحد زمانه في العلوم الفلسفية والحكمية (٧٥).

ونشطت الفلسفة في فترة الموحدين (٥٤٢-٦٣٥هـ/١١٤٧-١٢٣٧م) وبرز في عهدهم فلاسفة كبار أمثال **ابن طفيل** وابن رشد وابن سبعين وغيرهم. وقد استخدم أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) إلى بلاطه أبا بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل الوادي آشي، تلميذ أبي بكر محمد بن يحي ابن باجة، وأبا الوليد محمد بن أحمد بن محمد **بن رشد** القرطبي. وكان ابن طفيل فيلسوف وطبيب الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن، وله القصة الفلسفية الشهيرة "حي بن يقظان" وكانت بينه وبين ابن رشد مراجعات ومباحث، توفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م(٧٦). وكان ابن رشد معتنياً بتحصيل العلوم، متميّزاً في علم الطب، ومن مؤلفاته كتاب "تهافت التهافت" يردُّ فيه على كتاب "التهافت" للغزالي، وكتاب "منهاج الأدلة في علوم الأصول" ومقالة في العقل، ومقالة في القياس، ومسائل في الحكمة. توفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م (٧٧). وكان أبو محمد عبد الحق بن سبعين المُرسي الأندلسي واحداً من بين أعظم فلاسفة المغرب والأندلس معاً. توفي بمكة سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م (٧٨).

ونظراً إلى اهتمام أمراء الأندلس **بالموسيقى والغناء** نشطت حركتهما في مدن الأندلس على يدي علي بن نافع، المعروف **بزرياب**. دخل زرياب الأندلس في بداية حكم الأمير عبد الرحمن الثاني، في عام ٢٠٦هـ/٨٢١م، هرباً من غيظ أستاذه أبي إسحاق الموصلي في أيام الخليفة هارون الرشيد، فقرّبه عبد الرحمن إليه، فاشتهر في قصره (٧٩). وقد تغنى بفضائله الموسيقية المستشرق الإسباني إميليو غرسية غومس

فقال: "إن أوج التأثير المشرقي في فترة الإمارة سجّله دخول المغني الشهير زرياب إلى الأندلس ... وقد حمل معه فيضاً من الأنغام المشرقية التي ترجع في نشأتها البعيدة إلى أصول يونانية وفارسية. هذا الفيض أصبح الرَّحِم الذي ولدت منه الموسيقى الإسبانية (٨٠)". وأشارت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلى أن النظريات الموسيقية العربية بدأت في الموسيقى اللاتينية في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، وان أوربة ظلت مدينة لعرب الأندلس بالكثير من الآلات الموسيقية (٨١).

وكان **ابن عبد ربه** مشغوفاً بالموسيقى والغناء، وقد أفرد في كتابه "العقد" باباً بعنوان: "كتاب الياقوتة الثانية في الغناء واختلاف الناس في ذلك"، قال فيه: "الغناء مراد السَّمع، ومرتع النًّفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومَسلاة الكئيب، وأنس الوحيد، وزاد الراكب، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأخْذِهِ بمجامع النفس (٨٢)".

وظلت الناحية الموسيقية، يقول ابن سعيد، قبل ظهور **ابن ماجة** إمام الأندلس في الألحان في فترة المرابطين، غير واضحة المعالم (٨٣). وترجم ابن أبي أصيبعة لأبي بكر محمد بن يحي بن الصائغ، المعروف بابن باجة، وقال أنه كان مُتْقِناً لصناعة الموسيقى، جيّد اللعب بالعود (٨٤). ترجم لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت وقال أنه أتقن علم الموسيقى، وأجاد اللعب بالعود (٨٥).

ولم تقتصر الموسيقى بالأندلس على طبقة خاصة كما في المشرق، وإنمّا عمّت الشعب كله (٨٦)؛ ففي غرناطة في أيام سلاطين بني نصر تفشّى الغناء في كل زاوية وبخاصة في الدكاكين التي تجمع الكثير من الأحداث (٨٧). وذهب أحمد مختار العبادي إلى أن الغناء والموسيقى في الأندلس أكثر انتشاراً مما كانا عليه في المشرق؛ لأن أهل الأندلس كانوا كثيري التعلق بهما، بحيث انتشرا في القصور والحقول، وفي الأسواق والحوانيت والبيوت والمتنزهات (٨٨). وذكر إحسان عباس أن الغناء كان وسيلة من

وسائل نقل التلاحين العربية إلى ما وراء الحدود الإسلامية بالأندلس وطريقاً إلى التأثير العربي كله (٨٩).

وفي علم **العروض** نظم ابن عبد ربه أرجوزة من اثنين وتسعين بيتاً ومائة بيت، ضمّنها اثني عشر باباً هي: باب اختصار الفَرْش، وباب الأسباب والأوتاد، وباب الفواصل، وباب الزّحاف، وباب الزحاف الذي يكون في موضعين من الجزء، وباب الحلل، وباب الخَرْم، وباب علل الأعاريض والضروب، وباب التعاقب والتراقب، وباب الزيادات على الأجزاء، وباب نقصان الأجزاء، وباب صفة الدوائر وصورها. وبعد أن انتهى من هذه الأرجوزة (على بحر الرجز) ذكر سائر بحور الشعر الخمسة عشر، وتحدث عن زحافتها وعللها، وقدّم عليها شواهد شعرية، ثمَّ أعقب ذلك بحديث عن القافية وعيوبها (٩٠).

وألّف أبو عثمان **سعيد بن فتحون** التجيي السرقسطي في العروض مختصراً، ومطولاً بيّن فيه الموسيقى بزعمه، ومقتضباً أشار فيه إلى الموسيقى، وله غير ذلك (٩١). وترجم له الحميدي والضبي دون أن يشير إلى مشاركته في علم العروض (٩٢).

وسطع في هذا العلم في عصر ملوك الطوائف نَجْمُ أبي عبد الله محمد بن أحمد **ابن الحداد** الأندلسي (٩٣)، فصنّف كتباً لا نظير لها إفادةً، منها "المستنبط في علم الأعاريض المهملة عند العرب مما تقتضيه الدوائر الأربع من الدوائر الخمس التي تنفك منها أشعار العرب" و"الامتعاض للخليل" وهو كتاب مزج فيه ابن الحداد الأنحاء الموسيقية بصناعة العروض.

وفي علوم **العدد والحساب والهندسة والفلك** لم يُقْسَم لأهل الأندلس نفاذ، ولا تحققوا بها، إذ لا يثقون بأنفسهم في تمييز المُحسين من المقصّر في المؤلفين فيها، وبرغم ذلك ظهر علماء كبار لهم مؤلفات مهمة من أمثال مسلمة بن أحمد، وأصبغ بن محمد بن السمح، وأحمد بن نصر وغيرهم (٩٤). في علم الفلك نجمَ **أحمد بن أبان بن**

سيد، إمام اللغة العربية، في أيام الحكم المستنصر، وله الكتاب المعروف بـ "كتاب العالم" نحو مائة مجلد، مرتّب على الأجناس، بدأه بالفلك وختمه بالذرّة (٩٥). وذكر ابن حزم أبا القاسم **مسلمة بن أحمد** المجريطي وقال إنه لم يؤلّف في علم الفلك مثل زيجه(٩٦). وترجم له ابن أبي أصيبعة فقال: كان مسلمة بن احمد في زمن الحكم المستنصر إمام الرياضيين بالأندلس، وأعلَم من كان قبله بعلم الفلك وحركات النجوم ورصد الكواكب، وكان يشغف بتفهم كتاب بطليموس، المعروف بالمجسطي، وله كتاب في تمام علم العدد، وكتاب آخر اختصر فيه تعديل الكواكب، وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي. ومن تلاميذه ابن السمح وابن الصفار والزهراوي، وغيرهم. توفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م (٩٧). ونَجَمَ بغرناطة في عهد حبوس بن ماكسن بن زيري أبو القاسم أصبغ **بن محمد السمح**، وقد ترجم له ابن الخطيب باسم: أصبغ بن محمد ابن الشيخ المهدي الغرناطي، وقال إنه كان عالماً مشهوراً، محققاً في العلوم، ومن مؤلفاته "المدخل إلى الهندسة" في تفسير إقليدس، وكتاب ثمار العدد المعروف بـ "المعاملات"، وكتاب كبير في الهندسة تقصَّ فيه أجزاءها (٩٨). وترجم له ابن أبي أصيبعة فقال: كان ابن السمح في زمن الحكم المستنصر محققاً لعلم العدد والهندسة، متقدّماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، ومن مؤلفاته كتاب "المدخل إلى الهندسة" في تفسير كتاب إقليدس، وكتاب "ثمار العدد" المعروف بـ "المعاملات" وكتاب "طبيعة العدد"، وكتاب كبير في الهندسة، وكتابان في الأسطرلاب، وزيج ألّفه على أحد مذاهب الهند وهو كتاب كبير. وتوفي بمدينة غرناطة سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م (٩٩).

وممن اشتهروا بعلم العدد **أحمد بن نصر**، وقد ترجم له الحميدي وقال إنَّ له كتاباً في المساحة المجهولة لم يُتَقدَّم إلى مثله في معناه (١٠٠). وعنه نقل الضبي الترجمة نفسها(١٠١). وكلاهما نقل ما قاله ابن حزم: "... وكذلك كتاب لأحمد بن نصر في المساحة المجهولة، فما تقدّم إلى مثله في معناه (١٠٢)".

وترجم ابن أبي الأصيبعة لأبي القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر **ابن الصفار** فقال إنه

كان متحققاً بعلم العدد والهندسة، وقعد في قرطبة لتعليم ذلك، وكان من جملة تلامذة مسلمة بن أحمد، وله من الكتب زيج مختصر على مذهب السند هند، وكتاب في العمل بالأسطرلاب (١٠٣). وترجم أيضاً لعلي بن سليمان **الزهراوي** وقال كان عالماً بالعدد والهندسة، وله كتاب في المعاملات على طريق البرهان، ويسمى بكتاب الأركان، وكان قد أخذ كثيراً من العلوم عن مسلمة بن أحمد (١٠٤). وذكر **ابن باجة** وقال إن له تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدلّ على براعته في هذا الفن (١٠٥).

وفيما يتعلق **بالطب**، فقد ذكر ابن جلجل أنه لم يكن في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) سوى أطباء نصارى؛ لأن مسلمي الأندلس لم يكونوا بعد على اطلاع بتلك الصناعة، وفي عهد محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٠-٨٨٦م) برع بعض الأطباء، ولكن دون أن تعرف لهم مؤلفات، ودخلت الكتب الطبية وجميع العلوم من المشرق إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦٢م) حيث ظهر أطباء مشهورون (١٠٦).

ويرتبط علما الطب والصيدلة ارتباطاً وثيقاً بالرياضيات والهندسة والفلك، وكان من الصعب أن يفرقوا الرياضيَّ من الطبيب أو الصيدلاني. وكان نتيجة ازدهار الطب بقرطبة أن دعا الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) إلى إنشاء "ديوان الأطباء" يسجّل فيه اسم كل طبيب يحترف مهنتي الطب والصيدلة ويزاولهما، فإذا ارتكب خطأ سقط اسمه من الديوان، وقد جرى ذلك مع الطبيب أحمد بن حكيم بن حفصون؛ إذ لمّا توفي الحاجب جعفر الصقلبي، أسقطه الحكمُ المستنصر من ديوان الأطباء (١٠٧).

وقد خصص ابن أبي أصيبعة فصلاً بأطباء الأندلس، فذكر أنه برع في الطب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني يونس بن أحمد الحراني، وولداه **أحمد** و**عمر** في عهدي عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر (١٠٨). وأضاف أن أبا عثمان سعيد بن

عبد الرحمن بن محمد **ابن عبد ربّه** كان طبيباً فاضلاً، له بَصَرٌ بحركات الكواكب، وله أرجوزة في الطب. وكانت بينه وبين أبي عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربّه، صاحب كتاب "العِقْد"، مراسلات شعرية (١٠٩). وقال إن خلف بن عباس **الزهراوي** كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفرة والمركبة، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، أشهرها كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف (١١٠). وذكره ابن حزم فقال: لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع (١١١).

وكان سليمان بن حسان، المعروف **بابن جلجل**، طبيب الخليفة هشام المؤيد بالله، وكان خبيراً بالمعالجات، جيد التصريف في صناعة الطب، له بصيرة بقوى الأدوية المفردة، من كتبه تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، ألّفه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م بقرطبة، ومقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه (١١٢). وله كتاب في أخبار الأندلس، ألّفه سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م (١١٣).

ولمع في علم الطب في عصر ملوك الطوائف نجم الجغرافي أبي عبيد البكري، وقد أثنى عليه ابن أبي أصيبعة بالقول: "هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، من مرسية، من أعيان أهل الأندلس وأكابرهم، فاضل في معرفة الأدوية المفردة، وقواها، ومنافعها، وأسمائها، ونعوتها، وما يتعلق بها، وله من الكتب كتاب أعيان النبات والشجريات الأندلسية (١١٤)".

واشتهر في صناعة الطب في فترة المرابطين أبو العلاء زهر بن عبد الملك **ابن زهو** الإشبيلي، إذ كانت له علاجات مختارة تدلّ على قوته في تلك الصناعة، وألّف فيها كتباً كثيرة اهمها كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الخواص، وكتاب النكت الطبية(١١٥). وكان من معاصره أبو الصلت أمية بن عبد العزيز **بن أبي الصلت**، المتوفَّى سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، من أكابر الفضلاء في صناعة الطب، إذ بلغ فيها مبلغاً لم يصل

إليه غيره من الأطباء، ومن كتبه كتاب الأدوية المفـــردة علـــى ترتيـــب الأعضـــاء المتشابهة الأجزاء والآلية (١١٦).

واشتهر بتلك الصناعة في فترة المرابطين والموحدين أبو بكر محمد بن عبد الملك بن أبي العلاء ابن زهر المعروف بالحفيد؛ إذ لم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطـب؛ ألّف الترياق الخمسيني للخليفة المنصور أبي يعقوب بن يوسـف بـن عبـد المؤمـن الموحـدي (٥٨٠-٥٩٥هـــ/١١٨٤-١١٩٩م)، وكـانت وفاتــه فـي سـنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م (١١٧).

وفي فترة الموحدين كان ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، المعـروف **بابن البيطار**، أوْحَدَ زمانه في معرفة النبات، فقد عمل على تطوير المنهج التجريبـي وأرسى قواعده، من خلال اعتماده على المشاهدة والنظر والخبرة، كما جاء في مقدمة كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية": "فما صحَّ عندي بالمشاهدة والنظـر وثبـت لدي بالخبرة لا الخبر، ادَّخَرتُهُ كَنزاً سرّيّاً، وعددتُ نفسي عن الاستعانة بغـيري فيـه سوى الله غنياً، وما كان مخالفاً في القوى والكيفيَّة، والمشاهدة الحسّيّة، فـي المنفعـة والماهيّة، للصواب والتحقيق، أو أنَّ ناقله أو قائله عَدَلا فبه سـواء الطريـق، نَبَذْتُـهُ ظِهْرِيّاً، وَ هَجَرْتُهُ مَلياً، وقلتُ لناقله أو قائله: لقد جئت شيئاً فريّـا (١١٨)". وفـي هـذا الكتاب بيّن ابن البيطار الصحيح من الأدوية وما وقع الاشتباه به. وله أيضـاً كتـاب "المُغْني" في الأدوية المفردة. وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م (١١٩).

وكان لأهل الأندلس اليد الطُولى في علوم الزراعة؛ إذ ظهرت كوكبة من المهندسـين الزراعيين، بدءاً بالقرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ وقد ذهب محمد السويسـي إلى أن الأندلسيين تفرَّدوا عن غيرهم في ميدان الزراعة: "وان يوجد ميدان من ميادين العلوم الإسلامية تفرَّدت به منطقة خاصة من العالم الإسلامي تفرّداً يكاد يكون تامـاً، فذاك كان شأن ميدان الزراعة بالنسبة إلى الأندلس؛ فطيلة عدة قرون ابتداء من القـرن

الرابع للهجرة/العاشر الميلادي، يكاد يكون كل كتاب هام في الزراعة من إنتاج الأندلس ... (١٢٠)". وعدد السويسي أهم مؤلفات الأندلسيين في الفلاحة وهي: كتاب الأنواء لأبي الحسن القرطبي، وكتاب الفلاحة لأبي القاسم الزهراوي الطبيب، وهما في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كتاب الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي وعبد الله بن بصال بطليطلة. وفي القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي، وكتاب الفلاحة لأبي زكريا بن العوام (١٢١). وقد ذكر المقري ابن بصال وأثنى عليه في قوله: "ومنهم ابن بصال صاحب "كتاب الفلاحة" الذي شهدت له التجربة بفضله (١٢٢)".

وأخيراً يبقى أمامنا أن نلج في **علم الكلام**، ولكن لم يُقسم لأهل الأندلس في هذا العلم نفاد. وقلّ تصرفهم فيه، إذ لم تتجاذب في الأندلس خصوم، ولا اختلفت فيها النِّحل، وبرغم ذلك لهم فيه تواليف (١٢٣).

ثبت بأسماء المصادر المراجع

أولاً: المصادر:

١- ابن الأبّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): **الحُلّة السِّيَراء** (١-٢)، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣.

٢- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي، المتوفّى سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

٣- الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر، المتوفّى سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م): **بدائع البدائه**، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

٤- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشَّنْتريني، المتوفّى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، أربعة أقسام في ثمانية مجلدات، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩.

٥- ابن بَشْكُوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، المتوفّى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣م): **الصلة** (١-٣)، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩.

٦- البغدادي (إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، المتوفّى سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م): **هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنِّفين من كشف الظنون** (١-٢)، إستانبول، ١٩٥١-١٩٥٥.

٧- ابن بُلُقِّين (الأمير عبد الله آخر ملوك بن زيري بغرناطة، المتوفَّى بعد سنة ٤٨٣هـ/بعد ١٠٩٠م): **مُذكرات الأمير عبد الله، المُسمّاة بكتاب التبيان**، تحقيق الأستاذ إ. ليڤي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥.

٨- ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، المتوفَّى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية** (أربعة أجزاء في مجلدين). طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٩- ابن جُلْجُل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، المتوفَّى بعد سنة ٣٧٧هـ/بعد ٩٨٧م): **طبقات الأطباء والحكماء، ومعه تاريخ الأطباء والفلاسفة لابن حنين**، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

١٠-ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، المتوفَّى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م): **الدار الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (١-٤)، حيدر آباد، ١٩٤٥-١٩٥٠.

١١- ابن الحداد الأندلسي (أبو عبد الله محمد بن احمد بن خلف، المتوفَّى سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م): **ديوان ابن الحداد الأندلسي**، تحقيق الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

١٢- ابن حزم، (أبو محمد علي بن احمد المتوفَّى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢.

١٣- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (١-٤). تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠-١٩٨٣.

١٤- الحُميدي (أبو عبد الله محمد بن فتّوح الأزدي، المتوفَّى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م):

جذوة المُقتَبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

١٥- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد الغشبيلي، المتوفَّى ٥٢٨هـ/١١٣٤م): **قلائد العِقْيان في محاسن الأعيان**، القاهرة، ١٢٨٤هـ.

١٦- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السَّلْماني، المتوفَّى سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): **الإحاطة في أخبار غرناطة** (١-٤)، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٣-١٩٧٧.

١٧- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية**، القسم الثاني، تحقيق الأستاذ إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، ١٩٥٦.

١٨- ابن الخطيب: **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**. تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

١٩- ابن الخطيب: **اللَّمحة البَدْرِيّة في الدولة النصرية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

٢٠- ابن خلدون: (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المغربي، المتوفَّى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** (ثمانية مجلدات في أربعة عشر جزءاً). دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

٢١- ابن خلِّكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، المتوفَّى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م): **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان** (١-٥). تحقيق الدكتور

يوسف علي طويل والدكتورة مريم قاسم. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٢٢- ابن دِحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن، المتوفَّى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م): **المُطْرِب من أشعار أهل المَغرب**، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد الحميد والدكتور أحمد أحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، ١٩٥٥.

٢٣- ابن سبعين (أبو محمد عبد الحق المرسي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م): **رسائل ابن سبعين**، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٥٦.

٢٤- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، المتوفَّى سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٧م): **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مصر، ١٣٥٣-١٣٥٥هـ.

٢٥- ابن سعيد (نور الدين أبو الحسن علي بن موسى، المتوفَّى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): **المُغرِب في حُلى المَغرِب** (١-٢) تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

٢٦- السُّيُوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفَّى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م): **بُغْية الوُعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة**، دار المعرفة، بيروت.

٢٧- السيوطي: **حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** (١-٢)، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧-١٩٦٨.

٢٨- ابن شاكر (محمد بن شاكر الكُتُبي الدمشقي، المتوفَّى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): **فَوات الوَفَيات** (١-٥)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت/١٩٧٣-١٩٧٤.

٢٩- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك، المتوفَّى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): **الوافي بالوَفَيات** (١-٢٢)، الطبعة الثانية، فيسبان، ١٩٦٢-١٩٨٣.

٣٠- الضَّبّي (أبو جعفر أحمد بن يحيى، المتوفَّى سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م): **بغية المُلْتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٣١- ابن عبد ربّه (أبو عمر أحمد بن محمد، المتوفَّى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م): **العِقْد** (١-٧)، شرح الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩-١٩٦٥.

٣٢- ابن عبد الملك (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، المتوفَّى سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م): **الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة** (١-٦)، تحقيق الأستاذ محمد شريفة والدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٣٣- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، المتوفَّى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م): **تاريخ علماء الأندلس** (١-٢)، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

٣٤- المقَّري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التِّلِمْساني، المتوفَّى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م): **نفخ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب (١-١٠)، تحقيق الدكتورة مريم قاسم والدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

٣٥- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفَّى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): **معجم الأدباء المُسمَّى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** (١-٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.

٣٦- ياقوت: **معجم البلدان** (١-٥)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

ثانياً: المراجع:

١- الحفني (د. محمود أحمد): **زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٢- الزركلي (خير الدين): **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (١-٨). دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.

٣- السويسي (د. محمد): **العلوم العربية بالأندلس**، مجلة الثقافة العربية – الإسبانية عبر التاريخ، دمشق، ١٩٩٠.

٤- طويل: (د. يوسف علي): **ابن عبد ربّه**، مطبعة سعد إخوان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣.

٥- طويل: (د. يوسف علي): **مدخل إلى الأدب الأندلسي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩١.

٦- العبادي (د. أحمد مختار): **الإسلام في أرض الأندلس**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٩٧٩.

٧- عباس (د. إحسان): **أخبار الغناء والمغنيين في الأندلس** (١٣٨-٥٣٩هـ)، مجلة الأبحاث، السنة ١٦، الجزء الأول.

٨- عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤.

٩- فارمر: (هنري جورج): **تأريخ الموسيقى العربية**، نقله إلى العربية الدكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٦.

١٠- قاسم (د. مريم محمد): **مملكة ألمرية في عهد المعتصم بن صمادح**، مكتبة

الوحدة العربية بالدار البيضاء، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

١١- لوبون (د. غوستاف): **حضارة العرب**، نقله إلى العربية الأستاذ عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩.

١٢- مطلق (الأستاذ ألبير): **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف**، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٦٧.

١٣- هونكه (زيغريد): **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله إلى العربية الأستاذان فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة السادسة، ١٩٨١.

١٤- Garcia Gomez (Emilio) : **Poemas Arabigoandaluces**, Madrid, 1959

الحواشي

١- وردت هذه الرسالة ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي (الجزء الرابع) بتحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣. وورد في الجزء نفسه رسالة أخرى اكبر من رسالة "**مراتب العلوم**" وهي رسالة "**التقريب لحد المنطق**"، خصص فيها ابن حزم باباً للعلوم أسماه "باب أقسام المعارف وهي العلوم"، وباباً آخر أسماه "باب كيفية أخذ المقدمات من العلوم الظاهرة عند الناس بإيجاز"، وحصر رسالته باثني عشر علماً، إضافة إلى علمين زائدين هما: علم العبارة وعلم البلاغة. راجع: ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج ص ٢٨٥،٣٤٨).

٢- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج ٤ ص ٧٨-٨١).

٣- الطِّلِسمات جمع طِلَسْم أو طِلَّسْم وهو عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة يستخدمها من يتعاطى هذا الفن ليدفع كل مؤذ، معرّب تالِسْما باليونانية.

٤- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج ٤ ص٦٢).

٥- **المصدر نفسه** (ص ٨١).

٦- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٣ ص٨١).

٧- **المصدر نفسه** (ص٩٠).

٨- المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق الدكتورة مريم قاسم والدكتور يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ (ج٤ ص

١٣٣-١٣٤).

٩- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص٢١١).

١٠- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص٧٥).

١١- **المصدر نفسه** (ج٢ ص١٩٤).

١٢- الحميدي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة ١٩٦٦ (ص ١٣ من مقدمة المؤلف).

١٣- الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ (ص١٨، من مقدمة المؤلف).

١٤- ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمدج هارون، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٢ (ص١٠٠).

١٥- ابن الأبار: **الحلة السيراء**: تحقيق الدكتور حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ (ج١ ص ٢٠٣).

١٦- ابن خلدون: **كتاب العبر**، وديوان المبتدأ والخبر، **في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**. دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١ (المجلد الرابع ص ٣١٦).

١٧- السويسي: **العلوم العربية بالأندلس: مجلة الثقافة العربية** - الإسبانية عبر التاريخ، دمشق، ١٩٩٠ (ص٥٢٢).

١٨- ابن الأبار: **الحلة السيراء** (ج١ ص٢٠٠-٢٠٢).

١٩- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج١ ص١٤٢).

٢٠- لوبون: **حضارة العرب**، نقله الى العربية الأستاذ عادل زعيتر، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩ (ص٤٨٩).

٢١- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص٢١٢).

٢٢- نفسه: **المصدر نفسه**.

٢٣- مطلق: **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف**، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، سنة ١٩٦٧ (ص٢٥٨-٢٧٢).

٢٤- السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، دار المعرفة، بيروت (ص٦٧).

٢٥- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص١٦٤-١٦٦، رقم الترجمة ٣٠٣).

٢٦- الضبي: **بغية الملتمس** (ص٢٣١-٢٣٣، رقم الترجمة ٥٤٧).

٢٧- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج١ ص١٨١). وانظر أيضاً: المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٥١).

٢٨- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٤٠٥، رقم الترجمة ٩٦٥)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص٥٣٨، رقم الترجمة ١٥٦٦).

٢٩- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج١ ص١٨٢). وانظر أيضاً: **نفح الطيب** (ج٤ ص ١٥٢).

٣٠- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٤٦-٤٨، رقم الترجمة ٣٤)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص٦٦-٦٧، رقم الترجمة ٨٠)، السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٣٤).

٣١- ابن بشكوال: **الصلة**، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري

بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني ببيروت، ١٩٨٩ (ص ٦٠٦)؛ ابـــن خلّكـــان: **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، تحقيق الدكتورة يوسف على طويل والدكتورة مريم قاسم، دار الكتب العلمية ببـــيرروت، ١٩٩٨ (ج٣ ص ٢٨٩-٢٩٠)؛ ياقوت: **معجم الأدباء**، دار الكتب العلمية، ببيروت، ١٩٩١ (ج٣ ص٥٤٤) ؛ السيوطي: **بغية الوعاة** ص (٣٢٧).

٣٢- ترجمة ابن شرف في: ابن بسام: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيـــق الدكتورر إحسان عباس، دار الثقافة، ببيروت، ١٩٧٨-١٩٧٩ (القسم الرابع، ص١٦٩)؛ ابن بشكوال: **الصلة** (ص ٨٧١)؛ الأزدي: **بدائع البدائه**، تحقيـــق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القـــاهرة، ١٩٧٠ (ص٢٢١-٢٤٠) ؛ ابن دحية: **المُطْرب من أشعار أهـــل المغـــرب**، تحقيـــق الأستاذ إبراهيم الأبياري والدكتور حامد عبد الحميد والدكتور أحمـــد أحمـــد بدوي، دار العلم للجميع، المكتب الإسلامي بدمشق، ١٩٦١ (ص٦٦)؛ ابـــن خلّكان: **وفيات الأعيان** (ج٢ ص٧٠) و (ج٤ ص١٨٥)؛ ابن شاكر الكُتُبـــي: **فوات الوفيات**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة ببـــيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤ (ج٣ ص٣٥٩)؛ السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٤٦).

٣٣- ترجمة البكري في: ابن بسام: **الذخيرة** (القسم الثاني ص٢٣٢)؛ ابن ســـعيد: **المُغْرب في حُلى المَغْرب**، تحقيق الدكتور شـــوقي ضيـــف، دار المعـــارف بمصر، ١٩٦٤ (ج١ ص٣٤٧)؛ ابن الأبار: **الحُلة السيراء** (ج٢ ص١٨٠)؛ ابن خاقان: **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، القـــاهرة، ١٢٨٤هـــ (ص ١٨٩)؛ السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٢٨٥٨)؛ المقري: **نفح الطيـــب** (ج١ ص ٢٨١).

٣٤- ابن خلكان: **وفيات الأعيان** (ج٣ ص ٣٩٥-٣٩٦).

٣٥- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص ٢١٢).

٣٦- ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات** (ج٣ ص ٤٠٧)؛ ابن الخطيب: **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت، ١٩٦٣ (ص٨١)؛ السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٥٣)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٢ ص ٣٣٢).

٣٧- الصفدي: **الوافي بالوفيات**، الطبعة الثانية، فيسبادن، ١٩٦٢-١٩٨٣ (ج٥، رقم الترجمة ٢٣٤٥)؛ السيوطي: **بغية الوعاة** (ص١٢١-١٢٢)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٣ ص٣٠٥ وما بعدها).

٣٨- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص٢١١-٢١٢).

٣٩- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٤ ص ٦٤).

٤٠- **المصدر** نفسه (ص٧٥).

٤١- **المصدر نفسه** (ص ٧٨-٧٩).

٤٢- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص ٢١٠).

٤٣- ابن بلقين: **مذكرات الأمير عبد الله، المسماة بكتاب التبيان**، تحقيق الأستاذ إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥ (ص ١٧).

٤٤- المقري: **نفح الطيب** (ج١ ص ٢١١-٢١٢).

٤٥- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص ١٧٧-١٧٩).

٤٦- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج ٢ ص ١٨٧)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج ٤ ص ١٥٦).

٤٧- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٧٨-١٧٩). وانظر أيضاً

الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص١٧٧، رقم الترجمة ٣٣١)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ٢٤٥، رقم الترجمة ٥٨٤)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٤٨).

٤٨- ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣-١٩٨٤ (ص ١٧١)؛ الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص ٩٣-٩٤، رقم الترجمة ١٥٢)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ١٣٣-١٣٤، رقم الترجمة ٢٩١).

٤٩- طويل: **ابن عبد ربّه**، مطبعة سعد إخوان، بيروت، ١٩٣٣ (ص١١).

٥٠- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص ٣٦٧-٣٦٨، رقم الترجمة ٧٧٤)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ٤٨٩-٤٩٠، رقم الترجمة ١٤٤٣)؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان** (ج ٥ ص ٤٢٨-٤٣٣)؛ ابن بشكوال: **الصلة** (ص ٩٧٣).

٥١- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص ١٧٩). وانظر أيضاً: المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص ١٤٩).

٥٢- راجع طويل: **ابن عبد ربّه** (ص ٢٢) ففيه ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت لابن عبد ربّه.

٥٣- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص ٢٥٤، رقم الترجمة ٥٣٧)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ٣٤٤، رقم الترجمة ٨٨٨)؛ ابن خلكان: **وفيات الأعيان** (ج٣ ص٨٦)؛ ابن بشكوال: **الصلة** (٣٩٣)، المقري: **نفح الطيب** (ج ٢ ص٣٤٣-٣٤٥).

٥٤- ابن خلكان: **وفيات الأعيان** (ج٢ ص ١٨٧).

٥٥- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام** (القسم الثاني، تحقيق الأستاذ إ. ليفي بروفنسال،

دار النكشوف، لبنان، ١٩٥٦ (ص١٥١)).

٥٦- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص ١٨٤). وانظر أيضاً: المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص ١٥٣).

٥٧- البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، إستانبول، ١٩٥١-١٩٥٥ (ج٢ ص١٨٣).

٥٨- الزركلي: **الاعلام**؛ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ (ج٧ ص٩٥).

٥٩- المقري: **نفح الطيب** (ج٧ ص٨٩)؛ السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مصر ١٣٥٣-١٣٥٥هـ (ج٤ ص١٤٥).

٦٠- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٩٧، رقم الترجمة ١٦٠)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص١٤١، رقم ٣٠٤).

٦١- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص١٠٤، ١٧٤)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص١٥١، رقم ٣٢٩).

٦٢- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٧٢-١٧٣). وانظر أيضاً: المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٤٢).

٦٣- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص١٠٤، رقم الترجمة ١٧٥)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ١٥١، رقم ٣٣٠).

٦٤- ترجمته في: الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص١٣٦، رقم الترجمة ٢٣٦)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص ١٩٥، رقم الترجمة ٤٤٦)؛ ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤ (ج٢ ص ٤٦٠، مادة دلاية) و (ج٥ ص١١٩، مادة المرية)؛ **الزركلي** (ج١ ص١٨٥).

٦٥- تقدم ذكر المصادر التي ترجمت للبكري في دراسة العلوم اللغوية والنحوية (ص٤) فلتنظرْ هناك.

٦٦- نسبة إلى أونبة Huelva. راجع في ذلك: قاسم: **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح**، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ (ص١٢٩، حاشية٣).

٦٧- المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٦٢).

٦٨- ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٣-١٩٧٧ (ج٢ ص٢٣٠-٢٣٤)؛ ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق الأستاذ محمد شريفة والدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ١٩٦٥ (السفر السادس، ص ٥٩٥-٦٢١).

٦٩- ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة** (السفر الخامس ص٥٩٧-٥٩٨).

٧٠- ترجمة ابن سعيد في: السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٣٥٧)؛ ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات** (ج٣ ص١٠٣) وفيهما أن وفاته كانت في سنة ٦٧٣هـ/١٢٨٤م؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٣ ص٢٩، ٤٠).

٧١- ترجمة ابن بطوطة في: ابن حجر: **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة**، حيدر آباد، ١٩٤٥-١٩٥٠ (ج٣ ص٤٨٠)؛ الزركلي: **الأعلام** (ج٦ ص٢٣٥).

٧٢- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الاندلسي** (ج٢ ص١٨٥)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٥٤).

٧٣- ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة** (ج٤ ص٤٠-٤١). وانظر أيضاً:

السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٢٥٦).

٧٤- المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص٣٥٤). وترجمة ابن شرف هذا في: ابن بسلم: **الذخيرة** (القسم الثالث ص٨٦٧)؛ ابن خاقان: **قلائد العقيان** (ص٢٥١)؛ ابن بشكوال: **الصلة** (ص١٢٩)؛ ابن دحية: **المطرب** (ص٦٦)؛ ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** (ج٢ ص ٢٣٠).

٧٥- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الاطباء**، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ (٥١٥).

٧٦- الزركلي: **الأعلام** (ج٦ ص٢٤٩) وفي حاشيته ثبت بأسماء المصادر التي ترجمته لابن طفيل. وانظر ما كتب عن رسالته "**حي بن يقظان**" في كتاب: يوسف طويل: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩١ (ص٢٢١-٢٢٦).

٧٧- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (ص٥٣٠-٥٣٣).

٧٨- راجع ابن سبعين: **رسائل ابن سبعين**، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ففيها دراسة قيمة بقلم المحقق في مقدمة الكتاب، وفيها ثبْتٌ بأسماء المصادر والمراجع المعتمدة في سيرته وحياته ومذهبه، فلتنظرْ.

٧٩- راجع **أخبار زرياب** في : عباس: **أخبار الغناء والمغنين في الأندلس** (١٣٨-٥٣٩هـ)، **مجلة الأبحاث**، السنة ١٦، الجزء الأول؛ الحفني: **زرياب أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ففيهما ثبتٌ وافر بأسماء المصادر التي ترجمت لزرياب.

٨٠- Garcia Gomez : **Poemas Arabigoandaluces, Madrid**, 1959 (P.27)

٨١- هونكه: **شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله إلى العربية الأستاذان فاروق بيضون وكمال دسوقي. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ (ص٤٩٢).

٨٢- ابن عبد ربه: **العِقد**، شرح الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، ١٩٤٩-١٩٦٥ (ج٦ ص٣).

٨٣- ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** (ج٢ ص١١٩-١٢٠).

٨٤- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (ص٥١٥).

٨٥- **المصدر نفسه** (٥٠١-٥١٥).

٨٦- فارمر: **تاريخ الموسيقى العربية**، تعريب الدكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٦ (ص٢٢١).

٨٧- ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة** (ج١ ص١٣٧) واللمحة البدرية في الدولة النصرية (ص٤٠).

٨٨- العبادى: **الإسلام في أرض الأندلس**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٩٧٩ (ص١١٠).

٨٩- عباس: **تاريخ الأدب الأندلسي**، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٤ (ص٥٣).

٩٠- ابن عبد ربّه: **العقد** (ج٥ ص٤٤٢-٥١٨).

٩١- ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة** (ج٤ ص٤٠-٤١)؛ السيوطي: **بغية الوعاة** (ص٢٥٦).

٩٢- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٢٣٣، رقم الترجمة ٤٧٨)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص٣١١ رقم ٨١٣).

٩٣- له ترجمة وافية في مقدمة ديوانه، بقلم المحقق الدكتور يوسف طويل، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٠، يشير فيها المحقق إلى هذه الكتب، فلتنظر.

٩٤- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الاندلسي** (ج٢ ص١٨٥-١٨٦)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٣ ص١٥٤-١٥٥).

٩٥- الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٤٠٥، رقم الترجمة ٩٦٥)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص٥٣٨، رقم الترجمة ١٥٦٦)؛ ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٨٢)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٥٢).

٩٦- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٨٥)؛ المقري: **نفح الطيب**

١٠٤- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٤٨٤).

١٠٥- **المصدر نفسه** والصفحة نفسها.

١٠٦- **المصدر نفسه** (ص٥١٥).

١٠٧- ابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق الأستاذ فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥ (ص٩٢،٩٧-٩٨).

١٠٨- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٤٩٢).

١٠٩- **المصدر نفسه** (ص٤٨٦-٤٨٧).

١١٠- **المصدر نفسه** (ص ٤٨٩-٤٩٠).

١١١- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٥٠).

١١٢- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٨٥). وقد ترجم له الحميدي في **جذوة المقتبس** (ص٢٠٨-٢٠٩، رقم ٤٢١) والضبي في بغية الملتمس (ص٢٨٦ رقم ٧١٥). وذكره المقري في **نفح الطيب** (ج٤ ص١٥٤) باسم "خلف بن عياش الزهراوي".

١١٣- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٤٩٣-٤٩٥).

١١٤- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٨٤)؛ الحميدي: **جذوة المقتبس** (ص٢٢٥، رقم ٤٥٢)؛ الضبي: **بغية الملتمس** (ص٣٠٠، رقم ٧٦٧).

١١٥- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٥٠٠).

١١٦- **المصدر نفسه** (ص٥١٩).

١١٧- **المصدر نفسه** (ص٥٠١-٥١٤).

١١٨- ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٥٢١-٥٢٢).

١١٩- ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢ (ج١ ص٣-٤).

١٢٠- ترجمة ابن البيطار في: ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء** (ص٦٠١-٦٠٢)؛ ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات** (ج٢ ص١٥٩-١٦٠)؛ السيوطي: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧-١٩٦٨، (ج١ ص٥٤٢)؛ المقري: **نفح الطيب** (ج٣ ص٤٢٩-٤٣٠).

١٢١- السويسي: **العلوم العربية في الأندلس** (ص٥١٦).

١٢٢- المقري: **نفح الطيب** (ج٤ ص١٣٤).

١٢٣- ابن حزم: **رسائل ابن حزم الأندلسي** (ج٢ ص١٨٦)؛ المقري: نفح الطيب (ج٤ ص١٥٥).

العلاقات اليابانية مع الشرق العربي ١٩٤٥ـ١٩٨٢م

مقدمة:

من الصعوبة على المرء في عالم اليوم أن يتصور اقتصاداً عالمياً بدون اليابان، الدولة الآسيوية الشرقية الوحيدة بين مجموعة الديموقراطيات الصناعية الثمان الكبرى التي فرضت نفسها وبقوة على الاقتصاد العالمي، وتقود التجمّع الاقتصادي الضخم لمنطقة آسية المحيط، الهادي الذي يشهد تحولاً راديكالياً. ويتوقع المراقبون أن يفوق الناتج القومي الإجمالي لدول آسية مجتمعة بما فيها اليابان طبعاً مع نهاية عام ٢٠٠٠م الناتج القومي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية وأوربة. هذا الوضع الذي دفع الكثير من علماء السياسة والاقتصاد إلى الحديث عن بداية عصر آسية المحيط الهادي، ورجال الاقتصاد وقادة التجارة وأن منطقة آسية المحيط الهادي ستحل محل الغرب كمركز للنمو الاقتصادي في القرن الحادي والعشرين.

اليابان الدولة الآسيوية التي تحولت خلال خمسين سنة من بلد دمَّرتها الحرب إلى ثاني أقوى دولة اقتصادية في العالم، بعد الولايات المتحدة الأمريكية، تلزم كل مؤرخ بالنظر إلى بروزها كحقيقة تاريخية حتمية وتدفعه بالتوقع بأن تكون المرشد والقائد الجديد لمركز آسية للاقتصاد العالمي في القرن القادم.

وعلى الرغم من وجود بعض القواسم المشتركة بيننا نحن العرب واليابانيين، أهمها وجودنا في محيط جغرافي واحد هو المحيط الآسيوي، الذي يعد المركز الرئيسي للنشاط الاقتصادي الياباني، فإنّ العلاقات العربية-اليابانية، لم تصل اليوم إلى المستوى المطلوب، وحتى الدراسات العربية التي تتناول هذه القضية تكاد تكون معدومة.

من هنا محاولتي المتواضعة في سدّ بعض الفراغ في المكتبة العربية.

أولاً- طبيعة العلاقات الاقتصادية اليابانية مع الشرق العربي حتى أزمة النفط ١٩٧٣م:

يجمع علماء العلاقات الدولية بما فيهم اليابانيون منهم على أنه ليست هناك إجابة محددة على سؤال، متى بدأت الاتصالات بين اليابان والشرق العربي؟ هناك شواهد تؤكد على انه وقبل أن تصبح (إيدو) عاصمة اليابان في القرن السابع عشر لوحظت اتصالات مستقلة بين رجال الدين اليابانيين، والعرب والإيرانيين. غير انه لا يجوز القول أن هذه هي بداية التبادل بين الشرق العربي واليابان (١).

فيما يتعلق بدراسة الشرق العربي في اليابان يمكن القول: أنه وبالتوافق مع ما يطرحه الأستاذ الدكتور كوباياسي هاوزيمي فقد جرى الحديث في الأدب الياباني في عصر (نار) في القرن الثامن الميلادي للمرة الأولى عن مبشرين إسلاميين من أصول عربية. حتى أنَّ اليابانيين كانوا يجهلون حتى أواسط القرن التاسع الوضع الجغرافي لمنطقة الشرق العربي (٢).

وقد شهد الشرق العربي أول نشاط دبلوماسي ياباني في آذار- نيسان ١٩٣٩م حيث قام يوكوياما ماسايوكي، السفير السابق لليابان في القاهرة بزيارة المملكة العربية السعودية، وعُدَّت رداً على الزيارة التي قام بها السفير السعودي حافظ وهاب في القاهرة لليابان. وقد كلف يوكوياما ماسايوكي بمهمة سرية تهدف إلى الإطلاع على مدى إمكانية الحصول على امتيازات للتنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية، التي تمَّ اكتشاف النفط فيها عام ١٩٣٣م، ودخل في تشكيلة الوفد الذي ترأسه يوكوياما ماسايوكي المهندس ميتسوتي توموفوسا مندوباً عن وزارة الصناعة والتجارة الخارجية اليابانية، وناكانو إيذزيرو الموظف في القنصلية اليابانية في مصر. وبعد مرور خمسة عشر عاماً على هذه الزيارة أي في عام ١٩٥٤م، أقيمت العلاقات الدبلوماسية بين اليابان والمملكة العربية السعودية (٣).

أما ظهور اليابان الاقتصادي في الشرق العربي فيعود إلى مرحلة ما قبل بدء أزمة النفط. وبدأ هذا الظهور في صورة الوساطة التجارية والتوقيع على اتفاقيات امتيازات للتنقيب عن النفط واستخراجه.

التجارة الخارجية.البداية الأولى:

حتى الحرب العالمية الثانية، دخلت المنطقة العربية في مجال الاهتمامات السياسية والاقتصادية للدول الغربية الكبرى بريطانية وفرنسة وألمانية وإيطالية وبالطبع الولايات المتحدة الأمريكية. لكن وعلى الرغم من ازدياد الثقل النوعي للوجود الاقتصادي والسياسي لهذه الدول في المنطقة وتمكنها من إضعاف الصلات الاقتصادية بين اليابان وهذه المنطقة، ظلت عاجزة عن الحيلولة دون وصول المنتجات والبضائع اليابانية وتدفقها إلى أسواق دول المنطقة العربية، وبخاصة خلال الثلاثينيات. وكانت عملية غزو البضائع اليابانية لهذه الأسواق من القوّة بمكان، وأعطت الأساس للعالمين الروسيين س. باشكايف وفاتولينا، للحديث عن عملية غزو اقتصادي ياباني للمنطقة في تلك المرحلة (٤). وتركَّزت عملية الغزو هذه على أساس تصدير البضائع اليابانية الجيدة والرخيصة والقادرة على منافسة البضائع الأجنبية الأخرى المستوردة من الدول الغربية إلى بلدان الشرق العربي، وتمكنت خلال فترة وجيزة من كسب ثقة المستهلكين وإعجابهم بها أكثر من البضائع البريطانية والفرنسية والألمانية والإيطالية. وتركَّزت حرب المنافسة بشكل خاص في مجال المنتجات النسيجية وتصديرها إلى مصر وسورية والعراق. وتمكَّنت اليابان من إغراق الأسواق المصرية والسورية والعراقية وأسواق دول الشرق العربية الأخرى بالمنتجات النسيجية الأرخص من مثيلاتها المنتجة في بريطانية وفرنسة وإيطالية، وحرصت الشركات اليابانية دائماً على تقديم الأنواع التي تتناسب وأذواق السكان المحليين.

في محاولة منها لوقف عملية غزو البضائع اليابانية اتخذت الدول الغربية إجراءات

مختلفة، ومارست بريطانية الضغط على الحكومة المصرية وطالبتها برفع نسبة الضرائب الجمركية على البضائع اليابانية. وفي عام ١٩٣٣م رفعت هذه الضريبة على البضائع اليابانية من ٨٠% إلى ٢٢٠%، في حين لم تتجاوز الضريبة المترتبة على مثيلاتها من البضائع المستوردة من بريطانية ١٨%. ومع ذلك لم يؤثر هذا الإجراء على جعل اليابان تحتل مرتبة الدولة الثانية في مجال التصدير إلى مصر بعد بريطانية، وجعلها أكبر المنافسين قوة وقدرة على خرق الأسواق المصرية (٥).

إذاً يمكننا الحديث هنا عن النجاحات المحددة التي حققتها اليابان في أسواق منطقة الشرق العربي في النصف الأول من الثلاثينيات. غير أن العلاقات التجارية مع بلدان هذه المنطقة لم تكن مبنية على أساس اتفاقيات تجارية مبرمة، ولم تشكل البضائع اليابانية في عام ١٩٣٧م على سبيل المثال أكثر من ٢% من إجمالي البضائع المستوردة إلى أسواقها في حين بلغت نسبة الواردات اليابانية منها ٢,٣% (٦).

في منتصف كانون الثاني ١٩٥٣م، عقد في باريس اجتماع لسفراء اليابان لدى الدول الأوربية ودول الشرق العربي جرى خلاله إعداد خطة لتطوير التجارة بين اليابان وبلدان الشرق العربي، أعلنت وسائل الإعلام الأجنبية عن قرار وزارة الخارجية اليابانية بإحداث قنصلية خاصة وبعثة دائمة في باريس لتحقيق هذه المهمة (٧). في شباط- آذار ١٩٥٣م، قام وفد خاص مكوَّن من احد عشر مندوباً يمثلون أكبر الشركات اليابانية بإجراء مباحثات تجارية في مصر وسورية ولبنان والعراق، وحققت نجاحات كبيرة. وفي حزيران من العام نفسه وقعت اليابان على اتفاقية تجارية مع سورية دخلت حيز التنفيذ في ١٦ آب ١٩٥٣م. وفي العام نفسه، أيضاً أقامت اليابان العلاقات الدبلوماسية مع الأردن والتي كانت قُطِعت في عام ١٩٤٥م، وأعيد تشكيل البعثة الدبلوماسية اليابانية في عمان ١٩٥٥م، والتي وصلت إلى مستوى السفارة (٨).

في عام ١٩٥٦م، جرى تدشين مبنى السفارة اليابانية في مصر. وفي عام ١٩٥٧م،

عين تودايوتاكا مستشاراً لليابان في المملكة العربية السعودية وفي العام نفسه، جرى افتتاح مقر البعثة الدبلوماسية اليابانية في الرياض التي تحولت في العام التالي إلى سفارة وفتحت المملكة العربية السعودية سفارتها في طوكيو (٩). وبعد استقلال الكويت في حزيران ١٩٦١م اعترفت اليابان بها دولة مستقلة في تشرين الثاني من العام نفسه، وأقامت معها علاقات دبلوماسية رسمية (١٠). وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٦٧م، واعترفت اليابان باليمن الجنوبي تبعه افتتاح السفارة اليمنية الجنوبية في طوكيو. وفي عام ١٩٧٤م فتحت اليابان سفارتها في عدن (١١).

في حزيران عام ١٩٧١م، أقامت اليابان العلاقات الدبلوماسية مع سلطنة عمان في حين بقيت الاتصالات بين البلدين ولسنوات عديدة تدار من قبل السفارة اليابانية في المملكة العربية السعودية.

وفي عام ١٩٧٩م، افتتحت سلطنة عمان سفارتها في طوكيو وفي تشرين الأول ١٩٨٠م افتتحت السفارة اليابانية في مسقط (١٢).

بعد حصول قطر على استقلالها في التاسع من آب ١٩٧١م، اعترفت اليابان في أيلول من العام نفسه بها دولةً مستقلة. وفي أيار ١٩٧٢م أقامت علاقاتها الدبلوماسية معها.

وافتتحت قطر سفارتها في طوكيو في كانون الثاني ١٩٧٣م، وفي أيار ١٩٧٤م افتتحت اليابان سفارتها في قطر (١٣). وفي الثاني من كانون الأول ١٩٧١م، اعترفت اليابان باستقلال دولة الإمارات العربية التي افتتحت سفارتها في طوكيو عان ١٩٧٣م، في حين افتتحت السفارة اليابانية في أبو ظبي في نيسان ١٩٧٤م. (١٤) وفي عام ١٩٧٢م، أقامت اليابان العلاقات الدبلوماسية مع البحرين (١٥).

وسعت اليابان بشكل دائم إلى إقامة علاقات تجارية طيبة مع بلدان الشرق العربي وفي كانون الأول ١٩٥٩م وقَّعت على اتفاقية تجارية مع مصر، وفي ٣ آذار ١٩٦٠م على اتفاقية أخرى مع الأردن وثالثة مع العراق في ٧ أيلول ١٩٦٤م (١٦). وكانت مدة كل

اتفاقية من هذه الاتفاقيات سنة واحدة قابلة للتجديد بشكل تلقائي في حال عدم اعتراض أي من الجهتين الموقعتين عليها كتابياً أو شفهياً قبل ٣-٦ أشهر من موعد بداية التجديد التالية. (١٧) وكان البند المتعلق بنظام توسيع مجالات التعاون وإجراء المشاورات المتبادلة من أهم البنود الواردة في هذه الاتفاقيات. ومن المهم الإشارة هنا أيضاً إلى أن إقامة العلاقات الدبلوماسية بين اليابان وهذه الدول وافتتاح السفارات في عواصمها، ساعدت إلى حدٍّ بعيد في زيادة التبادل التجاري بين هذه البلدان واليابان بالمقارنة مع سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية. وازدادت قيمة صادرات دول الشرق العربي إلى اليابان عام ١٩٥٧م بالمقارنة مع مثيلاتها عام ١٩٣٨م بمقدار ١٥ مرة، في حين تضاعفت قيمة وارداتها من اليابان خلال المرحلة نفسها بمقدار خمس مرّات (١٨) وتضاعفت قيمة الصادرات اليابانية إلى دول الشرق العربي بين عامي ١٩٥٠-١٩٧٠م بمقدار ٣٥ مرّة في حين تضاعفت قيمة وارداتها من هذه الدول بمقدار ٦٦ مرة.

وتغيّر الميزان التجاري، فإذا كانت الصادرات اليابانية قبل الحرب العالمية الثانية إلى بلدان الشرق العربي تزيد عن الواردات القادمة منها إلى اليابان، فإن الوضع انعكس تماماً بعد الحرب العالمية الثانية وغدا الميزان التجاري في صالح دول الشرق العربي. وفي عام ١٩٥٣م، زادت قيمة الصادرات من دول الشرق العربي بمقدار ٣,١ مرة عن قيمة الواردات اليابانية إليها، ووصلت عام ١٩٧٠م إلى ٣,٧ مرّة. ويعود السبب في ذلك إلى استيراد اليابان كميات كبيرة من النفط من هذه البلدان.

والملاحظ في تجارة اليابان مع بلدان الشرق العربي المصدرة للنفط، ظاهرة الزيادة الكبيرة في الواردات على حساب الصادرات، في حين لوحظ العكس تماماً في التجارة مع بلدان الشرق العربي غير المصدرة للنفط كسورية والأردن ولبنان (١٩). وإذا كانت سورية ومصر والعراق الدول الرئيسية المستهلكة للبضائع والمنتجات اليابانية في الشرق العربي حتى الحرب العالمية الثانية، فإنّ هذا الوضع تغير في الخمسينات،

وغدت المملكة العربية السعودية والكويت والدول العربية الأخرى المصدرة للنفط المستهلك الرئيسي للبضائع اليابانية.

بعد عام ١٩٥٠م، احتلت العراق المرتبة الأولى في مجال الاستيراد من اليابان، واستمر الوضع كذلك حتى عام ١٩٥٥م. وبعد عام ١٩٥٥م، احتلت محله المملكة العربية السعودية والكويت. وفي عام ١٩٦٥م بلغت حصة العراق ٨,٥% من الصادرات اليابانية إلى آسية الغربية في حين بلغت حصة المملكة العربية السعودية ١٧% والكويت ١٤% (٢٠). واستمرت عملية تصاعد دور الدول المنتجة للنفط في ابتلاع الصادرات اليابانية وبخاصة من البضائع الصناعية الاستهلاكية.

شكَّل النفط المادة الأساسية من واردات اليابان من بلدان الشرق العربي المنتجة له، وفي عام ١٩٥٣-١٩٥٥م شكَّل النفط ٧٣%، وفي عام ١٩٦٥م ٩٦,٥%، وفي عام ١٩٧٠م ٩٤,٤% من إجمالي الواردات اليابانية في غرب آسية (٢١). وكانت المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين والعراق في الخمسينات والستينات المصدِّر الأساسي للنفط بالنسبة لليابان، وفي النصف الثاني من الستينات أصبحت إيران والمملكة العربية السعودية والكويت المصدر الأساسي للطاقة لليابان. وفي عام ١٩٦٨م على سبيل المثال، قدَّمت هذه الدول ٨٣% من حاجة اليابان من النفط (٢٢). وشغل القطن المرتبة الثانية من حيث قيمته في الواردات اليابانية من بلدان الشرق العربي وبخاصة من مصر والسودان وسورية. وفي النصف الثاني من الخمسينات، شكَّلت قيمة الواردات القطنية ١٦% من القيمة الإجمالية للواردات (٢٣).

وفي مجال التصدير شغلت اليابان في النصف الثاني من الستينات ومطلع السبعينات مرتبة الشريك الأول للمملكة العربية السعودية، وشكل النفط والمشتقات النفطية القسم الأكبر منها، بالإضافة إلى المعادن الملونة والجمبري المثلَّج. وكانت الكويت الشريك الثاني لليابان. وشكَّل النفط والمشتقات النفطية أهم البضائع التي صدَّرتها الكويت

لليابان بالإضافة إلى المعادن الملونة والمعادن السوداء والجمبري المثلّج. أما بالنسبة لبقية بلدان الشرق العربي فقد احتلت اليابان المرتبة الرابعة في الشركة التجارية مع سورية عام ١٩٦٧-١٩٦٨ والمرتبة الخامسة عام ١٩٧٠م على سبيل المثال (٢٤).

اما ما يخص الصادرات اليابانية إلى هذه البلدان خلال الخمسينات والستينات فكانت في الأساس من السلع الاستهلاكية التي تنتجها الصناعات الخفيفة وبخاصة الصناعات النسيجية التي شكّلت عام ١٩٥٠م ٦٠%، وفي عام ١٩٥٥م ٥٧%، وفي عام ١٩٦٠م ٤٩%، وفي عام ١٩٦٥م ٣٢%، من صادرات اليابان إلى هذه البلدان (٢٥).

بهذا الشكل يمكن ملاحظة وجود انخفاض متزايد في حجم الصادرات النسيجية وبضائع الصناعات الخفيفة في تركيبة الصادرات اليابانية إلى دول الشرق العربي في حين تزايدت صادرات السيارات والصناعات المعدنية بخاصة إلى الدول المصدرة للنفط منها. وإذا كانت حصة السيارات والعُدَد الصناعية قد بلغت ٢٠% عام ١٩٦٠م (٦% من مجمل الصادرات اليابانية إلى دول الشرق العربي)، فقد وصلت عام ١٩٦٥م إلى ٢٨% وشكّلت ١٨% من مجمل الصادرات اليابانية إلى هذه البلدان (٢٦).

في عام ١٩٦٥م حصل تغير جذري في هيكلية الصادرات اليابانية إلى بلدان الشرق العربي، انعكس في زيادة حجم المعدات الصناعية الثقيلة والصناعات الكيماوية، بشكل زاد فيه عن قيمة الصادرات من الصناعات الخفيفة. وفي عام ١٩٦٧م شكّلت منتجات الصناعات الثقيلة والكيماوية ٥١,٤%. وفي العام التالي ٥٣,٥% ووصلت عام ١٩٦٩م إلى ٦٠,٧% من قيمة الصادرات اليابانية إلى هذه البلدان (٢٧).

جاء هذا التغير بالطبع لصالح اليابان، وكان نتيجة لبدء عملية التصنيع في هذه البلدان من جهة، وبسبب تزايد حدة الصراع على أسواق هذه البلدان بين الدول الرأسمالية الكبرى، في ظروف الثورة العلمية والتقنية الكبرى التي يعيشها العالم من جهة أخرى.

في عام ١٩٦٥-١٩٧٠م شغلت اليابان المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية

في مجال الصادرات إلى المملكة العربية السعودية. وفي عام ١٩٦٥م كانت اليابان ثالث دولة مصدّرة للبضائع إلى الكويت بعد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية. غير أنها سبقت بريطانية عام ١٩٦٧م واحتلت المرتبة الثانية. وفي عام ١٩٧٠م سبقت الولايات المتحدة الأمريكية واحتلت المرتبة الأولى [٢٨].

وانتقلت اليابان عام ١٩٦٥-١٩٧٠م من مرتبة الدولة الثامنة إلى المرتبة السادسة في مجال تصدير البضائع إلى سورية [٢٩].

تجدر الإشارة هنا إلى أن العلاقات التجارية بين بلدان الشرق العربي والدول الرأسمالية الغربية تأثرت بدرجة كبيرة نتيجة عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧م وبخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية وألمانية الغربية، وأدى ذلك إلى ازدياد أهمية اليابان ودورها في العلاقات التجارية مع بلدان الشرق العربي. كما أثرت مسألة إغلاق قناة السويس بسبب هذا العدوان بدرجة معينة على العلاقات التجارية مع اليابان، وزادت من أهميتها. وفي مجال تصدير أنواع معينة من البضائع إلى بلدان الشرق العربي، احتلت اليابان مكانة مرموقة. وهكذا أصبحت اليابان المصدّر الرئيسي للمعدات والأدوات الإلكترونية إلى الأردن ولبنان بين عامي ١٩٦٨-١٩٧٠م على سبيل المثال [٣٠]. والسيارات والإطارات والكتّان الصناعي والصناعات الإلكترونية وأدوات التسجيل وأجهزة الراديو إلى سورية [٣١]. كما صدّرت هذه الأنواع من البضائع أيضاً إلى الأردن ولبنان والمملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى الأجهزة التلفزيونية والحرير الصناعي والكتان والأدوات المنزلية المختلفة بما فيها الزجاجية منها [٣٢].

وهناك العديد من الأدلة التي تثبت أن ازدياد الحضور الاقتصادي وبخاصة التجاري لليابان في دول الشرق العربي كان في غالب الأحيان على حساب مواقف الدول الرأسمالية الغربية، وشغلت مكانها في الكثير من الأحيان في مجال تصدير أنواع

كثيرة من البضائع إلى المنطقة. وفي كل عام كان الموقف الياباني يزداد قـوّة، وزاد عدد أنواع البضائع التصدير اليابانية إليها (٣٣).

تمكنت اليابان من الحصول على هذا الموقع المتقدم والهام في علاقاتها التجارية مع دول الشرق العربي بفضل المنافسة التي خاضتها مع الدول الرأسمالية الغربية. غير أن اليابان واجهت في تلك المرحلة عدد من المشاكل من ضمنها مشكلة العجز في الميزان التجاري مع دول الشرق العربي لصالح اليابان. واضطرت طوكيو إلى اتخاذ إجراءات محددة للتخفيف من هذه الظاهرة التي يعني استمرارها إلحاق الأذى بوضع التجارة اليابانية مع هذه الدول، وطالبت بلدان الشرق العربي اليابان باستيراد البضائع التقليدية التي تنتجها إلى جانب النفط. ففي عام ١٩٦٩م وبسبب العجز الكبير في الميزان التجاري العراقي مع اليابان اضطرت بغداد إلى منع استيراد البضائع الاستهلاكية اليابانية مما أدى إلى انخفاض في مستوى العمليات التجارية بين البلدين بنسبة ٣٧% عام ١٩٧٠-١٩٧١م بالمقارنة مع مثيلاتها للعام ١٩٦٩-١٩٧٠م (٣٤).

لم يكن العراق الدولة الوحيدة التي اتخذت مثل هذه الإجراءات بل تبعته العديد من دول الشرق العربي، الأمر الذي اضطر اليابان إلى تخفيض أسعار البضائع التي تصدّرها إلى دول المنطقة، بحيث أصبحت دون مثيلاتها في السوق الدولية، وقدّمت ضمانات وقروضاً طويلة الأجل، وراحت تفتح المعارض ومكاتب لشركاتها في هذه البلدان (٣٥).

وفي سبيل تفعيل علاقاتها التجارية مع دول الشرق العربي، وجّهت اليابان بعثاتها التجارية إلى هذه الدول، وكتبت مجلة "الشرق الأوسط الجديد" ما يلي: "أصبحت جميع دول الشرق الأوسط والشمال الأفريقي تشكل بالنسبة لليابان سوقاً جديدة للبضائع الاستهلاكية اليابانية ووسائط الانتاج والاستثمارات اليابانية المباشرة، ويستخدم اليابانيون هذه الإمكانيات منذ وقت مبكر، ويوجد سيل دائم من اللجان والبعثات بين اليابان وبلدان الشرق الأوسط والشمال الأفريقي" (٣٦).

ظهور الاحتكارات اليابانية في مجال استخراج النفط:

بدأ الصراع على امتلاك منابع النفط "خاصة" في عام ١٩٤٩-١٩٥٠م عندما قام رئيس شركة "نيسان أيوكافا غيسوكي بإجراء مباحثات مع حكومة المملكة العربية السعودية بغية الحصول على امتياز للتنقيب عن النفط في أراضي المملكة. غير أن هذه المباحثات انتهت بالفشل (٣٧). كما جرت محاولة أخرى عام ١٩٥٥م انتهت بالفشل أيضاً، قام بها مدير "تيكوكوسيكيو" كاسيموتو كانتارو (٣٨). غير أن اليابان استغلت ضعف العلاقات العربية مع الدول الرأسمالية الغربية أثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦م، واقترحت على الدول العربية المانحة للامتيازات النفطية شروطاً "أفضل، وأخذت نصيبها من عملية وقف الاحتكارات البريطانية- الأمريكية في إعادة تعمير وتأهيل أضخم منابع النفط في الشرق العربي. وفي شباط ١٩٥٧م، توجه رجل الأعمال الياباني ياماسيتا تارو "الذي كان يعمل حتى الحرب العالمية الثانية في بناء أبنية للسكن في منشورية وفقد كل ما لديه بسبب الحرب" إلى المملكة العربية السعودية. وفي أثناء لقائه مع المسؤولين الحكوميين في هذه البلاد، تبيَّن أن حصول اليابان على امتيازات نفطية أصبحت ممكنة. وفي نيسان من العام نفسه عاد ماسينا إلى اليابان وبدعم من ممثلي الأوساط اليابانية الفاعلة (رئيس شركة كيدانرين التي تمثل اتحاد المنظمات الاقتصادية إسيدازاكاتايدزو، ورئيس شركات النسيج (نيسين بوسيكي) ساكوراداتاكيسي وآخرين تمَّ إنشاء شركة أرابياسيكيو برأس مال قدره ١٠ مليار يَّن ياباني، وأصبح ياماسيتا أول رئيس لها) (٣٩).

في تموز ١٩٥٧م، توجه ياماسيتا إلى المملكة العربية السعودية لإجراء مباحثات خاصة مع حكومتها. وفي العاشر من كانون الأول ١٩٥٧م وقَّع مع حكومتها على اتفاقية تقضي بمنح اليابان امتيازات للتنقيب عن النفط واستخراجه في مساحة من الأرض تزيد مساحتها عن أربعة آلاف كم٢ داخل المياه الإقليمية السعودية، في المنطقة الواقعة بين العربية السعودية والكويت والمسماة الخفجة (٤٠).

في حزيران ١٩٥٨م، حصلت اليابان من الحكومة الكويتية على امتيازات مماثلة للتنقيب عن النفط واستخراجه، في المنطقة المجاورة في المياه الإقليمية الكويتية بعد منافسة وصراع حادين مع الشركات الاحتكارية الغربية الكبرى، والتي كان من ضمنها شركة شل وهانت انترناشيونال التي ساندتها شركة ستاندار أويل وبان أميريكان أويل [٤١]. غير أن نجاح ياماسيتا يفسر بمحاولات الأوساط الصناعية اليابانية إحداث خرق في الاحتكارات النفطية الدولية كارتيلاتها في الشرق العربي وتوقيعها على اتفاقيات وفق شروط ومبادئ جديدة تماماً في مصلحة الدول المانحة للامتيازات. وإذا كانت الاتفاقيات السابقة مع الشركات الأجنبية تتضمن الحصول على ٥٠% من الأرباح، فإن الاتفاقية الموقّعة بين اليابان والمملكة العربية السعودية رجّحت الكفّة لصالح الأخيرة، وبلغت حصّتها السنوية ٥٦% من الأرباح العامة المتصلة بعملية الإنتاج والنقل والتسويق. كما تضمّنت الاتفاقية الموقّعة مع الكويت الشروط نفسها وإعطاء الكويت ٥٧% من قيمة الأرباح الإجمالية [٤٢].

والتزمت شركة (أرابيا سيكيو) أيضاً بدفع إيجار لحكومتي المملكة العربية السعودية والكويت بقيمة مليون دولار يومياً خلال مرحلة التنقيب ومليون دولار منذ بداية إنتاج النفط [٤٣]. كما قدمت الشركة لحكومتي المملكة العربية السعودية والكويت ١٠% من قيمة سنداتها (ازدادت هذه النسبة عام ١٩٧٣م، وأصبحت ١٢,٥%) [٤٤] كما أُعطيتا الحق في بيع ١٠% من كمية النفط الخام المستخرج. وعدت قضية الحصول عل الامتيازات النفطية في الشرق العربي ذات أهمية خاصة لدخول الاحتكارات اليابانية في الاستثمارات النفطية والصناعات الكيماوية في هذه المنطقة.

وفي كانون الثاني ١٩٦٠م، تمكنت شركة (أرابيا سيكيو) من اكتشاف أول حقل للنفط في منطقة الخفجة السعودية وبلغت طاقته الإنتاجية ستة آلاف برميل يومياً، ووصلت عام ١٩٦١م إلى عشرين ألف برميل يومياً. ومنذ آذار ١٩٦١م بدأت الشركة بنقل النفط إلى اليابان وبلغت الكمية المصدّرة من هذا الموقع إلى اليابان عام ١٩٦٣م ٧.٧ مليون طن [٤٥].

وفي عام ١٩٦٣م وإلى الشمال من الخفجة تمَّ العثور على بئر ثانٍ للنفط (بئر حوت). وفي عام ١٩٦٨م، بدأ برنامج استثماره. وفي شباط ١٩٦٧م تمَّ اكتشاف بئر آخر في منطقة راتاوي. وفي بداية عام ١٩٦٨م تمَّ العثور على بئر آخر في دوري على بعد ٥٥ كم إلى الشمال من الخفجة (٤٦).

وفي السنة المالية ١٩٦١-١٩٦٢م، شكل النفط المنتج من قبل شركة أرابيا سيكيو ٣,٨% من إجمالي قيمة ما استوردته اليابان من النفط. وفي السنة المالية التالية، ارتفعت هذه النسبة إلى ٩,٧% وفي السنة المالية ١٩٦٣-١٩٦٤م وصلت إلى ١٣,٦% وفي السنة المالية ١٩٦٤-١٩٦٥م ١٣,٤% وفي السنة المالية التالية انخفضت إلى ١٢,٦% (٤٧).

ووصلت كمية النفط التي أنتجتها شركة النفط اليابانية أرابيا سيكيو عام ١٩٧٠ إلى عشرين مليون طن من النفط الخام صُدّر ٩٠% منها اليابان (٤٨). بهذا الشكل تكون الشركة قد لعبت دورها في استقرار عملية إمداد اليابان بالنفط الخام وفي توفير العملات الصعبة اللازمة لتأمين النفط.

في بداية عام ١٩٧٠م، قدمت شركة أرابيا سيكيو من مناطق إنتاجها ما يقرب من ١١% من مجموع الكمية التي استوردتها اليابان من النفط الخام (٤٩). وتزايدت بشكل خاص كمية النفط المستخرجة من قبل الشركة في المملكة العربية السعودية. غير أن النفط الذي تنتجه المنطقة التي تعمل بها أرابيا سيكيو يتميَّز بوجود كميات كبيرة من الشوائب، في وقت لا تمتلك شركات تكرير النفط اليابانية كافة الإمكانيات والشروط اللازمة لتكريره. وفي سبيل حل هذه المشكلة التي وقعت بين شركة أرابيا سيكيو ومجموعة الشركات اليابانية، بما فيها شركة سوميتومو كاغاكو وشركة طوكيو دينكي سيريوكو وشركة تواسيكيو وشركات أخرى، تمَّ التوقيع على اتفاقية مدتها أربعين عاماً، تقضي بإنشاء شركة خاصة (فودزي سيكيو) لاستخراج نفط عالي الجودة.

وتطلب قضية إنشاء هذه الشركة تكرير ٣٠% من إنتاجها النفطي في مصفاة خاصة لتكرير هذا النوع من النفط [٥٠].

وفي عام ١٩٦٦م، أرسلت شركة ميتسوبيشي سيكيو بعثة خاصة إلى أبو ظبي بقصد دخول حلبة المنافسة على امتيازات النفط في هذه البلاد مع بقية الشركات النفطية الدولية الأخرى، وتمكنت من الحصول على امتياز للتنقيب عن النفط في مساحة قدرها ١٥,٦ ألف كم٢ لصالح شركتها الخاصة تويوتاسيكيو، وبدأت أعمالها مباشرة [٥١]. وقد أوضحت هذه الاتفاقية بجلاء أن اليابان على استعداد لاستخراج النفط من منابعه وتصديره من قِبَل شركاتها الخاصة. وفي سبيل تعميق الاحتكارات اليابانية في مجال التنقيب عن النفط واستثماره في بلدان منطقة الخليج العربي سعت الاحتكارات اليابانية إلى تحقيق مصالح السلطات المحلية في هذه البلدان من خلال التعاون البنَّاء معها. وأدخل إلى الاتفاقيات والامتيازات الموقَّعة التزام حكومات الدول المنتجة للنفط بتسخير الاتفاقات من أجل امتلاك الامتيازات على مقربة من شواطئ أبو ظبي لمدة ٤٥ عاماً لصالح الشركات اليابانية، ومنها شركة (ماروزين سيكيو) و (دايكيو سيكيو) و (نيبّون ماينينغ) التي أسست عام ١٩٦٨م شركة النفط المعروفة (أبو ظبي سيكيو). وقد وُزِّعَتْ أسهم هذه الشركة بالتساوي بين المالكين الثلاثة. وراعت مسألة امتلاك الدولة لـ ٥٠% من أسهمها بعد اكتشاف النفط [٥٢]. وحصلت شركة أبو ظبي سيكيو على الامتياز الذي تخلَّت عنه شركة (أبو ظبي مارين إرياز) المعروفة باسم (أدما) [٥٣].

وفي عام ١٩٦٩م، عثرت شركة أبو ظبي سيكيو على نفط عالي الجودة يحتوي على كميات قليلة جداً من الشوائب في منطقة مابوراز. وفي عام ١٩٧٣م، أنتجت ثلاثين ألف برميل يومياً والذي ارتفع إلى ١٠٠ ألف برميل يومياً فيما بعد [٥٤].

وحصلت مجموعة الشركات السبع (ميتسوبيشي) في أبو ظبي في عام ١٩٦٨م على

امتياز للتنقيب عن النفط في منطقة مساحتها ٢٥١٠ ميل مربع لمدة ٣٥ سنة مبعدة بذلك الشركة الأمريكية (غيتي أويل) وشركة (أميريكان إندبيندنت) والشركة الإيطالية (أجيب). وتعهدت الشركات اليابانية في السنوات الثماني الأولى برصد ٢٤ مليون دولار للكشف والتنقيب ودفع ضمانات تصل إلى ٧٥ ألف دولار عن كل سنة تسبق عملية اكتشاف النفط. وفي حال البدء بتصدير النفط الذي سيجري استخراجه ترفع إلى ١٠٠ألف دولار. وأعطيت حكومة أبو ظبي الحق في أن تمثّل في مجلس مدراء الشركة بممثل خاص عنها خلال ستة اشهر من تاريخ العثور على النفط، وامتلاك ٥٠% من الأسهم. كما تضمنت الاتفاقية التزام الجانب الياباني ببناء مصفاة لتكرير النفط عندما يصل لإنتاج إلى عشرة ملايين طن في العام، ومجمّع للصناعات البيتروكيماوية عندما يصل الإنتاج إلى ١٥ مليون طن (٥٥). وفي عام ١٩٦٨م، امتلكت الشركات اليابانية (سوميتومو) و م(ميتسوبيشي) , (إداميتوسوكوسان) وشركات أخرى ٤٠% من رأس المال الإجمالي لشركة النفط الفرنسية (إراب) التي تعمل في العراق، وتمتلك امتيازاً للتنقيب عن النفط في منطقة مساحتها ١٠,٨ ألف كيلومتر مربع (٥٦).

وحصلت الشركة اليابانية التي أقيمت من قبل ١٧ شركة من الشركات اليابانية تحت اسم (قطر سيكيو) في آذار ١٩٦٩م على امتيازات للتنقيب عن النفط وإنتاجه على الشواطئ القطرية، بعدما أوقفت الشركات البريطانية والأمريكية (شل) و (كونتيننتال أويل) أعمال التنقيب في هذه المنطقة بسبب عدم تمكنها من اكتشاف النفط فيها. واندفعت الشركة اليابانية المذكورة بحماس للعمل نظراً لامتلاكها أدوات وتقنيات متطورة جداً في مجال التنقيب عن النفط جعلت آمالها في العثور عليه كبيرة جداً (٥٧).

في ٢٩ كانون الأول ١٩٦٩م، وقّعت الشركة اليابانية المعروفة باسم (كيتاسوماتراسيكيو كايهاتسو) على أول اتفاق لها مع شركة النفط المصرية (يجيبشين جنرال بتروليوم كاربريشين) للمشاركة في التنقيب عن النفط في "الشرق الأوسط والشمال الأفريقي". وتضمّن الاتفاق تخصيص ٤٠% من النفط الخام المنتج لتغطية

نفقات (كيتاسوماترا سيكيو كايهاتسو) في حين يوزع القسم الباقي على الشكل التـالي: ٦٨,٥% للشركة المصرية يجبيشين جنرال بتروليوم كاربريشين و ٣١,٥% لصـالح الشركة اليابانية. وإذا بلغت كمية النفط المستثمرة أكثر من خمسين ألف برميل يوميـاً تصبح حصة الشركة المصرية ٧٥% وحصة الشركة اليابانية ٢٥% (٥٨).

في عام ١٩٧٠م وظفت أموال يابانية في الشركتين النفطيتيـن البريطانيـة (بريتـش بيتروليوم) والفرنسية (فرانسيز دي بيترول) وفي الشركة اليابانية (أبو ظبي سـيكيو) التي تشارك في الامتيازات النفطية في المياه الواقعة بين قطر وأبو ظبـي، وبلغـت حصة كل شركة من الشركات الثلاث ٣٣,٣% من الأسهم (٥٩).

حققت الشركة اليابانية نجاحات كبيرة في تكريـس تأثيرهـا وتعميقـه فـي مجـال الاستثمارات النفطية في الشرق العربي بفضل تشكيل الشركة اليابانية (كايفاي سـيكيو كايهاتسو) من قبل ٢٥ شركة يابانية.

وفي عام ١٩٧٣م، امتلكت شركة (بريتش بيتروليوم) نسبة نسبة ٢٢,٥% من أسـهم شركة (أبو ظبي مارين إيرايزا) والتي امتلكت حكومة أبو ظبي في نهاية عام ١٩٧٤م ٦٠% من إجمالي أسهمها (٦٠). وبالتالي لا يسعى اليابانيون إلى التغلغل فـي منطقـة الخليج العربي، بل لقد أصبحوا هناك بالفعل على حد تعبير أحـد رجـال الأعمـال اليابانيين (٦١).

ثانياً- تصدير رأس المال الخاص و المساعدات التقنية:

وجدت الشركات اليابانية لنفسها قناة أخرى للعبور إلى عالم الاحتكارات النفطية فـي منطقة الشرق العربي وذلك تمثل بتصدير رؤوس الأموال الاستثمارية إليـها. ومـن منطلق الحرص الشديد على تكريس قدراتها وتوسيعها في منطقة الشـرق العربـي، قامت الاحتكارات اليابانية في الخمسينات من جديد بالدخول في الصراع مـن اجـل

المشاركة في المشاريع التي يمكن أن تستوعب رؤوس الأموال الاستثمارية اليابانية، وبفضل ذلك تراكمت أرباح الشركات الاحتكارية اليابانية وتضاعفت إمكاناتها في الأسواق الدولية. وفي عام ١٩٦٨م، زادت كمية رؤوس الأموال الاستثمارية المصدرة عن كمية رؤوس الأموال الواردة إلى اليابان من دولة دائنة إلى دولة مدينة (٦٢).

ساعدت عدة عوامل في زيادة الاستثمارات الاقتصادية الخارجية اليابانية ودفعها قُدماً. نذكر منها نقص الخامات والموارد الطبيعية داخل اليابان نفسها والحاجة الماسة للحصول عليها من مصادرها في الخارج ونقص اليد العاملة، وزيادة القيمة الاسمية للخطط المعدة، وتلوّث الوسط المحيط، وقلة الأراضي اللازمة لبناء المصانع والمعامل في اليابان، وضعف المجالات الاستثمارية في البلدان النامية، وإقامة "أسواق حرّة وعوامل أخرى.

تزايدت وتيرة تصدير رؤوس الأموال الاستثمارية من اليابان بسرعة كبيرة. وخلال السنوات العشر الأولى من عملية التصدير اليابانية هذه إلى دول الشرق العربي، شغلت المكان الأول من حيث الحجم بين الاستثمارات اليابانية في الخارج، وتوزّعت هذه الاستثمارات بين السنتين الماليتين ١٩٥١/١٩٥٢-١٩٦٢/١٩٦٣م على الشكل التالي:

١٥٨ مليون دولار في الشرق العربي، أي ما يعادل ٢٩,٩% من مجموع الاستثمارات اليابانية في الخارج.

في وقت تركز فيه ١٥١ مليون دولار في أمريكة الوسطى والجنوبية، شكّلت ٢٨,٧%.

وفي أمريكة الشمالية ١١٢ مليون دولار أي ما يعادل ٢١,٢%.

وفي آسيا ٩١ مليون دولار شكّلت ١٧,٣% من إجمالي الاستثمارات اليابانية في الخارج (٦٣).

وشهدت دول الشرق العربي خلال تلك المرحلة تسع حالات وظفت فيها الأموال الاستثمارية اليابانية ثلاث منها في مجال الاستثمارات النفطية بلغت قيمتها ١٥٧,٢ مليون دولار، وخمسٍ منها في مجال التجارة وواحدة في مجال الضمانات المالية [٦٤] وبذلك تكون نسبة ٩٩,٥% من إجمالي الاستثمارات اليابانية في المنطقة وظفت في مجال الاستثمارات النفطية التي قامت بها الشركة النفطية اليابانية (أرابيا سيكيو).

وفي السنوات المالية الخمس التالية ١٩٦٣/١٩٦٤-١٩٦٧/١٩٦٨م انخفضت قيمة الاستثمارات اليابانية في الشرق العربي إلى مليون دولار شكّلت ٩,٥% من إجمالي الاستثمارات اليابانية في الخارج، وُظّف منها ٨٠,٨ مليون دولار أي ما يعادل ٩٨,٢% في مجال التنقيب عن النفط [٦٥].

خلال السنوات المالية ١٩٦٨/١٩٦٩-١٩٧١/١٩٧٢م ، استثمرت اليابان في دول الشرق العربي ١٢٨ مليون دولار شكلت ٤,٣% من مجمل الاستثمارات اليابانية في الخارج في تلك المرحلة. وبلغت نسبة الأموال الموظّفة في مجال التنقيب عن النفط واستخراجه ٩٨,٨ من المبلغ المذكور [٦٦] وحتى آذار ١٩٧٢م ،ارتفع حجم رؤوس الأموال الاستثمارية اليابانية في دول الشرق العربي إلى ٣٧٠ مليون دولار، شكلت ٨,٢% من إجمالي الاستثمارات اليابانية في الخارج، وُظّف منها ٣٦٢,٤ مليون دولار في مجال الاستثمارات النفطية والصناعات البتروكيماوية شكلت نسبة ٩٧,٩% من الرقم الإجمالي [٦٧]. وبلغت الاستثمارات اليابانية في دول الشرق العربي ٢٦,٧% من إجمالي الاستثمارات النفطية اليابانية في الخارج.

وتزايد تأثير اليابان في منطقة الشرق العربي خلال تلك الفترة بسبب مشاركة الاحتكارات اليابانية في إنشاء مصانع تكرير النفط فيها. فقد بدأت شركة (تيوداكاكو كينسيتسو) في عام ١٩٦٥ ببناء أول مصفاة لتكرير النفط في جدّة في المملكة العربية السعودية، وانتهت من إنجازها في عام ١٩٦٨م، وشاركت في عام ١٩٧١م في زيادة

طاقة هذه المصفاة من ١٢ ألف إلى ٤٥ ألف برميل يومياً. وفي عام ١٩٦٦م، بنت الشركة اليابانية (نيهون كاهاتسو) في منطقة الخفجة في المملكة العربية السعودية مصفاة لتكرير النفط لصالح شركة (أرابيا سيكيو) اليابانية بقدرة إنتاجية مقدارها ٣٠ ألف برميل يومياً [٦٨].

في عام ١٩٦٩م، زادت الشركات اليابانية من طاقة الإنتاج اليومية لمصفاة تكرير النفط الأمريكية التابعة لشركة (انديبندنت أويل كامباني إنكور بوريتيد أوف كويت) من ١١٠ آلاف برميل إلى ١٤٠ ألف برميل يومياً [٦٩]. وفي عام ١٩٧٠م، انتهت الشركة اليابانية (تيودلكاتو كينسيتو) من أعمالها في زيادة القدرة الإنتاجية لمصفاة تكرير النفط التابعة للشركة الأردنية (جوردان بتروليوم ريفاينيري كامباني ليميتد). وفي عام ١٩٧١م، حصلت الشركتان اليابانية (تيوداكاكو كينيستو) و(ميتسوبيشي سيوزي) على عقد لبناء مصفاة لتكرير النفط في الرياض بطاقة ١٥ ألف برميل بقيمة قدرها ١٢٧ مليون دولار [٧٠].

ولم تكن المساعدات التقنية التي قدمت من قبل اليابان لدول الشرق العربي حتى بداية الأزمة النفطية عام ١٩٧٣م في المستوى المطلوب، وجاءت المساعدات التقنية من جانب اليابان على شكل إجراء دورات للإحصائيين من هذه الدول في المؤسسات اليابانية ذات الصلة وتوجيه الأخصائيين التقنيين وترشيد عمليات التصدير وإنشاء مراكز لإعداد الأخصائيين التقنيين في هذه الدول وإرسال المواد الضرورية والتجهيزات اللازمة لإنشاء المراكز والبعثات المختصة بالبحث والدراسة.

وحسب معطيات شهر آذار ١٩٧١م بلغ عدد الذين اتبعوا دورات تخصصية في اليابان من دول الشرق العربي والدول العربية الأخرى في الشمال الأفريقي ١٤٢٤ من اصل ١٥٠٦ العدد الإجمالي للأخصائيين الذين خضعوا لدورات في اليابان من الدول النامية بين عامي ١٩٥٤-١٩٧١م [٧١].

وأخيراً يمكن تقييم العلاقات اليابانية مع بلدان الشرق العربي كما يلي:

١- شكّلت دول الشرق العربي بالنسبة لليابان السوق الثانية في مجال التصدير، وعلى الرغم من أن الشركات اليابانية احتلت المرتبة الأولى في مجال تصدير أنواع معينة من البضائع أي دول المنطقة، لا يمكن القول بأن هذه السوق شكّلت مجالاً حيوياً بالنسبة للاقتصاد الياباني.

٢- المسألة الأهم بالنسبة لليابان هي الحصول على النفط من دول الشرق العربي. وقد تمكنت الشركات اليابانية من دخول مجال الاستثمارات النفطية فيها. غير أن القيمة الإجمالية للاستثمارات اليابانية فيها ليست كبيرة.

٣- بدأت الخطوات الأولى في مجال "المساعدات الحكومية" لدول الشرق العربي من أجل تحريك عملية إيجاد المناخ الملائم وخلق الظروف المناسبة للشركات اليابانية.

أزمة النفط والدبلوماسية اليابانية:

في مطلع السبعينات هزّت الأزمتان النفطية والاقتصادية الدول الرأسمالية، وأدتا إلى تغيرات جوهرية في تركيبة الاقتصاد الرأسمالي العالمي.

جاءت عملية تلازم الأزمتين ومحاولة الدول الرأسمالية الدفاع عن مصادر الطاقة، ومحاولة الدول المنتجة للنفط للتخلص من الرقابة الدولية على النفط لتحدث أزمة نفطية خانقة في العالم الرأسمالي. وأخذت الأزمة أبعاداً خطيرة عام ١٩٧٣م خلال وبعد حرب تشرين التحريرية مباشرة (٧٢).

وتضررت اليابان من أزمة النفط إلى حد بعيد، لأن اليابان كانت تستورد أكثر من ٩٠% من حاجاتها النفطية من المنطقة العربية. وكانت الشركات الاحتكارية النفطية الأمريكية هي التي تولت عملية تقديم النفط لليابان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

حيث سيطرت الشركات النفطية الأمريكية منذ ذلك التاريخ على عملية استثمار النفط وتسويقه في منطقة الشرق العربي. غير أنه ومنذ عام ١٩٦٠م، بدأت الشركات النفطية الأمريكية تواجه منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبيك). ومنذ عام ١٩٦٨م منظمة الدول العربية المصدرة للنفط، قد وجهت الدول المصدرة للنفط صراعها ضد محاولات السرقة المنظمة لمواردها من قبل الشركات الاحتكارية الدولية.

أدت الإجراءات التي اتخذتها الدول العربية في أيلول ١٩٧٣م والتي قضت بتخفيض كبير في إنتاج النفط إلى ارتفاع كبير في أسعار النفط ومقاطعة جزئية للدول الرأسمالية. وتضررت اليابان من هذه الإجراءات في مستوى محدد أيضاً، واضطرت اليابان في نهاية المطاف إلى اتخاذ خطوات عديدة ابتعدت فيها عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قضية الصراع العربي- الإسرائيلي. وفي نهاية علم ١٩٧٣م، وبعدما تمكنت الدول العربية من زيادة أسعار النفط بنسبة ٢٥% فرضت خطراً على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهولندة، وخفضت كميات النفط المسموح بتصديره إلى اليابان بدرجة كبيرة، وعكس ذلك تقدير البلدان العربية للسياسات اليابانية الجديدة، التي ابتعدت فيها عن خط الدول الغربية غير الصديقة فيما يخص قضية الصراع العربي- الإسرائيلي.

في العشرين من تشرين الأول ١٩٧٣م، زار سفراء تسع دول عربية (الجزائر، مصر، قطر، الكويت، العربية السعودية، السودان، لبنان، ليبية، المغرب) وزير خارجية اليابان (أهيراماسايوسي) وطلبوا من اليابان لعب دور فاعل في دعم الدول العربية، ووقف الحرب الدائرة في المنطقة. وقد أدى الحظر الذي فرضته الدول العربية على تصدير النفط من المنطقة إلى إحداث انعطاف جوهري في خط السياسات اليابانية ودورها في المنطقة لصالح الدول العربية. وأعلن وزير الخارجية الياباني في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣م، أن بلاده تأمل بأن تتوصل الدول المشاركة في الحرب بأقصى سرعة ممكنة إلى اتفاق لوقف إطلاق النار. وفي ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٣م،

عاد هوغين نائب وزير الخارجية الياباني وأكد في لقاء له في طوكيو مع سفراء الدول العربية التسع السالفة الذكر، موقف اليابان من قضية الصراع العربي- الإسرائيلي، وأعلن أن اليابان تقف ضدّ احتلال أراضي الغير بالقوة، وتؤكد تأييدها للقرار ٢٤٢ الصادر عن المجلس الأمن الدولي عام ١٩٦٧م (٧٣). الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة. وفي السادس من تشرين الثاني ١٩٧٣م، عاد نيكايدو سوسومو الأمين العام لرئاسة مجلس الوزراء الياباني أثناء شرح موقف بلاده من أحداث المنطقة، وأكد من جديد موقف بلاده من قضية الصراع العربي الإسرائيلي(٧٤).

في مطلع تشرين الثاني ١٩٧٣م، أصدرت دول السوق الأوربية المشتركة بياناً أعلنت فيه أنها تؤيد انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة. وقد شجع هذا الموقف اليابان على اتخاذ موقف أكثر تأييداً للجانب الأوربي، وقامت الحكومة اليابانية بتقديم بيان لسفراء الدول العربية المعتمدين لدى اليابان، تضمن فهم اليابان الكامل لمساعي الدول العربية في استعادة الأراضي العربية المحتلة (٧٥).

شهد الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٣م انقلاباً حاداً في موقف اليابان في علاقاتها مع الدول العربية. وفي هذا اليوم أعلنت اليابان رسمياً عن سياستها الجديدة وطالبت "إسرائيل" علانية وبوضوح تام بضرورة الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها خلال عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧م (٧٦). وجرى التأكيد في البيان الذي أدلى به نيكايدو سوسومو على أنه "وبصرف النظر عن تطور الأحداث، ستضطر اليابان إلى إعادة النظر في سياساتها تجاه إسرائيل". وتضمن البيان أربعة مبادئ أساسية كشرط لحل قضية الصراع العربي- الإسرائيلي وهي:

١- عدم شرعية احتلال الأراضي أو السيطرة عليها بالقوة.

٢- انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة خلال حرب حزيران ١٩٦٧م.

٣- احترام حريات دول المنطقة وأمن أراضي وحدود جميع دول المنطقة وضرورة ضمانها.

٤- الاعتراف بالحقوق المشروعة والثابتة للشعب العربي الفلسطيني بالتوافق مع قوانين ومبادئ الأمم المتحدة.

بهذا الشكل تكون الدول العربية قد أحسنت استغلال مسألة حظر تصدير النفط وحاجة اليابان المباشرة للنفط العربي في تغيير موقف اليابان السياسي من قضية الصراع العربي-الإسرائيلي وقبله من الجذور لصالح الدول العربية.

كانت اليابان بأمس الحاجة إلى رفع حظر النفط المفروض عليها من جانب الدول العربية بأي ثمن. وفي نهاية تشرين الثاني ١٩٧٣م، بعثت اليابان بوفد إلى المنطقة العربية برئاسة (ميكي تاكيو) نائب رئيس الوزراء لمناقشة تقديم المساعدات الاقتصادية من جانب اليابان للدول العربية. وشكّلت هذه الزيارة الحلقة الأولى من سلسلة الزيارات المستمرة لمبعوثي اليابان إلى دول الشرق العربي والتي أطلق عليها "دبلوماسية اليابان الشرق أوسطية" (٧٧).

في كانون الأول- كانون الثاني ١٩٧٤م، زار العربية السعودية والعراق والكويت وعدد آخر من دول الشرق العربي بالإضافة إلى ميكي تاكيو وزير الصناعة والتجارة الخارجية الياباني ناكاسوني ياسوهيرو. كما وجهت الدعوة إلى وزير الدولة في الإمارات العربية المتحدة وإلى عبد الحليم خدام نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية السوري آنذاك وإلى وزير النفط السعودي الشيخ اليماني لزيارة طوكيو. وبنتيجة هذه الزيارات، جرى تخفيف القيود المفروضة على تصدير النفط إلى اليابان. ومنذ كانون الأول ١٩٧٣م، عُدّت اليابان ودول السوق الأوربية المشتركة من الدول الصديقة الموالية للحق العربي، ورفع عنها حظر تصدير النفط. وخلال المباحثات التي أجرتها البعثات اليابانية، وضعت اليابان نصب عينيها هدف "إنشاء حلف روحي مع البلدان العربية" حسب تعبير ناكاسوني. وفي سبيل تحويل هذا الشعار إلى واقع ملموس

جرى تشكيل ما أصبح يعرف باسم "لجنة الطاقة" لدى وزارة الصنعة والتجارة الخارجية اليابانية والتي اكدت على ان تركيبة ميزان الطاقة الياباني لن يتغير حتى عام ١٩٨٥م، وأن اليابان ستستورد ٦٠% من حاجاتها النفطية من منطقة الشرق العربي. من هنا تلقت بلدان المنطقة مساعدات بلغت قيمتها ٣,٥ مليار دولار، خصصت لإقامة منشآت ضخمة بتقنيات يابانية عالية. ومقابل الحصول على النفط عرضت اليابان على المملكة العربية السعودية بناء مجموعة من المنشآت الضخمة بقيمة ٤٠٠ مليون دولار. كما قدمت طوكيو قرضاً لمصر بقيمة ٣٠٠ مليون دولار من أجل تنظيف قناة السويس وبناء عدد من المؤسسات الصناعية. وقدمت طوكيو لبغداد قرضاً بقيمة مليار دولار لبناء مجمع لتخزين الغاز وبناء مصفاة للنفط والغاز، وقدمت الحكومة اليابانية وعوداً بتقديم قروضاً لسورية والأردن وليبية والجزائر من أجل بناء مصافٍ للنفط ومعامل للصناعات الكيماوية وبناء السدود ومشاريع أخرى.

أدت التغيرات الجذرية التي طرأت على السياسة الخارجية اليابانية تجاه الدول العربية بشكل عام وقضية الصراع العربي- الإسرائيلي بشكل خاص إلى ردود أفعال سلبية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية. وفي مؤتمر صحفي عقد في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٣م، أعلن رئيس الوزراء الياباني ما يلي:"أنا أفهم عدم رضى الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة عن الخطوة التي أقدمت عليها بلادنا، ولكن لا يحق لأحد أن ينسى أن اليابان تتحمل الكثير من أجل الحصول على حاجاتها النفطية من البلدان العربية، في حين لا تستورد الولايات المتحدة الأمريكية منها سوى ٤% من حاجاتها النفطية"(٧٨). كما أكد رئيس الوزراء الياباني أيضاً على أن "علاقات الصداقة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية تبقى ثابتة ولا تتغير. لكن ذلك لا يعني أن علينا أن نتحرك دائماً وفق ما تريده الولايات المتحدة الأمريكية وحكومتها" (٧٩).

أدى ازدياد اهتمام اليابان بعلاقاتها مع دول الشرق العربي إلى حدوث نوع من الاحتكاكات في علاقاتها مع الغرب وبخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

واضطرت الدبلوماسية اليابانية إلى مواجهة مواقف صعبة للغاية. وبنتيجة ذلك وجدت الدبلوماسية اليابانية نفسها في موقع المناور بين دول الشرق العربي والولايات المتحدة الأمريكية. وقد ظهر ذلك على وجه الخصوص خلال الحرب العراقية- الإيرانية التي بدأت عام ١٩٧٩م.

وكانت اليابان قد وافقت في شباط على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في طوكيو. وخلال الدورة الثانية والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة التي جرت في أيلول ١٩٧٧م، أكد ممثل اليابان لدى منظمة الدولية موقف بلاده السابق من قضية الصراع العربي- الإسرائيلي، وطالب من جديد بضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية التي احتلت خلال عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وأعلن تحفظه على جميع إجراءات الاستيطان والضم التي قامت بها السلطات الإسرائيلية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة. وأكد المسؤولون الحكوميون اليابانيون في العديد من خطبهم وتصريحاتهم الرسمية على ضرورة مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في المحادثات الخاصة بحل قضية الشرق الأوسط على أساس قرار مجلس الأمن الدولي وعلى ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة (٨٠).

كما تضمنت الوثيقة الموقعة من قبل وزارة الخارجية الصادرة بتاريخ ٤ نيسان ١٩٨٠م تحت عنوان "اليابان والقضية الفلسطينية" التأكيد على ضرورة إقامة السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط على أساس تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة وإجراء المفاوضات السليمة للوصول إلى سلام عادل ودائم في المنطقة. وأكدت الحكومة اليابانية من جديد على ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة. وعلى الرغم من أن اليابان لم تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب العربي الفلسطيني، ولم تعطِ وضعاً دبلوماسياً لممثلي المنظمة في طوكيو، فإنها اعترفت في واقع الحال بحق الشعب الفلسطيني في

تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني. وهذا بحد ذاته شاهد على محاولات اليابان اتباع سياسات أكثر عمقاً وأكثر عدلاً في علاقاتها مع المنطقة العربية من سياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي مقال نشرته (مجلة ميدل ايست إكونوميك دايجيست)، تمت الإشارة إلى انه "وبسبب غياب الارتباطات التاريخية مع القسم الأعظم من الشركاء التجاريين، سارت اليابان دائماً خلف النهج السياسي الذي تنتهجه الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. غير أن اليابان فهمت بسرعة أن العلاقات المتراصة مع الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تؤدي إلى تعقيد العلاقات مع دول المنطقة العربية، لذلك وبغض النظر عن الضغوط التي تمارسها واشنطن، فإن اليابان مصممة على الفصل بين سياساتها الشرق أوسطية، وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية" (٨١).

في العشرين من أيلول ١٩٨٢م، أصدر وزير الخارجية الياباني (ساكوراتي) بياناً أعرب فيه عن استنكاره لعمليات القتل الجماعية التي تعرّض لها اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات صبرا وشاتيلا في بيروت، وأدان النشاطات الإسرائيلية في بيروت الغربية، وعدّها عملية خرق غبية.

وبدا واضحاً أن اليابان أضحت تولي اهتماما زائدا بسياساتها تجاه الشرق العربي نظرا لتزايد أهمية المنطقة بالنسبة لها كمصدر للطاقة مع تزايد الدور الياباني المتسارع جداً في الاقتصاد العالمي. من هنا أصرّ وزير الخارجية الياباني (آب) في حكومة رئيس الوزراء ناكاسوني على ضرورة أن تقوم وزارة الصناعة والتجارة الخارجية اليابانية بتقديم ٢٠ مليون دولار لتغطية نفقات تواجد قوات الطوارئ الدولية في جنوب لبنان. وفي ٣١ آذار ١٩٨٣م التقى (آب) مع سفراء الدول العربية في طوكيو ورئيس مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في اليابان فتحي عبد الحميد. وخلال اللقاء قدّر وزير الخارجية الياباني عالياً الاقتراح الذي وافقت عليه الدول العربية خلال قمة فاس في

أيلول ١٩٨٢م والذي يقضي بإجراء المباحثات لحل قضية الصراع العربي الإسرائيلي[٨٢]. وأعلن أن المشروع يتطابق من حيث المبدأ مع الموقف الياباني[٨٣]. كما أعاد (أب) طرح موقف بلاده من منظمة التحرير الفلسطينية وقال: "تُعدّ منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للفلسطينيين، ويجب الاعتراف بها ممثلاً لهذا الشعب، وعليها المشاركة في المباحثات المتعلقة بإحلال السلام في الشرق الأوسط"[٨٤]. وبذلك تكون العلاقات اليابانية مع الشرق العربي قد أخذت الشكل الذي يفترض أن تكون عليه. لكن بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود من التطورات التي طرأت عليها فقد لعبت الأحداث والتطورات التي شهدتها المنطقة العربية دوراً فاعلاً ومؤثراً فيها.

الخاتمة:

بعد هذا العرض التاريخي للعلاقات اليابانية مع دول الشرق العربي يمكننا وضع الاستنتاجات التالية:

١- حاولت اليابان منذ مطلع الثلاثينيات دخول حلبة التنافس الدولي بهدف امتلاك امتيازات التنقيب عن النفط واستثماره في منطقة الشرق العربي. غير أن المنطقة العربية كانت في حينها مجالاً حيوياً للاهتمامات والمصالح السياسية والاقتصادية للدول الغربية الكبرى وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا. الأمر الذي أضعف الصلات الاقتصادية بين اليابان ودول المنطقة إلى حد كبير.

٢- بعد الحرب العالمية الثانية وانتهاء اليابان من إعادة بناء اقتصادها، بدأت عملية تصدير البضائع اليابانية الجيدة والرخيصة إلى دول الشرق العربي، وتمكنت خلال فترة وجيزة من كسب ثقة المستهلكين، واضطرت بعض حكومات الدول الغربية إلى ممارسة الضغوط على الحكومات العربية لاتخاذه إجراءات جمركية تضعف عملية تدفق البضائع اليابانية إلى الأسواق العربية، الأمر الذي دفع اليابان

إلى الإسراع في إقامة علاقاتها الدبلوماسية مع دول الشرق العربي والتوقيع على اتفاقات تجارية معها، ساعدت في دفع وتيرة التعاون الاقتصادي معها بدرجة كبيرة.

٣- نظراً لأهمية النفط بالنسبة لليابان، وخصوصاً بعد نجاح تجربتها الاقتصادية الرائدة في الستينات، وعلى اعتبار أن المنطقة العربية هي المصدر الرئيس للطاقة بالنسبة لليابان، فقد اندفعت الشركات اليابانية نحو المنطقة في محاولة منها للحصول على امتيازات للتنقيب عن النفط واستثماره، ونجحت في تحقيق أهدافها في مستوى محدد، رغم المضايقات غير المباشرة التي كانت تتعرض لها، ويعود الفضل في نجاحها بالدرجة الأولى إلى ما تمتلكه من معدات وتقنيات تفوق في جودتها ونوعيتها ما تمتلكه الشركات النفطية الغربية.

٤- في مطلع السبعينات وجدت اليابان نفسها على مفترق طرق تاريخي، فالازدهار الاقتصادي السريع الذي عاشته جعلها تفكر بتطوير علاقاتها مع دول الشرق العربي وبخاصة المصدرة للنفط منها، ليست لأن هذه الدول تشكل مصدر الطاقة الرئيسي لليابان فحسب، بل ولأنها أصبحت سوقاً واسعة للبضائع اليابانية. بناء عليه، بدأت اليابان خطواتها العملية الأولى في الانفكاك عن الغرب في سياساتها الخارجية تجاه المنطقة العربية لقناعتها التامة بأن عليها أن تتصرف وفق ما تمليه عليها مصالحها وأن ترفع صوتها بجرأة، وتغير موقفها من قضية الصراع العربي- الإسرائيلي، وأن تعترف بالحقوق العربية المشروعة معلنة بذلك خروجها عن القاعدة التي تقول بأن اليابان "تحترم واشنطن أكثر مما يجب".

٥- بعد نجاح الدبلوماسية اليابانية في تجاوز أزمة الطاقة خلال حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣م وبعدها مباشرة، تعرضت لضغوط أمريكية كبيرة. فالولايات المتحدة الأمريكية التي تعمل جاهدة وبشكل دائم لكبح جماح اليابان،

رأت أن اليابان تتلفت دائماً إلى الوراء باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية وتتبع خط سياساتها الخارجية شذّت عن القاعدة وتسعى إلى اتخاذ قراراتها بحرية، انطلاقاً من قناعتها بأنها لا يجوز أن تبقى أسيرة لما تقوله الولايات المتحدة الأمريكية، وانطلاقاً من مقولة أن الدولة التي تنظر للخلف دائماً لا تستطيع أن تحكم على ما يجري في الأمام. من هنا تخوَّفت الولايات المتحدة الأمريكية من اللهجة الجديدة في السياسات الخارجية اليابانية. صحيح أن قوات الدفاع الذاتية لليابان تخضع لأوامر البنتاغون بموجب معاهدة الأمن اليابانية الأمريكية، لكن اليابان ليست الولاية الحادية والخمسين، فاليابانيون آسيويون وينتمون إلى هذه المنطقة بالدم والتراث، واليابان بلد آسيوي وتشعر أن مصالحها في آسية أكثر في أمريكة.

٦-وأخيراً إن على دول الشرق العربي وهي تدرك تماماً أهمية اليابان والدور الذي تلعبه في الاقتصاد العالمي وما يطرأ على دورها السياسي في الساحة الدولية أن تعمل جاهدة على تطوير علاقاتها مع اليابان على كافة الأصعدة وبخاصة الاقتصادية والسياسية منها نظراً للفائدة المتبادلة التي يمكن أن تنتج عنها، خاصة وان عامل الخوف من اليابان يكاد يكون معدوماً لأنها الدولة الصناعية الكبرى الوحيدة في العالم التي يخلو سجلها التاريخي من علاقات عدائية أو دموية مع العرب، ناهيك عن أن التشابه في العراقة التاريخية بين العرب واليابانيين يمكن أن تكون إحدى القواعد والأسس التي يمكن بناء علاقات ودّية عليها.

هوامش البحث

1- Хори Сёити . Ближневосточная дипломатия Японии . Токио,1980 г 311. С.66

2- Там же с.69

3- MEED Special Report . Saudi Arabia , 1981 , July . P.12

4- Башкаев С., Ветохина I. Японская экспансия на рынках Ближнего и Среднего Востока - Торговая экспансия Японии .М., 1936. С.198.

5- Там же с. 199

6- Черевко Ю.М. Экономическое проникновение Японии на Ближний и средний Восток. М.,1986г., с.11

7- Там же с.11

8- Там же с.12

9- MEED Special Report . Saudi Arabia , 1981 , July , P.12

10- Ежегодник Ближнего Востока и Северной Африки, 1979-1980. Токио ,1980 ,с.365

11- Там же ,с.396

12-MEED Special Report . Japan and Middle East . 1980, December.p59

13- Ежегодник Ближнего Востока и Северной Африки , 1979-1980, Токио ,1980,с.425

14- Там же с.439

15- Там же с.409

16- Черевко Ю.М. Экономическое проникновение Японии на Ближний и Средний Восток , с. 12

17- Там же с. 12

18- Там же с. 12

19- Там же с. 13

20- 20 лет послевоенной внешней торговли Японии , Токио ,1967, с. 329

21- Черевко . Экономическое проникновение..,с.13

22- Middle East Economic Digest (MEED) . 1969 . P . 621 .

23- Черевко . Экономическое проникновение ... ,с.329

24- Там же , с. 14

25- 20 лет послевоенной Внешней .... ,с. 329

26- Там же , с. 329

27- Белая книга зарубежных рынков . Статистический сборник.1969. Токио , 1970.

28- Там же ,с. 633.

29- Там же , с.648

30- Черевко Ю.М. Экономическое ... .с. 359

31- Белая книга зарубежных рынков . С. 561

32- Черевко Ю.М. Экономическое ... ,с. I6-I7.
33- Белая книга зарубежных рынков .С. 6I9
34- Исаев В.А. Проникновение Японии в арабские страны в конце 50-х годов ..Дальний Восток : История , экономика ,М.I974,с.I3.
35- Черевко Ю.М. , Экономическое ... с. 20
36- The New Middle East, 1970 ,N22 ,P.14.
37- Архипов В. Японский капитал в странах Ближнего и Среднего Востока . - Мировая экономика и международные отношения,I959, № 9, с.I33.
38- Игнатущенко С.К. Экономическая экспанасия японских монополий после Второй Мировой войны . М.I966, с.,235.
39- Черевко Ю.М. Экономическое ... С.2I.
40- Там же с,2I
41- Игнатущенко С.К. , Экономическая ... С.235.
42- Исаев В.А. Проникновение Японии ... с.8
43- Черевко Ю.М. Экономическое ... с.22
44- The Middle East and North Africa . 1975- 1976 . L , 1975, P. 56 .
45- Игнатущенко С.К. , Экономическая экспанасия ... ,с.236
46- Quarterly Economic Review of oil in the Middle East . Annual Supplement . 1977. P.13 .
47- 20 лет послевоенной ... , с. 257.
48- Бодянский В.Л. Современный Кувейт . Справочник .М.,I97I,с.207.

49- The New Middle East, 1970 , P.15.
50- Исаев В.А. Вывоз арабского ... ,с. I0
51- The Middle East and North Africa , 1975-1976,L ,1975,p.97 .
52- Исаев В.А. , Вывоз арабского ... ,с.I0
53- Черевко Ю.М. Экономическое .. .,с.23
54- Там же с. 24
55- Исаев В.А. Вывоз Арабского .. .,с. II
56- The Middle East and North Africa .1975-1976. L. 1975. P94
57- Черевко Ю.М. Экономическое ... ,с.24
58- Там же, с. 24
59- The Middle East and North Africa. 1975-1976. L. 1975. P.96 .
60- Черевко Ю.М. Экономическое ... ,с. 25
61- Васильев А. , Факелы Персидского залива . .М,,I976г., с.69

62- Nakase tohikazu. The Postwar Overseas Expansion of Japanese Monopoly Capitals and their Multinalizing Development – Journal of Osaka Judustrial University , Social Sciences . 1980, N53,p . 37.
63- Черевко Ю.М. Экономическое .. .,с.25

64- Там же , с.25
65- Там же, с.26
66- Там же ,с.26
67- Обзор деятельности японских предприятий зарубежом . Токио, 1973 ,с. 10
68-The Japan Industrial and Technological Bulletin ,1978, P. 24.
69-Ibid. .P. 24.
70- Черевко Ю.М. Экономическое ... ,с.27
71- Там же с. 27
72- Примаков Е.М. Восток после краха колониальной системы . М. 1982, с. 142
٧٣- انظر النص الكامل للقرار ٢٤٢ في وثائق فلسطين ، دائرة الثقافة ، منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الثقافة ١٩٨٧م . ص ٣٢١- ٣٢٢
74- Черевко Ю.М. Экономическое ... ,с. 32
75- Там же с. 32
76- Там же с. 32
77- Там же с. 37
78- Там же с. 34
79- Там же с. 34
80- Там же с. 39
81- MEED . Special Report . Japan and The Middle East . 1982, December ,P.3 .
٨٢- انظر النص الكامل لمشروع الأمير فهد في كتاب تيريز حدّاد : القرارات و المبادرات الخاصّة بالقضية الفلسطينية ١٩٤٧م -١٩٨٨م ؛ عمان ١٩٨٩م .
83- Черевко Ю.М. Экономическое ... , с.40
84- Там же с. 40